

كيف تناظر لا-دينيا من الإلحاد إلى الإسلام

أ. أحمد عبد العزيز محمد

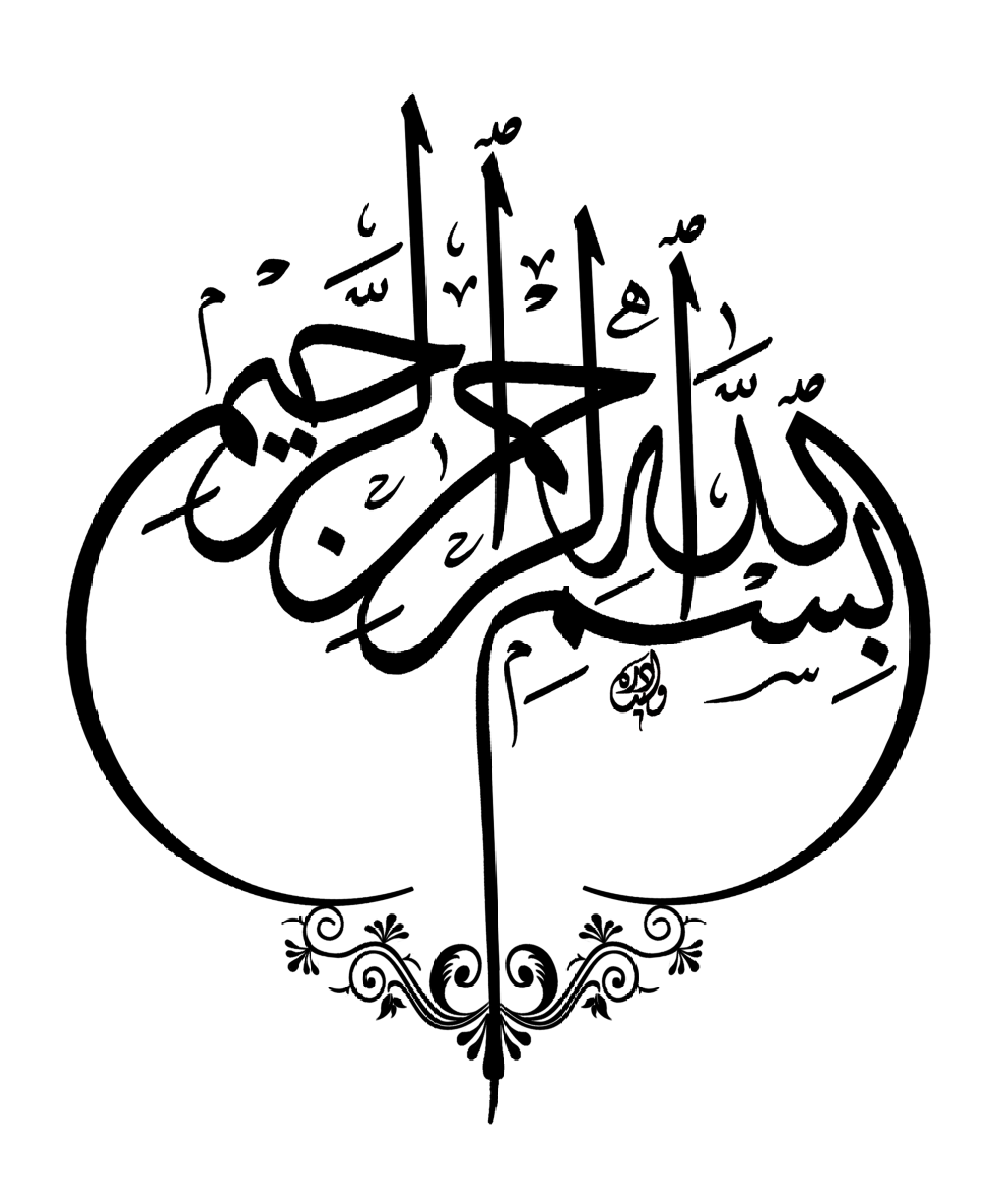
١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م



كيف تناظر لا-دينيا
من الإلحاد إلى الإسلام

أ. أحمد عبد العزيز محمد

١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

* مقدمة :

الحمد لله الذي أوضح الطريق لأوليائه، وأظلم السبل على معانديه وأعدائه، أحمده على جزيل نعمائه، وأشكره على كثير عطائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أتوصل بها إلى نيل رضائه، وأحقق بها عظيم آلائه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، سيد أصفيائه، وإمام أوليائه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأبنائه وسلم تسليما كثيرا. وبعد:

بتوفيق الله سنشرح مصادر المعرفة ونرد على كل شبهة ممكنة للمخالف ونذكر براهين وجود الله عز وجل ونرد على كل ما يطرحه المخالف من شبهات.

وبعدها نبين وجوب اتصاف الخالق بالصفات، ثم نثبت بعض الصفات التي يستحقها عقلا ونقلا وبعدها نبين امتناع قول النصارى بألوهية المسيح ثم ننتقل إلى صحة الرسالة ببراهين قوية ونافعة إن شاء الله تعالى ثم ننتقل بعدها إلى جملة ما يجب على المسلم اعتقاده.

* * *

سبب تأليف الكتاب

لمرحلة طويلة اكتفيت بالإجابة على الأسئلة التي قد تشكل على بعض الإخوة المحاورين، وناظرت أهل الضلال من الملحدين وأمثالهم، ورددت على المتشككين حتى وقعت عيني على إحدى كتب أهل العلم من الذين يردون على الإلحاد

وقال لي أحد طلبة العلم: ما قولك في هذه الحجة؟ فقلت له: هذه حجة كلامية تخالف الكتاب والسنة، وهي مع هذا حجة ضعيفة لا تعلي حقا ولا تبطل باطلا، فشك الأخ حتى ظن أن لا سبيل لمعرفة وجود الله إلا بهذا الطريق الباطل.

وكنت قد بينت له أن الحجة التي تخالف نصا من الكتاب والسنة يمتنع أن تكون صحيحة في نفس الأمر، ولكنها خيال عقلي قد يشتبه على بعض الناس.

ففكرت مليا أن أكتب حججا توافق الوحي على منهج أهل السنة، وقبل ذلك كلمت أحدهم فقال لي أن الحجج العقلية هي علم الكلام الذي ذمه السلف فقلت له أن هذا غير صحيح، وبينت له أن القرآن فيه حجج تخاطب العقول والقرآن أقام الحجج العقلية التي

لا ينتبه لها البعض، ثم إن هؤلاء حفظوا حججا كلامية وظنوا أن لا سبيل لمعرفة الله إلا بها، وهذا لقلة تحصيلهم النقلي وبينت للسائل أن العلماء قاطبة لم يعتبر واحد منهم أن الحجج العقلية في القرآن هي نفسها علم الكلام بل أغلب أهل الكلام يعتبرون أدلة القرآن أدلة خطابية لا برهانية.

وبينت له أن الحجج العقلية يجب أن توافق النقل، لأن النقل نزل مخاطبا للعقول وأن هناك طرقا تثبت الحق الذي هو في الوحي، وهي طرق عقلية سليمة والحجج العقلية الصحيحة إما أن تكون موجودة في الوحي صراحة، وإما أن تكون غير موجودة فيه بوضوح ولكنها لا تعارضه ولا تُؤَول نصا[1] ولا ظاهرا[2] من النقل.

ثم إني قررت أن أكتب ردا كاملا شاملا في هذا المبحث.

[1] "النص" هو ما لا يحتمل إلا معنى واحد.
انظر تعريف النص اصطلاحًا في البرهان ١/ ٤١٣، المستصفى ١/ ٣٣٦، اللمع ص ١٤٣ص، أصول السرخسي ١/ ١٦٤، المحصول ١/ ٣١٦/١، شرح المحلي على جمع الجوامع ١/ ٢٣٦، إرشاد الفحول ص ١٧٨، شرح تنقيح الفصول ص ٣٦، فواتح الرحموت ٢/ ١٩.

[2] "الظاهر" هو ما احتمل أمرين أحدهما أظهر من الآخر - شرح الورقات للفوزان- المهذب في علم أصول الفقه المقارن ١٢٠٥/٣.

وخاطبني آخر فقال لي: العلم الحديث أثبت صحة الإسلام، وأنه لا يصح أن نخالف العلم فيما قرره كنظرية التطور وغيرها وإلا لبطل الاحتجاج على صحة الرسالة وبطلت النبوة، وأشكل عليه كيف آمن الناس قبل العلم الحديث؟ فظن أنهم أمنوا كلهم بلا دليل حتى جاء العلم الحديث يؤيد إيمانهم.

فبينت له أن هذا باطل وأن نظرية التطور لم تصح علميا ولا عقليا ولا يمكن الجمع بينها وبين النقل، فأشكل عليه هذا فظن أن النظرية خاطئة ولكن مع هذا لا يمكن إثبات صحة الرسالة إلى بطريق النبوءات التي أثبتها العلم.

فقررت أن أبين الحجج التي ينتفع بها كل طالب علم إن شاء الله تعالى وباشرت كتابة هذا الكتاب مستعينا بالله حتى أبين امتناع معارضة العلم والعقل للوحي، وأن الحجج العلمية القطعية والعقلية القطعية يمتنع معها تأويل[1] وتحريف الوحي كما فعل

[1] "التأويل" هو صرف المعنى الراجح أي الظاهر، إلى المعنى المرجوح، أي البعيد. النص ما لا يحتمل إلا معنى واحد-انظر المهذب في علم أصول الفقه المقارن ٣/ ١٢٠١

المتكلمون ومن هم متعلقون بكل ما يقال عنه علمي ولو لم يصح علمياً وأرجو من الله أن ينتفع منه كل طالب علم يقرأه وبالله التوفيق.





التأصيل ومصادر المعرفة

مبحث

التعريف باللا-دينية

التعريف باللا-دينية وهي أنواع:

١-) لا-ديني ربوبي: وهو منكر للأديان مثبت لوجود رب.

وهذا عادة يثبت للخالق الإرادة والقدرة والعلم والحكمة.

٢-) لا-أدري: وهو ينكر صحة الأديان ولا يدري أهناك خالق أم لا؟

وله أقوال عدة سنناقشها لاحقا إن شاء الله تعالى.

منها هل الكون ازلي أم لا؟

وأزلي تعريفها: أي الذي لا أول له.

وعامة هؤلاء ينكرون البديهيات العقلية التي ستأتي تفصيلاً إن شاء الله تعالى.

٣-) الملحد: وهو الذي ينكر وجود خالق وهؤلاء سنناقشهم تباعاً كذلك إن شاء الله تعالى.

والإلحاد[١]: هو الميل عن الحق كما هو معلوم.

[١] تعريف الالحاد: الميل عن الحق – لسان العرب والمصباح المنير.

مبحث

التأصيل

وهو واجب حيث أنك تعلم من خلاله بماذا تبدأ..

وعليك كذلك أن تعلم معتقد من تحاوره.

فلو طرح شبهة ما كمعضلة الشر مثلا..

وكان الشخص المحاور ملحدا فيختلف عن كونه ربوبيا من حيث المعتقد.

فالملحد[1] ننظر للشبهة معه هل هي تنفي وجود الله أم لا؟

أما الربوبي فننظر للشبهة معه هل تنفي بعض صفات الله؟ أو تنفي صحة الرسالة؟

= فيُردُّ على المُلحد: هل الشر ينفي وجود خالق؟

فإن كان الشر ينفي وجوده فالخير يثبت وجوده.. !

ومعضلة الشر سنفصل[2] فيها لاحقاً إن شاء الله.

والقصد هنا بيان وجوب معرفة معتقد من تحاور حتى تعلم كيف يتم تأصيل الرد معه.

مثال: طرح الربوبي لقضية معضلة الشر.

---

١ قال ويليام رو "اللا-أدري شخص لا هو مؤمن ولا هو مكذب بوجود الله على عكس الملحد الذي يكذب وجود الله صراحة"

٢ راجع مبحث معضلة الشر معضلة الشر حجة ضد الملحد ومبحث الحكمة من وجود الشر وعلاقته بالإسلام

= نقول له: هل تثبت لله صفة الحكمة أم لا؟

- فإن قال: نعم.

= نقول له: إذن عدم معرفتك للحكمة لا يدل على عدم وجودها بل يدل فقط على عدم معرفتك لها لأن الإنسان لا يعلم الحكمة من كل شيء بالضرورة.

- وإن قال: لا أثبت صفة الحكمة..!

فهنا طريقان للرد:

إما أن نثبت له صفة الحكمة أو نرد عليه ونقول: لو كان وجود الشر ينفي صفة الحكمة فوجود الخير يثبت وجودها.

فهذه الردود كلها تعتمد على معرفة معتقد المخالف.

وهناك بعض المخالفين يرفضون الإفصاح عن اعتقادهم.

- فيقول اللا-ديني: "مالك بمعتقدي" ..؟ جاوب الشبهة وفقط.!

= فيقال له: معتقدي لا يرى هذا الأمر شبهة.

فأن تبين لي معتقدك أفهم على أساسه هل يحق لك أن تعتبر هذا الأمر شبهة أم لا؟

وهذا يستعمل في الشبهات الأخلاقية كذلك فالملحد ليس لديه مرجعية أخلاقية ثابتة، والأخلاق عنده نسبية فلا يوجد شيء أخلاقي ١٠٠٪ حسب اعتقاده فلا يحق له قطعا أن يدعي أن هناك خطأ أخلاقياً في الدين.

خلافاً للنصارى، فيحق لهم الاعتراض من باب أن عندهم الأخلاق منها ما هو قطعي يقيني أنه أخلاقي أو لا أخلاقي والتأصيل والتفصيل في كل مسألة يبنى على معرفة معتقد الأخر لنستطيع إلزامه بمعتقده أولاً وكذلك لنبين له أن معتقدنا سليم حسب الأصول المشتركة بيننا وبينه، مثال هذا:

أناقش ملحدا حول وجود خالق، فإن كان يعتقد هذا الملحد بحجية العقل، فبناء عليه أستطيع إثبات وجود خالق بناء على المشترك بيني وبينه وهو أن العقل مصدرا من مصادر المعرفة، وألزمه بأن الإلحاد مخالف للعقل بالأدلة العقلية، فهنا قيمة معرفة معتقد المخالف.

ومن اعتراضاتهم كذلك أن الإلحاد لا يقال عنه معتقد وهنا يرد برد إلزامي وأخر تقريري.

= أما الإلزامي[1] فيقال لهم: هذا دليل العدمية فأنت تدعوني لأترك ديني لأجل لا شيء بالفعل!

= وأما الرد التقريري[2] فهو أن نبين له أنه كملحد يعتقد أن الدين خطأ وأن المادة صنعت كل شيء وهذا كاصطلاح يسمى معتقد.

ولا تقف في هذا معه كثيراً بل بين له ثم انتقل إلى نقاش المختلف بين معتقدك ومعتقده.

حيث أن العبرة بالهداية لا بكثرة الإلزام فيما ينفع ولا ينفع.

* * *

[1] شرح الدليل الإلزامي : وهو الدليل الذي تلزم مخالفك فيه بما يترتب على قوله عند فرض صحة معتقده ، مثل قول الملحد الأخلاق نسبية ، فنحن نرفض هذا كمسلمين، لكن نلزم الملحد بمعتقده فنقول له لو أن الأخلاق نسبية فلازم هذا أنك لا يحق لك الاعتراض على أي مسألة في الشرع تدعي فيها مخالفة أخلاقية.

[2] شرح الدليل التقريري: التقرير هو أن تبين معتقدك وحججك في المسألة بكلام تلتزمه أنت، مثل لو قال المؤمن للملحد، الكون له بداية إذن لابد له من خالق فهذا نلزم الملحد به ونحن نعتقد صحة اللازم فيه وهو وجود خالق والملزوم وهو بداية الكون واحتياجه إلى خالق.

مبحث

مصادر المعرفة

بعد معرفة معتقد اللا-ديني نبدأ معه حسب اعتقاده.

فإن كان ملحدا أو لا-أدري نبدأ معه بمصادر المعرفة.

وإن كان ربوبيا نبدأ معه بسؤال.. ما هي صفات ربك؟

حتى نعلم في ماذا نشترك ونختلف معهم في الاعتقاد وبناء عليه نسيّر النقاش بمنهجية سليمة.

والآن نشرح مصادر المعرفة ثم نبين ما أهمية معرفة مصادر المعرفة.. ؟

ومصادر المعرفة هي المصادر التي يُعتَمد عليها في إدراك الشيء على حقيقته[1].

وهي ثلاثة: العقل ..النقل .. الحس.

والمعرفة نوعان:

معرفة صحيحة ومعرفة خاطئة.

والصحيح منها هو معرفة الحق على ما هو عليه إما بالعقل الصريح أو بالنقل الصحيح أو بالحس السالم من الآفة.

[1] التعريفات للجرجاني ٢٨٣

والعقل يراد به البديهيات العقلية.

والبديهيات العقلية مثالها أن ١+١=٢

وأن النقيضان لا يجتمعان

مثال: أن نقول: يستحيل وجود زيد وعدم وجوده بنفس الوقت والمكان

والنقيضان لا يرتفعان.

مثال: لا يقال: زيد لا داخل البيت ولا خارجه

مثال آخر :

زيد حي وميت، هنا اجتماع نقيضين.

زيد لا حي ولا ميت، هنا ارتفاع نقيضين.

ومن أمثلة البديهيات العقلية مبدأ "السببية" وتعني أن كل شيء مفتقر ناقص يحتاج في وجوده إلى غيره.

وكذلك مبدأ "الهوية" أن الشيء هو نفسه

مثال : السيارة هي السيارة .. والطيارة هي الطيارة وأنت هو أنت!

فمن قال أن السيارة ليست هي السيارة خالف بديهيات العقل

وأما "الخبر الصادق" مثاله : وجود دولة كالهند

فنحن حتى لو لم نسافر إلى دولة الهند لكننا نعلم بالضرورة وجودها عن طريق خبر جماعة من الناس بالتلفاز أو عبر مواقع التواصل أو بالواقع ممن حكوا لنا زيارتهم لدولة الهند، فهم أخبرونا بوجود تلك الدولة.

وأما "الحس" فمثاله : رؤيتك لكلامي هذا وسماعك لصوتك.. إلخ

ومن عادة الملحد أن يدعي أن العلم فقط هو المصدر الوحيد للمعرفة

والعلم هو ما يتعلق بالحواس فقط عند الملحد فلا يصدق إلا ما يراه أو ما يمكنه أن يراه.

وهذا كله سنبينه[1] بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

ومن أهمية هذا أن تعرف هل اللا-أدري كمثال يصدق بحجية العقل والحواس، فنستطيع أن نبين له وجود الله عن طريق ما اتفق معنا فيه؟ وهو العقل أو الحس أو الخبر أو كل هذا.

فالخبر والحس بهم نثبت صحة الرسالة

والحس والعقل والخبر بهم نستطيع إثبات وجود خالق.

[1] سيذكر المؤلف الرد على هذا في مبحث نقاش مع من يقول لا أصدق إلا العلم

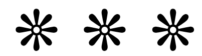
مثال:

أن نثبت بالعقل أن النبي ﷺ صادق

ومن الأخبار التي أخبر بها النبي ﷺ، خبر وجود خالق موصوف بصفات الكمال فعليه فوجود خالق صواب.

أما بالحواس فنبين الأدلة العلمية على وجود صانع ومدبر لكوننا هذا وأن كل ما نراه بحواسنا محتاج إلى خالق عليم خبير.

وأما العقل فنبين به ضرورة احتياج المفتقر إلى الغني بذاته وهو رب العالمين.



مبحث

ضبط مصادر المعرفة

بعد معرفة مصادر المعرفة وجب ضبط كيفية طرحها على المخالف "الملحد" أو "اللا-أدري " و هناك ثلاثة طرق:

الطريق الأول : هو الطريق التقريري : بمعنى أن تقرر معتقدك بمصادر المعرفة وأن تضع أدلة بسيطة تثبتها

فتقول الآتي:

أي معرفة قطعية تكون عن طريق مصادر للمعرفة

وهي عندي العقل .. والخبر .. والحس

فمن شك بهذه المصادر فهو مسفسط[١] وأنزه محاوري من أن يكون منهم فإن غاية البعض من ملحدي العرب أن يناظر لأشهر ليثبت أن وجوده ووجود كل شيء حوله ليس قطعي يقيني , وأن العقل لا يمكنه أن يصل إلى حقيقة مطلقة.

رغم أن جملة "لا توجد حقيقة مطلقة" لو كانت صحيحة فقد وصلنا بعقولنا لحقيقة بالفعل! وبالتالي ثبت خطأ هذه الجملة.

ولو كانت خاطئة فهو المطلوب.

[١] المسفسط هو الذي ينفي الحقائق كلها سواء كانت عقلية أو حسية أو خبرية

وهذا الذي يسمى بالدليل المركب[1]

لأنه مبني على افتراض باطل، مثل افتراض أنه لا يمكن الوصول إلى أي حقيقة.

وإن التعامل الأمثل مع من يشكك بالحواس مطلقا كما قال بعض العلماء عنهم بأنهم يضرب ويجلد حتى يتيقن من أنه يحس.

وأما الخبر فكما نعلم بوجود بلاد الهند مع أننا لم نسافر إليها وغير ذلك كثير من الأمثلة.

وأما الاحتجاج بالعقل .. خاصة البديهيات العقلية

فإثباته يسير ، فمثلا لو ثبت أني قتلت شخصا دون أي مرض بي أو دون دفاع عن النفس .. فسأكون مدانا .. ولو ثبت أني قتلته لا يصح أن أقول للقاضي أني قتلته ولم أقتله معاً.

حيث أن النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان.

فالعقل الصريح حجة, والحس السليم حجة, والخبر الصادق حجة,

= فهل تتفق؟

انتهى.

---

[1] الدليل المركب أو السؤال الملغوم وهو الذي إن أجاب المخالف قال المخالف نعم بطل مذهبه ولو قال لا بطل مذهبه

هنا طريق أول : تقرر به ما تعتقد وتبين له أن منكر هذا مسفسط وهذا يؤثر بنفسية الملحد كمتلقي حيث أنه يعلم أنه لو خالف ضروريات العقل والحس والخبر ، سيكون بالفعل مخالفا لكل شيء صحيح.

وهذا الطريق الأول نستعمله عندما نريد أن نبين الصواب للطرف الآخر مباشرة دون جدال.

الطريق الثاني في بداية المناظرة: تقول له:

مصادر المعرفة عندي هي : العقل ، الخبر ، الحواس.

وهنا نحن لم نضع تفصيلا يشرح وجوب اعتماد العقل والحس والخبر في معرفة الأمور.

وهذا الطريق مهم حتى تعرف معتقد الأخر بمصادر المعرفة قبل أن تضع له أي دليل حتى تعلم معتقده في هذا المبحث قبل أن يتأثر بالحجج التي ستبينها له.

فهناك مخالف تضع له الحجة فيقتنع رغم أنه كان لا يعتقد بها وهنا لو أنت كمحاور مسلم وأردت أن تعرف "هل المخالف يخالفك بمصادر المعرفة أم لا"..؟

فلتبدأ معه بإخباره عن معتقدك بدون تفصيل كما بهذا الطريق حتى تعلم مفهومه في مصادر المعرفة
بخلاف الطريق الأول الذي غايته أن تقنعه مباشرة دون أن تعلم إن كان مخالفا في مصادر المعرفة أم لا.

الطريق الثالث : أن تقول:

ما مصادر المعرفة عندك ؟

وفي هذا الطريق لن تكتب أي شيء بل فقط سؤالا واحدا

وسبب هذا السؤال أن تعرف محاورك المخالف "هل يفهم أصلا مصادر المعرفة وبحث في هذا المبحث من قبل أم لا"..؟

- فإن رد وقال : مصادر المعرفة عندي جوجل أو اليوتيوب ..
نعرف أنه لا يفهم سؤالك حتى .. فتبدأ تبين له .

-أما إن قال : مصادر المعرفة عندي العقل فقط أو الحواس فقط أو الثلاثة مصادر كما يقول عامة العقلاء.

فهذا نعلم أنه يفهم ما يناقش حوله.

وأنت كمسلم مخير, تبدأ بالكيفية التي ترى أنها أنفع لك ولمحاورك.

وأما رأيي فإن كنت تناظر شخصا أمام جمهور واسع فعليك أن تبدأ بتفصيل تام حتى ينتفع المتابع.

أما إن كان على الخاص فعليك أن تبدأ بالطريق الثاني أو الثالث كما تحب

والله أعلم.



مبحث

الاعتراضات حول الخبر كمصدر للمعرفة والرد عليها

وهنا سأضع اعتراضات الملحد كنقاش بيننا وبينه .

الاعتراض الاول:

-قال: أنا لا أصدق أن الخبر مصدر من مصادر المعرفة بل أصدق العلم والعقل فقط

= قلت: أنت هنا وقعت بعدة مغالطات..

الأُولى: أنت تدعي أنك تتبع العلم والعلم نعرفه بالحواس والخبر فمعظم العلوم التي نعرفها لم نشاهدها نحن بل شاهدها العلماء وصدقناهم في خبرهم كمعظم العلوم الطبية والفيزيائية

وثاني مغالطة: أنت تنكر أن الخبر مصدر من مصادر المعرفة ، لكنك تتعامل به حتى بحديثك معي.

فأنت ((أخبرتني)) أنك لا تصدق الخبر وأردت مني أن أصدق خبرك لي ولم يخطر بذهنك أني لن أصدقك لأن تصديق خبر مثل هذا ضروري فتأمل.

وقولك عن نفسك أنك لا تصدق الخبر هو بنفسه إخبار منك عن نفسك لي.

فإن كان الخبر مصدراً للمعرفة فمعتقدك خاطئ!..

وإن لم يكن مصدراً للمعرفة فلن أصدق خبرك بأنك تنكر الخبر.

فأثبت لي بالعلم والعقل أنك لا تصدق الخبر طالما ادعيتَ أنك لا تصدق شيء إلا بالعلم والعقل.

وهذا لا يجد له الملحد مفرا.

الاعتراض الثاني:

- قال: نعم أنا أصدق خبر العلماء وخبر من يدعي وجود دولة كالصين والهند..

لكن هذا أمر عادي لا يتعلق به جنة ولا نار خلافاً لخبر الإسلام المتعلق بتصديقه الجنة وبتكذيبه النار

= قلت وهذا خارج محل النزاع ، فقد أحتج بالخبر على وجود الله مثل خبر علماء الطب بالتعقيد الموجود بالخلية الحية أو خبر عالم فيزيائي بحدوث الكون بالبيغ بانغ ..إلخ

وإن كان الخبر حجة فسينطبق في كل شيء , وإن لم يكن حجة فلا ينطبق على أي شيء.

وبيان هذا أن يقال:

لو أن خبر العلماء يجوز أن يكون يقينيا ، فقد أخبرونا عن تعقيد الكون وبدايته! مما يثبت وجود خالق للكون

ولو أن مجرد خبرهم عن تجاربهم ونتائجها لا يمكن بأن يكون يقينيا، فأنت عند التحقيق لا تصدق العلوم كما ادعيت زورا .

*تنبيه:

الخبر الصادق حجة على كل حال ويحدث به علم يقيني

مثاله: قول الناس بشعورهم بالحر في فصل الصيف

فنحن نعلم بالضرورة صدقهم ونعلم بأن ليس أنا فقط من أشعر بشدة الحرارة وهذه معرفة ضرورية لا تستطيع دفعها عن نفسك.

لذا يقال أن الإنسان لكي يلحد عليه أن يخالف الضروريات التي لا يمكن دفعها عن النفس إلا باتباع الهوى والله المستعان!

واعتراضهم الأخير:

- أن يقول: أنا أصدق مثلا نظرية التطور وبقية أخبار العلماء لأنني أستطيع أن أجربها أو أشاهدها أما أخبار النبوة فلا أستطيع

= فنقول له :

إن اجتمع الأعداء على نقل خبر واحد يرجع إلى أمر مشاهد لهم وليس لهم منفعة بذلك الخبر بل أحدهم يضره نقل هذا الخبر.. ممتنع عقلا أن لا يكون خبرهم صحيحاً لو كانوا جمعا غفيرا.

وهذا نشرحه[1] أكثر عند إثبات صحة الرسالة إن شاء الله تعالى لكني أذكره هنا حتى تعلم كمتعلم أسئلتهم التي يطرحونها.

= ثم نلزمه فنقول له :

كونك لم تجرب بعد فهذا دليل قاطع على أنك لم تتيقن بعد..

فإما أن تجربتك للخبر العلمي واجبة لكي تعلم صحته فهنا أنت لم تجرب حتى تعلم صحة الخبر ، فحينها نعود إلى أنك لا تصدق أي خبر علمي سواء يمكنك تجربته أو لا.

أو أن تجربتك ليست مهمة ومن الممكن أن تتيقن من صدق الخبر دون تجربة..

وهنا أنت خالفت نفسك , فيصح أن أصدق الخبر ولو لم أجربه أو لم أشاهده ، وهو المطلوب.

---

[1] سيأتي في مبحث الحجج القطعية على إثبات تواتر القرآن

تنبيه:

يمكنك ألا تناقش حجية الخبر لو كنت ستثبت وجود الله عقلاً أو بالفطرة.

وتؤجل حجية الخبر عندما تصل إلى صحة الرسالة..

وهذا سينفعك لأنه كلما احتج عليك الملحد بنظرية علمية ستقول له هذا خبر وأنت تنكره..

وبهذا تلزمه بمعتقده.

وسنبين[1] إن شاء الله تعالى أن لا حجة علمية واحدة لهم لاحقاً في هذا الكتاب.

تنبيه آخر:

عندما تثبت حجية الخبر ضع أمثلة بسيطة يقتنع بها ويفهمها كل الناس.

مثال وجود دولة كالهند أو وجود أقمار صناعية

أما الحجة الملزمة له التي بينتها بالأعلى وهي حجة أن تقول له إنكارك للخبر هو خبر فأنا لن أصدقه لو أنكرت الخبر مثلك**!**

---

[1] ويأتي تفصيله في عدة مباحث قريباً

فهذه حجة صعبة رغم أنها أقوى, والصواب أن تبدأ بالمفهوم القوي أفضل من الحجج الصعبة التي تحتاج إلى شرح مطول ولو كانت أقوى.

وهذا منهج مهم تعامل به تنفع وتنتفع إن شاء الله تعالى.



مبحث

النقاش مع منكري البديهيات العقلية
مبحث الحقيقة المطلقة

وهذا مبحث عظيم نفعه ومهم معرفة رده بتوفيق رب العالمين.

أغلب من ينكر البديهيات يدعي أنه "لا أدري"

وهذا يدعي أنه لا يعرف أي شيء.

أما الملحدون فمنهم من يقول هذا كذلك ويلزم الملحد أنه "لا أدري" وسنبينه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

- قالوا: لا نعرف الحقائق المطلقة..

والعقل قاصر على أن يجزم بشيء قط..

_ ومثال الحقيقة المطلقة أن أقول: "أنا موجود" , فهذه عند المخالف اللا_أدري ليست حقيقة مطلقة!

- قالوا: وهذا يندرج تحته السببية وامتناع اجتماع النقيضين وكل شي، فكل هذا نسبي ولا يمكننا التأكد منه.

- قالوا: وهذا منهجنا الذي ينبغي للكل ألا يتبع غيره.

= قلت: وهذا القول الأخير له سبب ، فهم من أكبر شبهاتهم أن أهل الأديان يدّعون الحقائق المطلقة!..

وأنا كمسلم متيقن من صحة ديني وكذا النصرانى ..إلخ .

فيدعي "اللا أدري" أن هذا خطأ ولا يصح أن يدعي أحد امتلاك الحقيقة المطلقة.

وفي معتقده هو لا يقدر أن يدعي الحقيقة المطلقة لأنه نفاها بالفعل.

ثانياً، "الملحد" و"اللا-أدري" ماديان يصدقان أنهم أتيا من مادة عمياء لا تفرق بين الصواب والخطأ ، فادعاء أن الحقيقة المطلقة يمكن أن نعرفها بعقولنا الآتية من مادة عمياء ادعاء ممتنع..

وهذا أقوى ماعندهم في تقرير أدلتهم على هذا المنهج الفاسد!..

ويرد على هذا الهذيان من وجوه:

الوجه الأول:

=أن قولك لا يمكن الوصول لحقيقة مطلقة بالعقل إما أن يكون صوابا أو خطأ

فإن كان صوابا فقد وصلت إليه بعقلك بالفعل فجعلت العقل لا يصل لحقيقة مطلقة" رغم وصوله "

وهذا تناقض ظاهر.

ويبينه الوجه الثاني:

فأنت كملحد , إما أنك تعلم كل شيء أو لا تعلم كل شيء..

فإن كنت تعلم كل شيء لا يصح أن تدعي عدم معرفتك للحقائق المطلقة فمن يعلم كل شيء فهو يعلم أنه يعلم كل شيء!..

وتلك حقيقة مطلقة لأنه يعلمها بيقين.

وإن ادعيت أنك لا تعلم كل شيء فأنت علمت هذا.

وأي عاقل يعرف هذا , فمثلا لا يوجد ممن يقرأ كلامي الآن من هو غير متيقن أنه لا يعلم كل شيء ، بل أن كل من يقرأ كلامي متيقن من أن هناك مسائل يجهلها! وهذه حقيقة وصلنا إليها بالفعل.

فهذا إن دل فيدل على ظلام طريق هؤلاء، فتأمل!..

فالملحد يعلم أنه لا يعلم كل شيء وهذا بحد ذاته أمر صحيح يعلمه، وهو المطلوب.

ثم نلزمه فنقول له:

= ممتاز فأنت تقر معي بأنك تعرف حقائق بشكل يقيني..

- فلو قال: بل لا أقر بهذا

= قلنا له: ممتاز تقر بهذا مجدداً!..

- فيقول: ألا تعقل؟! بل أنا لا أقر بأن العقل يصل لحقائق مطلقة

= فنقول له: إذن ، أنت متيقن أنك تنكر الحقائق المطلقة..! وهذا بحد ذاته حقيقة مطلقة داخلك.

فأنت تعلم أنك تنكرها وعلمك هذا حقيقي.

بل وأنت تدعي أنك تشك في كل شيء ، فلو ادعيت أنك غير متأكد من شكك هذا فأنت كاذب وكذبك ظاهر بالضرورة ، فلو قلت بأنك متيقن من أنك تشك

فقد وصلت لليقين فثبت بطلان قولك القبيح هذا.

وهربوا من هذا بردود ضعيفة كمعتقدهم

- قالوا: نحن لا نعلم الحقائق لكن عندنا غالب الظن

ووضعوا مثالا على هذا..

- قالوا: نحن لا نتيقن أننا موجودون بالفعل..

لكن بنسبة ٩٩٪ نصدق بهذا فنتعامل على أساسه..

= ويرد على هذا بإلزام فيقال له: قولك أن غالب الظن عندك أنك موجود..

هو حقيقة مطلقة متيقن منها أم لا ؟

- ولبجاحة الملحد , يقول: لا بل أنا كذلك أظن أني أظن أني اظن أني موجود إلى مالانهاية..

وهذه سفسطة ظاهرة وترك للعقل وكذب على النفس ظاهر ، فنحن نعلم أنه يثق من أنه يظن ولكن العناد يعمي ، ومع هذا نلزمه بهذا كذلك.

= فيقال له: حسناً سلمت لك بأنه لا توجد حقيقة مطلقة.

لكنك لا تصدق تسليمي هذا لك" بل تظن فقط" لأنك ادعيت أنك لا تصدق شيء بيقين أصلا.

بل وتظن أنك تظن أني صادق إلى مالانهاية من الظنون وبهذا يتوقف تصديقك لموافقتي لك بنفي الحقائق المطلقة على انتهاء مالانهاية من الظنون وانتهاء مالا نهاية تناقض.

وهذا معناه أنك لن تصدق أني وافقتك مطلقاً فتأمل هذا!

وأنت ادعيت أن التناقض مع أنه ليس مستحيلاً ١٠٠٪ لكنه أغلب الظن فيه أنه مستحيل.

فتقع في المحظور فأنت أدعيت أنك تقر باستحالة التناقض بغالب الظن وأنت قلت أنك لا تصدق شيء بيقين ، فيستحيل أن تكون

مصدق بيقين وغير مصدق بيقين حسب ظنك فلن تستطيع تصديق تسليمي لك مطلقا وهو المطلوب.

ونقول نفس الإلزام كذلك في مقالته "لا توجد حقيقة مطلقة" فأنت تدعي أنك تظن هذا القول ولست متأكدا منه وتظن أنك تظن هذا إلى مالانهاية فصحة ظنك متوقفة على انتهاء مالانهاية.. وهذا تناقض وهذا لأنك لن تصدق أنك تظن لأن التصديق واليقين ملغي عندك فتبقى تظن وتظن وتظن بلا يقين والحمد لله الذي عافانا.

وأنت ادعيت أنك تصدق استحالة اجتماع النقيضين بنسبة ٩٩٪ فيكون بغالب الظن أنك لم تظن أصلاً وهذا لأن التيقن من أنك تظن يتوقف على انتهاء هذه الظنون لأن وجود الظن والظن أنك تظن إلى ما لانهاية يقودنا للتناقض وأنت بغالب ظنك لا تصدق التناقض فبغالب ظنك لا تظن أنك تظن أصلا**!** وهو المطلوب.

= ثم نلزمهم إلزام آخر فيقال: هل وصول العقل لأي حقيقة مطلقة مثل وصول عقلك إلى حقيقة أنك كقارئ تقرأ كلامي مثلا ، يحتاج إلى دليل ؟

- فإن قال: نعم..

= قلنا له: وما دليلك أنها تحتاج إلى دليل ..؟!

ولن يعطي دليلا على هذا فيقف حائرا أكثر من حيرته الأولى وسيعلم في نفسه أنه حائر لا حجة معه فالصادق منهم يعلم فساد مذهب "اللا-أدرية" واللا-أدري المتعبد للا-أدريته سيبقى يقول لنفسه : هل أنا حائر وأعرف أني حائر أم حائر ولا أعرف أني حائر؟! وهذا المرض إنما وجِد لنحمد الله على نعمة الإسلام..

*قال تعالى:

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِى مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس ٣٦].

❊ ❊ ❊

مبحث

النقاش مع منكري البديهيات العقلية
مبحث السببية

أما "السببية" فأقوى اصطلاح لها أن كل شيء حادث موجود وجودا حقيقيا ، فهو مفتقر إلى محدِث.

والحادث معناه: الذي له بداية.

والمحدث معناه: المسبب.

والسببية بديهة عقلية.

ولهم في السببية عدة اعتراضات :

وأول خلطهم بها قولهم: "أن السببية معناها أن لكل شيء سبب."

وقالوا: "فالسببية ضدك كمؤمن."

لأن بهذا يجب أن تقول أن الله له مسبب كذلك!..

فيرد عليهم بوجهين:

الوجه الأول :

= أن يقال: هذا ليس تعريفا صحيحاً للسببية، ونحن نتفق معكم على أن هذا التعريف مستحيلاً ، لأنه لو احتاج كل شيء إلى مسبب ، فالمسبب يحتاج إلى مسبب وكل خالق سيكون له خالق إلى ما لا نهاية.

ويكون حينها وجود البشر متعلقا بانتهاء ما لا نهاية من المسببين وانتهاء -ما لا نهاية- تناقض.

فالتعريف خاطئ , وأن يقال "للخالق خالق ولخالقه خالق" إلى ما لا نهاية فهذا قول ممتنع عقلا

والصواب أن المسببات تنتهي لمسبب أول ليس له بداية وليس مسبوقا بغيره.

فتكون السببية أن لكل شيء له بداية قائم بنفسه كالإنسان ، فلابد له من مسبب وهنا نشير إلى نقطة هامة فيقال:

* الممكن الوجود كالإنسان والحيوان بل وكل شيء له بداية ، هو ما أمكن وجوده وأمكن عدم وجوده ، فوجب وجود مسبب يرجح كفة وجوده على كفة عدم وجوده.

لذا يستحيل وجود شيء له بداية بدون مسبب ، فالأصل في الشيء الذي له بداية هو عدم الوجود ، ككلامي هذا ، كان غير موجودا ويستحيل وجوده دون مرجح أو مسبب أو كاتب يرجح كفة وجوده على كفة عدم وجوده.

* أما المسبب الأول: فواجب الوجود.

وجوده واجب وعدمه مستحيل فلا يحتاج إلى شيء يسبب وجوده بعد العدم لأن عدمه مستحيل في حقيقة ذاته أصلا ولم يكن قط غير موجود[١].

- ثم يقول الملحد : العلم أثبت وجود أشياء بلا سبب..

واحتجوا لإثبات هذا بنظريات في فيزياء الكم بحجج تدل على عدم فهمهم لفيزياء الكم فضلا عن فهمهم للقواعد العقلية.

ولن نخوض بنظريات فيزياء الكم الآن فلها تفصيل[٢] قادم إن شاء الله تعالى.

وهنا نرد عليهم ردا إجماليا:

= فيقال: عدم معرفة السبب لا يعني عدم وجود سبب بل يعني فقط عدم معرفة السبب.

ومثال ذلك أنك لو رأيت سيارة حديثة جدا لم ترها من قبل أمام منزلك ، فعدم معرفتك لسبب وجودها أمام منزلك لا يعني أنها وجدت هكذا دون سبب!..

[١] قال الشهرستاني في الملل والنحل : واجب الوجود معناه أنه ضروري الوجود، وممكن الوجود معناه أنه ليس فيه ضرورة لا في وجوده ولا في عدمه٣/ ٢٦

[٢] سيأتي مبحث التعريف بفيزياء الكم وعلاقة الملحد بها وانظر ما بعده أيضا

ولا يمكن لعاقل أن يقول هذا بل هذا اجتماع بين نقيضين
فلو كان كل ما لا نعرف سبب وجوده ، فوجوده يكون بلا سبب!
فعلى هذا لو أن زيدا يعرف سبب وجود السيارة وأنت لا تعرف سبب وجود السيارة وعلى قول الملحد فما نعرف سببه له سبب وما لا نعرف سببه فليس له سبب لقلنا أن وجود السيارة له سبب وليس له سبب كذلك بنفس الوقت "فتأمل" هذا القول كيف يبعد عن العقل والفطرة السليمة.
بل لعل لقائل أن يقول لك : أن العلماء اكتشفوا أسبابا لأشياء لم يكونوا على علم بها
فكأنك تقول أن هذه الأشياء كانت بلا سبب مطلقاً لأن الناس كانوا يجهلون السبب ، والعلماء يكذبون علينا فقالوا اكتشفنا أن لهذه الظواهر الطبيعية أسباب !
أو تقول هي لها أسباب لأنهم اكتشفوا هذا وليس لها أسباب لأن الناس كانت تجهل أسباب هذه الظواهر وما لا نعرف سببه فليس له سبب ، فتجمع بين المتناقضات مجددا
فإما أن تشكك في العلم أو تشكك في العقل "والله الموفق"

وأما الرد التفصيلي :

= أن يقال: إنما ما ادعيتم فيه أنه يحدث بلا سبب هو يحدث في كوننا بالفعل.

مثال: ظهور جسيمات ادعوا أنها ظهرت بلا سبب.

= فيقال: إنما تلك الجسيمات ظهرت في الزمان والمكان ويستحيل وجودها فيزيائيا من دون الحيز المكاني الذي تتواجد فيه فظهر احتياج وجودها إلى الزمان والمكان.

والسببية عبارة عن افتقار شيء لشيء أخر.

والجسيمات تفتقر للزمان والمكان مما يثبت أن لها سبب

وهذا له تفصيل[1] أكبر قادم بمبحث احتجاجهم بفيزياء الكم إن شاء الله تعالى.

أما الرد العقلي :

= فيقال: أن أصل العلوم الفيزيائية هو العقل ، فلو قدحنا بالسببية سنشكك بالعقل ، ولو قدحنا في العقل سنشكك في أصل علم الفيزياء

[1] سيأتي في مبحث الرد على شبهة أن فيزياء الكم تنفي السببية

والقدح في الأصل هو قدح في الفرع كذلك ، وبدون السببية لن نعرف فيزياء الكم فإن قدحنا في السببية سنقدح تباعا في سبب معرفتنا لفيزياء الكم

فلن يحق لك الاحتجاج بفيزياء الكم على شيء أصلا فضلا عن أن تحتج بها لنفي البديهيات العقلية.

فلن يصبح للفرع حجة والفرع هنا هو فيزياء الكم لذا من قدح في السببية فقد قدح في الشيء الذي به نعرف فيزياء الكم ولو بطلت السببية بطلت فيزياء الكم لأنه يستحيل إثبات شيء في فيزياء الكم إلا لو كانت السببية حقيقة مطلقة

فالحق أن الملحد قدح في دليله وهو فيزياء الكم الذي به قدح في السببية ، فثبت أن دليله الوحيد الذي يقدح في السببية باطل ، وهو المطلوب.

وأما قولهم أن السببية بديهة والبديهة عرفناها بالاستقراء أو بالمشاهدة مثل شعورنا بالبرد بسبب الشتاء..

= فنقول له: أنت تدعي أنك علمت البديهة بسبب المشاهدة..

فكيف علمنا أننا نشاهد الواقع..؟ كذلك بالبديهة مثل مبدأ الهوية فأنت تعلم أن السيارة سيارة وليست طيارة!..

وهذه بديهة عقلية.

مما يعني أننا علمنا المشاهدة بالبديهة خلافا لقولهم أننا علمنا البديهة بالاستقراء.

فتبين لنا أن السببية مبدأ عقلي يقيني والقدح في المبادئ العقلية قدح في كل شيء والله المستعان.

وبهذا يتبين عدم فهم الملحد لقول المسلم ولا حجته بل ويتبين كيف أن هؤلاء حاربوا العقل كما حاربوا النقل.

*قال تعالى :

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك ١٠] .

* * *

مبحث

النقاش مع منكري البديهيات العقلية
امتناع اجتماع النقيضين

استمرارا لقدح اللا-دينين في العقل شككوا في مبدأ امتناع اجماع النقيضين

والنقيضان هما النفي والإثبات..

مثل أن يقال : زيد حي ، هنا أثبتنا له الحياة

زيد ليس حياً ، هنا نفينا عنه الحياة.

والامثلة كثيرة :

مثل أن يقال: زيد قادر على السفر ، أو زيد لا يقدر على السفر

والملحد أجاز اجتماع النقيضين..

- قالوا : نحن نعلم امتناع اجتماع النقيضين بالشاهد فقط من الأشياء التي نشاهدها حولنا فنعم نحن لا نرى إنسان موجود وغير موجود بنفس الوقت..

- قالوا : ونحن أثبتنا جواز اجتماع النقيضين بفيزياء الكم أي فيزياء الجسيمات الأصغر من الذرة.

= وهذا الهذيان يرد عليه من عدة اوجه:

الوجه الأول :

= أن يقال: فيزياء الكم فيزياء احتمالية بالاتفاق ، وأنت جزمت بأن الإلكترون يجتمع فيه النقيضان وهذا الجزم مخالف لفيزياء الكم .

وتفصيل هذا بشرح شبهاتهم في فيزياء الكم وتوضيح ضعف الملحد بها.

ثم نرد عقلا :

= فيقال: قولك هذا يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ

فإن كان قولك "يجوز اجتماع النقيضين" صوابا..

فبالتالي كأنك تقول: "مستحيل اجتماع النقيضين"

لأنه يجوز عندك أن يكون مستحيلا اجتماع النقيضين ولا يستحيل اجتماع النقيضين بنفس الوقت!..

وفضلا عن أن هذا مخالف للعقول فإنه أيضا حجة ضدك كملحد وليتبين الأمر أكثر..

- لو قال ملحد "لا يستحيل اجتماع النقيضين"

= نقول له: هل ممكن أن يكون اجتماع النقيضين مستحيلا وغير مستحيل في نفس الوقت؟

- لو قال: ممكن ، فهنا هو لم ينفِ قولي أن اجتماع النقيضين مستحيل بالفعل .. فقولي مازال قائما.

- ولو قال: لا يمكن ، خالف نفسه..

وهذا لا محيد له عنه يلزمه وهو حق ظاهر فإن أجاز الملحد اجتماع النقيضين لا يستطيع بعدها إثبات خطأِ قولي بامتناع اجتماع النقيضين ، وهو المطلوب.

ثم لهم طريق آخر ..

- فيقول: ما دليلك على أن اجتماع النقيضين مستحيل؟

= فالرد هنا أن يقال: المعارف الضرورية لا تحتاج إلى دليل غير نفسها لأننا إن احتجنا إلى دليل فالدليل يحتاج إلى دليل , إلى ما لا نهاية..

وهذا يوقف احتمال معرفة أي شيء.

فوجب الرجوع لمعرفة ضرورية بنفس كل إنسان دليلها في نفسها كذلك أن يقال اجتماع النقيضين ممتنع التصور ، فلا يمكن أن نتصور وجوده بالحقيقة ، فلا يمكنك كقارئ أن تتصور وجود زيد وعدم وجوده بنفس الغرفة**!** "نعم" يمكن أن يقال بأنك تتصور عدم

وجود زيد في غرفته وتتصور وجوده في غرفة أخرى ، لكن هنا اختلف المكان فلا تناقض أصلا

ويمكنك أن تتصور وجود زيد الآن في الغرفة وعدم وجوده فيها بعدها ، لكن هنا اختلف الزمان

أما أن يقال بأنه موجود وغير موجود بنفس الغرفة وبنفس الوقت فهذا هو التناقض وهو الذي يمتنع تصور وجوده قط.

الوجه الثالث :

= أن يقال: نحن نعلم أن اجتماع النقيضين معدوم

والعدم أو اللا شيء ، ممتنع وجوده.

الوجه الرابع :

= أن يقال: لو كان اجتماع النقيضين جائزا لأمكن أن يكون جائزا وغير جائز في نفس الوقت وهذا مستحيل عند كل عاقل.

= ثم يقال لهذا التارك للعقل والدين:

أنت عرفت جواز اجتماع النقيضين بماذا؟ بالعقل أم بالحس؟

- لو قال بالعقل لكان كاذباً فالعقل هو من حكم بامتناع اجتماع النقيضين.

- ولو قال بالحس ، فالحس أكبر شاهد على امتناع اجتماع النقيضين فلا نرى بالواقع حي وميت بنفس الوقت قط..

وعنده حل واحد فقط يمكن فيه اجتماع النقيضين وهو أن يعترف فيقول أنه عرف هذا بالهوى وحينها فقط يمكن أن يكون مصيباً.

ثم نلزمه بادعائه جواز اجتماع النقيضين ، فأي تناقض تظنه وتدعيه كملحد بين الدين والعلم فهو جائز.

وذات مرة ناظرت أحدهم فقال لي: هل الله قادر على أن يخلق مخلوقا مثله؟

- قال: فإن كان قادرا فهذا تناقض.. كيف له أن يخلق مخلوقا مثله والله غير مخلوق والمخلوق مخلوق؟

وإن كان غير قادر .. كان هذا عجزا..

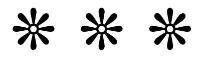
= فقلت له: الإجابتان ضدك..

- قال كيف؟

= قلت: لأنك قلت لي من قبل أنه يجوز اجتماع النقيضين..

فيمكن أن يخلق مخلوقا مثله وفي نفس الوقت لا يقدر على أن يخلق مخلوقا مثله.. وهذا تناقض وأنت قلت: أن اجتماع النقيضين ممكن.

أما لو قلت لك نعم مستحيل أن يخلق مخلوقا مثله وهو قولنا..
لأن اجتماع النقيضين لا شيء في الواقع وهو عدم.
والله قادر على خلق كل شيء ولا يقال أنه قادر على خلق اللا شيء فلا تناقض أصلا.
وهذا المثال وضعته لأبين منه ردي الأول فالملحد يريد أن ينفي قدرة الله بامتناع اجتماع النقيضين.
رغم أنه يقنع نفسه بجواز اجتماع النقيضين!..
وهذا هو الهوى المذل للنفس فانظر كيف حاله فقد أعجز نفسه عن أي رد!..
والله الموفق.



مبحث

النقاش مع منكري البديهيات
هل البديهيات العقلية تعمل خارج الكون؟

وبعد أن ألزمناهم بالسببية والحقائق المطلقة وامتناع اجتماع النقيضين..

- يقول الملحد: "اتفقت معك على أن البديهيات العقلية صواب لكن ما الدليل على أنها تعمل خارج الكون؟."

وللملحد في هذا قولان:

- الأول أن يقول: هي لا تعمل خارج الكون

- والآخر يقول: لا نعلم هي تعمل خارج كوننا أم لا

ويرد عليهم بالآتي :

= من قال أن البديهيات تحتاج إلى دليل؟

إن قال "ما دليلك على البديهيات؟ -"

= نقول له:

وما دليلك على أن البديهيات تحتاج إلى دليل اصلا؟

- فإن قال: "أعرف انها تحتاج إلى دليل بالبداهة" .. ناقض نفسه لأنه هنا احتج بالبديهة بالفعل ولم يجعلها بحاجة إلى دليل.

- ولو قال: "كل شيء يحتاج إلى دليل.. "

= نقول له: وهل مقولتك "كل شيء يحتاج إلى دليل" تحتاج إلى دليل أيضا أم لا؟

- لو قال: "لا تحتاج إنما أعرف هذا بالبديهة.."

فقد ناقض نفسه فهو يدعي أن كل شيء محتاج إلى دليل.

= ثم نقول له:

أنت تدعي أن مقولة "كل شيء يحتاج إلى دليل" لا تحتاج إلى دليل فهذا تناقض لأن مقولتك هذه شيء..

فكيف تقول كل شيء يحتاج إلى دليل ومقولتك تلك لا تحتاج إلى دليل؟

فهنا كأنك تقول كل شيء يحتاج إلى دليل وليس كل شيء محتاج إلى دليل وهذا تناقض.

- ثم لو قال: "أنا أدعي أن البديهيات كلها تحتاج إلى دليل ، واحتياجها إلى دليل لا يحتاج إلى دليل.."

= فنقول له: أنت تدعي أن ادعاءك أصلا بديهة..

فقولك أن البديهيات تحتاج إلى دليل واحتياجها إلى دليل بديهة وهذه البديهة لا تحتاج إلى دليل.. تناقض أظهر من الشمس.

= ثم يقال له:

لو عرضنا على العقل أن البديهيات لا تحتاج إلى دليل خارج عنها لأن دليل صحتها ذاتي..

وعرضنا على العقل قولك هذا..

وهو أن البديهيات تحتاج إلى دليل واحتياجها إلى دليل لا يحتاج إلى دليل .. لوجدنا العقل يجزم بقولنا ويرفض ما تقول جملة وتفصيلا.

فنحن نجد العقلاء يسألون عن سبب كل شيء أمامهم..

ولكنهم لا يسألون عن سبب السببية**!** فظهر أن العقل يجزم بقولنا ويجزم بسخافة قولكم وهو المطلوب.

والقصد هنا أننا لا نحتاج إلى دليل لنثبت البديهيات داخل كوننا ، فكذلك الأمر خارج كوننا..

والعقل الذي لا يتصور اجتماع النقيضين داخل الكون هو نفسه لا يتصور اجتماع النقيضين خارجه..

=ثم يقال بإلزام لا محيد لهم عنه:

أنت تدعي أن معرفتنا للبديهة تحتاج إلى استقراء[1]، بمعنى أننا نحتاج إلى المشاهدة لكي نعرف البديهة..

= فيقال لك: كيف علمت أن ما تراه هو هو وليس غيره؟

مثال:

= أنت عرفت أن الشمس موجودة..

لكن كيف علمت أن الشمس هي الشمس ليست أنت مثلاً ..

= نقول عرفت هذا بالبديهة.

مما يثبت أنك تعرف الشمس بالبديهة ولا تعرف البديهة بالشمس وهذا ينطبق على كل مثال.

وهناك إلزام أخر نافع جدا في هذا الباب

- وقد ناظرت أحدهم في مرة فقال لي بأن البديهيات تعمل في كوننا ولا تعمل خارجه

= فقلت له : دع عنك خارج الكون الآن.

أخبرني كيف علمت بأن البديهيات تعمل قبل وجودك ؟؟

---

[1] الاستقراء اصطلاحًا: هو الحكم على كلي لوجوده في أكثر جزئياته، وسمى استقراء؛ لأن مقدماته لا تحصل إلا بتتبع الجزئيات. انظر: التعريفات للجرجاني ص (١٨)، الأخضري في السلم ص (٣٧).
مختصر أصول الفقه لابن اللحام ص (١٦١).

- فسكت لدقيقة ثم قال : لأنه لا يوجد مثلا اجتماع للنقيضين قبل وجودي.

= فقلت له : هذه مصادرة على المطلوب! كيف علمت بأن النقيضين لا يجتمعان قبل وجودك؟

= ثم أثقلت السؤال عليه فقلت له : إما أنك عرفت هذا بالنقل أو بالعقل

فلو علمتَ هذا بالنقل فيجوز أن يكون ما نقلوه لك صحيحا وخاطئا معا في نفس الوقت لأنك لم تثبت بعد امتناع اجتماع النقيضين قبل وجودك! فكيف تجزم باستحالة هذا الاحتمال ياترى ؟

أما لو أنك عرفته بالعقل' فدلالة العقل على عمل البديهيات قبل وجودك هي بعينها دلالتها على عمل البديهيات قبل الكون.

فسكت ثم قال دعني أفكر !

- ثم قال : قد رصدنا بحواسنا عمل البديهيات قبل وجودي ، مثل رصدنا للشمس أنها موجودة قبل وجودي ، وهذا ينفي أنها معدومة ، ثم لولا وجود البديهيات قبل وجودي لما أمكن وجودي أنا! فلو كانت الشمس موجودة وغير موجودة لما كنت موجودا ،

لأن عدم وجود الشمس يستلزم عدم وجود كوكبنا لاحتياج الكوكب إليها فضلا عن احتياج وجودي إليها.

= فقلت له : يا سبحان الله! تحتج بهذا وهو ضدك فكذلك عدم وجود البديهيات قبل الكون تمنع من وجود الكون ، فلو جاز وجود كوننا بعد أن كان لا شيء دون أي سبب لأن البديهيات لا تعمل قبل وجوده حسب معتقدك ، فكذلك يجوز وجودك دون أي سبب مطلقا فضلا عن الشمس والقمر!

فاندهش من هذا الرد وبقى صامتا عاجزا

= ثم قلت له : أما قولك بأنك رصدت وجود الشمس قبل وجودك ، فما المانع من أنها كانت موجودة وغير موجودة

بل ما المانع من أن كل ما اكتشفه العلم أن يكون صحيحا وغير صحيح قبل وجودك؟ فتكون معلوماتك عن كل شيء قبل وجودك غير صحيحة ولو رصدتها لجواز التناقض وقتها ، فأنت لم تثبت امتناع التناقض حسب منهجيتك بعد!

= ثم قلت له : الرصد ليس دليلا لأن رصدك لوجود شيء قبل وجودك لا يمنع من عدم وجوده إلا لو قلت أن ما ثبت وجوده امتنع عدم وجوده

وهذه قضية عقلية وليست حسية تخضع للرصد

- فرد قائلا : البديهيات موجودة قبل وجودي في كوننا وهذا لا يحتاج إلى دليل أصلا.

= ثم ألزمته بإلزام أخير فقلت له : لو كانت البديهيات دليلها خارج عنها ، فأنت تحتاج إلى دليل يثبت وجودها قبل وجودك

ولو كان دليلها ذاتي ، فهي ثابتة سواء بوجودك أو بعدمه وسواء بعد وجود الكون أو قبل وجوده

لأن البديهيات تنطبق على كل موجود.

وهذا لأنك إما أن تقول أن هناك معارف دليلها ذاتي أو تقول أن كل معرفة تحتاج إلى دليل خارج عنها

فلو كانت دليلها ذاتي فهو ينطبق على كل موجود داخل الكون أو خارجه

ولو كانت كل معرفة تحتاج إلى دليل خارجي فالعباد لن يعرفوا شيء

فتأمل لو قيل لك أنك تحتاج إلى دليل يثبت أنك تفكر في كلامي هذا وإلا فأنت لا تفكر فيه! ، ومهما وضعت من أدلة فكل دليل يحتاج إلى دليل إلى ما لا نهاية

لأن الملحد المسفسط لا يوجد عنده دليل ذاتي يرجع إليه ، خلافاً للعقلاء.

فالعاقل يقول لنفسه ، أنا فهمت الكلام هذا لأني قرأته بتركيز ، ولا يقول ما دليلي بأني قرأت أصلا!! والعاقل يقول أنا موجود ولا يقول ما دليلي أني موجود ! لأن هذا دليله ذاتي

والعجيب أن الملحد يظن أن نظرية التطور عليها أدلة ووجوده هو لا دليل عليه والله المستعان.

- ثم قال لي سأبحث عن رد على هذا ، ومن أشهر مرت ولم يعد، فقاتل الله العناد كيف أعمى أمثال هذا.

نختم (بمثال القاضي):

- فإن قال: "سلمنا أن البديهة تصح داخل الكون وخارجه ، لكن ما دليلك أن الناس كلهم عندهم نفس العلم الضروري بمبدأ السببية والهوية ..إلخ؟ "

= نعطي مثال القاضي:

فلو أتينا لقاضي بأي دولة بالعالم وقلنا له: "زيد سرق" ورأى القاضي واقعة السرقة بعينه

سيقول لزيد: أنت سارق

فإن قال زيد: نعم سرقت ولم أسرق

سيعدمه القاضي لضعف عقله ولأثره السيء على الناس.

ولو قال للقاضي: "السرقة ليست هي السرقة" .. حينها سيحمد القاضي ربه على نعمة الدين وأن الله لم يبتليه بالإلحاد

ومثال القاضي ظاهر , فكل قارئ يعلم بداخله علما ضروريا أنه لا يوجد قاض في العالم سيقبل ادعاء هذا المتهم الملحد المسفسط لأن العلم الضروري بالسببية والهوية وامتناع النقيضين شيء فطري ضروري يتعامل به كل مخلوق.

والقصد أن البديهة دليل صحتها ذاتي لا يحتاج إلى دليل أخر .. لذا من أشنع المقولات مقولة القائل :

" -أنا أفكر إذا أنا موجود"

= فقالوا له: ما دليلك أنك تفكر؟

- فقال: البديهة.

= فقيل له: وكذلك العلم الضروري حاصل بأنك موجود ، ولا تحتاج إلى دليل أخر لتثبت وجودك كما أنك لم تحتاج إلى دليل أخر خارجي يثبت لك بأنك تفكر ، فلا تحتاج أن تثبت لنفسك أنك موجود كما لم تحتاج أن تثبت لنفسك أنك تفكر.

وهذا معلوم بالضرورة , فهل القارئ لكلامي هذا يشك في أنه يفكر الآن ..! أو أنه يقرأ ..!؟

فهذه مسائل ضرورية تعرف صحتها بالبداهة لا تحتاج إلى دليل منفصل.

ومقولة أن كل دليل يحتاج إلى دليل تقودنا إلى التسلسل اللانهائي وانتهاء مالانهاية من الأدلة ممتنع.

ومن أدل ما يبين فساد قول القائل أن البديهيات تعرف بالمشاهدة فقط هو أن الإنسان لم يشاهد من قبل كائن حي من كوكب آخر.

ومع هذا فنحن نعلم أن هذا ممكن عقلا ، والناس لم تشاهد إنسان يطير ومع هذا فالإنسان قد يرجو أن يقدر على الطيران دون طائرة

من بلد إلى بلد بمساعدة بعض الأجهزة في المستقبل ، مع أن هذا كله لم نشاهده

والعقل يمنع من وجود إنسان يطير ولا يطير بنفس الوقت

فيجزم العقل بأن المثال الأول ممكن وقوعه والمثال الأخير يستحيل وقوعه

وهذا كله مع أن البشر لم يشاهدوا لا هذا ولا ذاك فحكم العقل اختلف رغم أن حكم عدم المشاهدة واحد فحكم العقل باستحالة أو إمكان وجود الشيء لا علاقة له بالمشاهدة بحال من الأحوال.

فقد رأيتم كيف نحاول أن نبرهن للملحد أنه يجب عليه أن يثق في عقله لكنه كما ترون يظن نفسه لم يتطور بعد!..

*قال تعالى :

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ١٧١].

* * *

مبحث

الرد على من لا يصدق أن الحس مصدر للمعرفة

في بداية هذا المبحث أنوه على مسألة لعلك لاحظتها كقارئ ، وهي إلزام المخالف ببيان أدلة أو كيفية وصوله إلى ما يدعي من اعتقاد.

مثاله موضوعنا هذا:

= نسأله: ما دليلك على نفي أن الحواس مصدراً للمعرفة؟

(وهذا هامٌ فكما نفعل في غير هذا الموضع عند مناظرة منكري السنة عندما يقولون نحن لا نحرم شيء إلا بنص القرآن ولا عبرة لأقوال النبي صلى الله عليه وسلم

ثم يقولون في موضع آخر بأنهم لا يقبلون زواج الفتاة إلا لو بلغت سن الثامنة عشر ،

فيقال لهم : ما دليلكم من القرآن على تحريم زواج ما دون سن الثامنة عشر كمثال؟

وهذا إلزام بمعتقده وكذلك إلزام له بأن يبين صحة إفساده لزواج ما دون سن الثامنة عشر من نفس المصدر الوحيد الذي ارتضاه لنفسه وإذا تبين لك هذا نعود إلى موضوعنا).

- قالوا: "الحواس لا يمكننا اليقين بها..

- قالوا: "ونحن علمنا هذا لأننا كنا نظن الشمس صغيرة ثم وجدناها كبيرة عند التحقيق ..

- قالوا: "فهي تبقى نسبية على كل حال ، ولا نستطيع الوثوق بها"

= قلت: وسبب هذا خطأ شائع عندهم في عامة مصادر المعرفة، فهؤلاء الملحدون عندما يرون حسا يخطئ، وخبرا لا يصدق، يظنون أن هذا يشمل كل خبر، وكل حس، والصواب أنه كما أن هناك بعض الأخبار الكاذبة فكذلك توجد بعض الأخبار الصادقة ، وكما أن هناك حس يخطئ فكذلك توجد مسائل تعرف بالحواس وصحيحة .

ويرد على دعواهم من وجوه:

الوجه الأول هو عين مثالهم هذا:

= فهل أنتم علمتم أن الشمس كبيرة بالحواس أم لا؟

فتلك الأجهزة التي علمنا بها حجم الشمس وأن الشمس كبيرة جداً استعملنا ، الحواس حتى نرى بها..

فلو كانت الشمس صغيرة فالحواس صادقة,

ولو كانت كما هو معلوم أنها كبيرة فهناك حس قطعي بالفعل وهو الذي علمنا به هذه المعلومة.

الوجه الثاني:

= أنت عرفت كبر حجم الشمس بالحواس..

فإن كان هذا صحيحاً كانت حواسك هنا صحيحة , وهو المطلوب.

وإن كان هذا باطلاً كانت شبهتهم باطلة.

ثم يقال لهم:

= هل عرفتم خطأ الحس بالحواس أم بالعقل؟

- إن قالوا : "بالعقل.. "

= قلنا: لا يوجد شيء ينفي حجية الحواس عقلا , بل العقل يحكم بثبوتها فكما أن العقل يحكم أنه ما من موجودين إلا وأحدهما داخل الآخر أو خارجه.

فيعلم يقيناً أن الحس لا يرى موجودين إلا وأحدهما داخل الأخر أو خارجه.

فيطابق الحس العقل.

بل يمتنع أن لا يطابقه في مثال كهذا أصلاً..

- وإن قالوا: علمنا خطأ الحواس بالحواس.

= فيقال لهم: إما أن قولكم صواب أو خاطئ.

فإن كان صوابا فالحواس التي علمتم بها "خطأ الحواس" هي قطعية كذلك .. لأنكم علمتم بها خطأ الحواس.

وهذا تناقض لأنكم علمتم بها شيئا حقيقيا رغم دعواكم أن الحواس مخطئة لا يعرف بها شيء حقيقي!..

- وإن قالوا: هذا مجرد ظن , فنحن قد نرى الشيء وعكسه مثل "مثال الشمس."

= فيقال لهم: هذا يحدث , والعقل يحكم أيهما القطعي على حسب الأحوال فنحن نعلم أن كلما بعد الجسم تراه العين أصغر وكلما اقترب تراه أكبر.

فالعقل علم أن من حدود البصر إن كان سليما فإنه يرى الشيء على حقيقته كلما كان منه أقرب ، حتى نصل إلى اليقين ، وكلما كان المنظور إليه أبعد كلما كان اليقين في هذا الحس أبعد.

فنحن نعرف الشيء على ما هو عليه لو كانت الحواس سليمة

والأحوال مهيئة لذلك كيقين القارئ من قراءة كلامي هذا وكذلك الأصوات المسموعة ..

فكلما كان الصوت المسموع أبعد كلما كان السمع غير واضح.

وفي هذا حجة عظيمة فأنت لو رأيت رجلا يتألم ويصرخ ، هل تشك في رؤيتك هذه!! وحسب منهج هؤلاء فقد تقول بأن الحس لا يوثق فيه فتترك هذا الرجل! بل قد تظن بأن الحس يتوهم فالرجل سليم جدا ولا يحتاجك.

وهناك حجة أخرى: فالإنسان لو سرق وعلم بأن واقعة السرقة قد تم تصويرها ، فهو يتيقن من أن القاضي لو رأى فيديو التصوير سيحكم عليه بالعقوبة ، وهذا لثقته التامة من أن حواس القاضي إن كانت سليمة فلن يعلم إلا أني سرقت! والناس تتعامل بهذا لعلمهم الضروري بصحة هذا كله فتأمل.

فالحس يشاهد والعقل يحكم بالصحة أو بالخطأ حسب قدرة الحس على رؤية أو سماع الشيء على ما هو عليه ، والعقل يعرف ذلك كله.

والعجيب أني أشرح هذا مع أن الكل يتعامل بهذا ليل نهار أصلا**!** وهو ضروري بديهي عند كافة العقلاء.

والقصد هنا أنه لا حجة لهم على أي اعتقاد كما نرى لذا فمثل هذا يمسك ويضرب حتى يعترف أنه يحس ويتيقن من هذا ثم بعدها نبدأ بمناظرته.. والله الموفق.



مبحث

تنبيهات للمؤمن
عندما يسأله اللا-ديني في البديهيات

وفي هذا مسلك عام أردت أن أنبه عليه..

فالمؤمن قد يحاور ملحدا فيسأله الملحد : ما دليلك على صحة البديهيات العقلية؟ ما دليلك عندما تشعر بالتعب بأن شعورك صحيح؟ أو بأنك تشعر أصلا!

والمسلم في هذا الحال مندهشا من السؤال! مع علمه بنفسه بأنه على حق ، ولكنه لا يعلم كيف يثبت ذلك! مع أن هذه الأشياء هي أظهر الأمور بالنسبة للإنسان.

بل الأعجب من هذا أن المؤمن لو قيل له ما دليلك على تفوقك في الامتحان ، لأتى المؤمن بشهادته التي يثبت بها تفوقه..

ثم لو قيل له مادليلك على أن رؤيتك ورؤيتي للشهادة صحيحة لما عرف كيف يرد!

رغم أن هذا أظهر بكثير من ظهور تفوقه بالامتحان ، فيجد نفسه قادرا على وضع أدلة على صحة بعض الأمور الخفية تماماً ، ثم لا يعلم دليلا واحدا على صحة أظهر الأمور وهي البديهيات العقلية أو

ماثبت بأنه يشعر به بيقين ، كشعور الإنسان بأنه يريد النوم أو بدوار في الرأس .. إلخ.

ولو فطن المؤمن هنا لعلم بأن هذه الأشياء لظهورها لم تفتقر إلى دليل خارجي فالبديهيات يحتج بها لا يحتج عليها

ولذلك المؤمن وإن لم يعرف هذا التأصيل فقد يسخر من اللا-ديني ويسفه من قوله مع عدم معرفته لهذا التأصيل ، لأنها أظهر عند العقلاء من أن تحتاج إلى دليل خارجي يثبتها ، لذا فالضروريات العقلية والحسية يبنى عليها لا يبنى إليها.

وهذا ينطبق على كل المسائل الضرورية ، فالظلم مثلا قبيح في ذاته ، ولا يمكن لعاقل أن يسأل ما دليلك على أن الظلم قبيح! لأن قبحه معلوم بالضرورة.

لذا قال تعالى:

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

مادحا نفسه بهذا، ولو لم يكن الظلم قبيحا في ذاته لما مدح الله نفسه بهذا.

ولأن القرآن كلام الله وجاء مخاطبا للعقول فقد جاء موافقا للعقل وضروريات العقل لأن الذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل

ويستحيل أن يرسل إليه ما يفسده ، فإذا تعارض العقل مع النقل فإما أن النقل لم يثبت أو أن العقل لم يفهم النقل بشكل صحيح.

وأدلة إثبات أن القرآن كلام الله كثيرة وسأذكرها بتفصيل لاحقا إن شاء الله.

والقصد هنا بأن اللا-ديني المنكر للبديهيات قد يضع شبهة يدعي فيها بأن الله عز وجل ظالم حاشاه ، ثم لو قيل له ما دليلك بأن الظلم قبيح لا يعرف كيف يرد ! وهذا لأن البديهيات لا يستدل عليها بل بها ولكن العجب هنا أنه يحتج بالبديهيات فقط عندما يطرح شبهاته! فلو كانت البديهيات بحاجة إلى أدلة

فمن قال أن لو أن الدين فيه تناقض أو أن الدين ناقض العقل أن الدين خطأ! فلو كان امتناع التناقض لا دليل عليه كما يعتقد هؤلاء، فلا مانع من أن نجد تناقضا في الدين ثم نقول بأن الدين المتناقض هذا صحيح وهذا لنبين لكم الهوى عند هؤلاء ، وإلا فالحمد لله فديننا لا تناقض فيه وسأذكر بعض ما ظنوا فيه التناقض وأبين قلة تحصيلهم فيه تباعاً إن شاء الله

وأما مسألة الظلم فكل إنسان يعرف بأنه قبيح ، وكل شبهة يظن المخالف أنها تثبت الظلم لله فقد غلط فيها غلطا ظالماً ، وسأذكر بعض شبهاتهم في مباحث قادمة

ولو يسر الله سأكتب كتابا كاملا يتعلق ببيان أن الله لا يتصف بالظلم وسأذكر كل شبهاتهم وسأبين أن كل شبهة يذكرها هؤلاء تثبت خلاف ظنهم بأن الله قد يتصف بالظلم ، كما سأبين بعض هذا لاحقاً في هذا الكتاب عند ذكر شبهاتهم حول مسألة الظلم إن شاء الله تعالى.

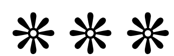
ثم أن هؤلاء يتعاملون بالبديهيات العقلية في نقاش الشبهات فقط ، لأن البعض قد يكون جاهلا بمسألة في الدين كما لو قيلت شبهة لغوية يقول صاحبها بأن الدين تناقض مع اللغة ، فالمسلم لو لم يدرس لغة عربية لن يعرف رد هذه الشبهة.

ولكن لو ألزمت الملحد بأن العقل يثبت وجود الله والعقل يقطع بصحة التواتر كما سيأتي ، ثم أن معجزات النبي متواترة والمعجزة تدل على تأييد الله له فثبت بأنه رسول من عند الله.

فهنا يقول كثير منهم بأني لا أصدق العقل وكل البراهين العقلية لا دليل عليها!

فأكثر هؤلاء من أهل الأهواء والباحث منهم سيعود لاتباع الدين يقينا عندما يتعرف على الحجج اليقينية.

والله الموفق.



مبحث

نقاش مع من يقول لا أصدق إلا العلم

وهذا أشهر قول عند الملحد..

- قالوا: "نحن لا نصدق إلا العلم.. "

- قالوا: "ولأن الواقع أثبت أن العلم حاكم ولولاه لما وصلنا إلى كل هذه التطورات.. "

وأعطوا على هذا حجج:

- قالوا: " لو قلنا للعاقل من قرون أن هناك إنسان سيتواصل مع آخر عبر هاتف من بلد لبلد لما صدق هذا.. "

- قالوا: "أما الآن فنحن نرى أن هذا حدث بالفعل فالعلم مقدم على العقل بل ومقدم على الخبر.. "

- قالوا: "نحن في زمن العلوم .. يمكننا التأكد من كل شيء بالحواس والأجهزة التي تفيد الحواس لنعلم بها صحة الشيء بيقين.. "

وهؤلاء ادعوا أن العلم أثبت بعض الأمور ..

- فقالوا: "والعلم أثبت أزلية الطاقة والمادة.. "

- وقالوا: "أن العلم أثبت أن هناك أكوان متعددة يمكن أن ينتج منها كوننا هذا بهذا الإحكام دون أن يقال صدفة" ..

= قلت: وتفصيل قول الملحد هنا أننا ألزمناه أن كوننا هذا منظم جدا.

- فرد علينا وقال: "كوننا وسط مليارات الأكوان العشوائية ومن المتوقع أن يخرج من هذا الكم من الأكوان، كون منظم.."

انتهى.

وهذا كل قول يمكن أن تجدوه منهم في هذا الباب إن شاء الله تعالى , والرد عليه بتفصيل يرد على عامة أفكارهم وحججهم الخاطئة المخالفة للعقلاء كما بيناه ونبينه وسنبينه بتوفيق رب العالمين.

ويرد على هذا الطرح من وجوه:

الوجه الأول:

= أن يقال: إن طرحكم كله مبني على مقدمة خاطئة ومقدمة غير مسلمة.

أما المقدمة غير المسلمة فالمخالف لكم لم يسلم لكم أن العلم مطلق ، ويحق له أن يقول "أن العلم نسبي" فالناس من قبل إن حكمت

بامتناع وجود هواتف نتحدث بها من بلد لآخر، فهؤلاء حكموا بهذا بناء على علومهم في وقتها ، فاعتمادهم على النتائج العلمية وقتها كان سبباً في حكمهم هذا" فثبت أن العلم نسبي فكيف جعلته حاكماً على العقل بعد هذا..؟!

وهذا القول وإن كان على غير إطلاقه" فإن العلم التجريبي مثله مثل عامة الأمور الأخرى , فيه أمور صحيحة كوجود هواتف الآن نتواصل بها،

وفيه أمور خاطئة كمن حكم على امتناع وجود تلك الهواتف قبل عشرة قرون..

وفيه حقائق صحيحة ثابتة ، وفيه نظريات تبين غلطها وفسادها مع مرور الوقت.

والقصد أن دعواك كملحد أن العلم تفوق على العقل ضدك ، فمن قال بعدم وجود هواتف مستقبلية حكم بهذا بناء على العلم وقتها أما العقل فيجيز هذا..

لذا ترى عامة من آمن بالله يصدق بوجود المعجزات ، لأنها ممكنة عقلاً مستحيلة في العادة فقط..

والعقل يجيز أن توجد سيارات طائرة وكائنات حية حديدية .. إلخ ومن صدق النبي صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج فقد صدقه بناء على صدق نبوته وتجويز العقل لهذه المعجزة وأما من كذبوه فقد اعتمدوا على علومهم وعاداتهم.

لذا فتعريف المعجزة: هو أمر خارق للعادة[1] فالعادة هي التي منعت هذا ، وأما العقل فيجعل هذا كله في حيز الإمكان ، وإلا فهل هناك عاقل يقرأ كلامي الآن عقله جعله يقول بأن وجود سيارة تطير في المستقبل مستحيل! إنما الواقع العلمي فقط من لم يكتشف ذلك بعد" وهذا كله ظاهر والحمد لله وأما المقدمة الخاطئة فهي تجوزيهم مخالفة العلوم الصحيحة للعقول الصريحة!..

وهذا كما وقع فيه المتكلمون عندما جوزوا مخالفة العقول لصريح المنقول ، فقد وقع فيه الملحدون وهم أشد الناس كفراً ، فجوزوا مخالفة ما علمنا بالعلم صحته لما علمنا بالعقل صحته ، وهذا لغلط شائع فنحن نعلم أن العقل به أمور قطعية مثل السببية ، وبه أمور خاطئة قد يحكم بها من استعملوا حججا عقلية خاطئة ، كمن قال

[1] الواضح في علوم القرآن ١٥١/١

بأن هناك موجود لا داخل العالم ولا خارجه ، وقال هذا بناء على حجج عقلية ظنية تخالف الحجج العقلية القطعية..

وكذلك العلوم` فهناك علوم صحيحة كالقوانين الثابتة بمئات التجارب ، وهناك علوم لم تصح مثل كثير من النظريات العلمية كنظرية التطور كما سنبينه بموضعه إن شاء الله.

فخطأ هؤلاء ظنهم أن العلم إن صح فهو يخالف العقل لو كان قطعياً ، بالرغم من أن هذا جمع بين نقيضين فالصحيح لا يناقض الصحيح.

فالصحيح علمياً لا يناقض الصحيح علمياً والصحيح من نقلا لا يناقض الصحيح نقلا والصحيح عقلا لا يعارض أيضا الصحيح عقلا

وهذا لأن المسائل القطعية الصحيحة لا تتعارض.

فكذلك الصحيح علميا لا يتعارض مع الصحيح عقلا.

ولذلك فالعقلاء يعلمون بأن القطعيات لا تتعارض فقطعي العقل لا يعارض قطعي العلم ، ولو حدث تعارض فيحدث إما بين نظرية

علمية ظنية تخالف بديهة عقلية يقينية ، أو يحدث التعارض بين قانون علمي ثابت في مقابلة حجة عقلية ظنية.

فالظني قد يعارض القطعي"

أما القطعيات فيثبت بعضها بعضا وتعارض المسائل القطعية جمع بين نقيضين ممتنع .

الوجه الثاني:

= نلزم هذا المدعي للعلوم فيقال له:

هل العلم هو المصدر الوحيد للمعرفة؟

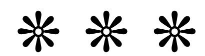
- فيقول: "نعم.. "

= فيقال له: أثبت لي بالعلم بأنه لا يوجد مصدر آخر للمعرفة غير العلوم التجريبية ..؟

وهذا ممتنع فالعلم قائم على العقل والخبر.

فكيف يمكن لهذا الجاهل أن يثبت بالعلم عدم صحة العقل والخبر كمصادر للمعرفة ؟!

فإن لم يجد ولن يجد دليلا علميا ينفي وجود مصادر للمعرفة غير العلم ، فلا يستطيع نفي أي مصدر من مصادر المعرفة كالعقل والخبر ، وهذا إلزام مهم فوجب تعلُّم إلزام المخالف بما يعتقد , وأما شبهاته التي احتج بها حول العلوم فنرد عليها تباعاً كل شبهة بتفصيل تام إن شاء الله تعالى.



مبحث

التعريف بفيزياء الكم وعلاقة الملحد بها

فيزياء الكم هي فيزياء الجسيمات التي هي أصغر من الذرة وهي فيزياء احتمالية..

أما فيزياء ما فوق الذرة تسمى بالفيزياء الكلاسيكية وهي فيزياء حتمية..

حيث أننا نستطيع أن نعلم مكان وسرعة الجسم فوق الذري..

مثال :

نحن نستطيع حسب الفيزياء الكلاسيكية معرفة مكان وسرعة حركة الإنسان في نفس الوقت ، أما في فيزياء الكم فلا ، لذا قالوا بمبدأ عدم اليقين[1] في فيزياء الكم.

والملحد يظن أن مبدأ عدم اليقين هو عدم اليقين بالحقائق وهذا لضعف فهمه بالعلوم.

وعدم اليقين بفيزياء الكم هو أنك لن تستطيع أن تعرف التفاصيل المتعلقة بالجسيمات بشكل يقيني ، مثل عدم تحديد مكانه وسرعته بوقت واحد.

[1] راجع مبدأ عدم اليقين للعالم الفيزيائي الألماني هايزنبرغ.

وقد ظن الملحد أنه لا يستطيع اليقين في كل شيء بعالم فيزياء الكم معتمدا على مبدأ عدم اليقين .

وهذا تناقض ظاهر حيث أنه يدعي اليقين أنه لا يتيقن من شيء بفيزياء الكم!.

فكيف تيقنت من عدم اليقين في علم فيزياء الكم كله ..؟

وهذا معناه أنك لا تتيقن من أي شيء .. لكنك تتيقن أنك لا تتيقن!

وهذا معناه أنك تتيقن من شيء ولا تتيقن من أي شيء بنفس الوقت ، وهذا تناقض أظهر من أن نظهره.

ثم ادعوا أن فيزياء الكم خالفت البديهيات العقلية وشبهاتهم حولها مع الرد في الطرح القادم إن شاء الله تعالى.

وهم ظنوا أن الحقائق في فيزياء الكم يجوز أن تخالف حقائق العقول .. وهذا خطأ , حيث أن الحقائق تقوي بعضها بعضاً ويمتنع أن تعارض بعضها بعضاً.

وسنبين أن هناك أمثلة كثيرة للملحد في فيزياء الكم تنطبق على الفيزياء الكلاسيكية.

بل تنطبق على كوكبنا هذا ، لكنهم يتحدثون بفيزياء الكم لمعرفتهم بأن أغلب الناس لم يتعلموها فكيف يردون على شيء لا يعرفوه؟ وهذا كالمتكلمين يطرحون كلاما عند التحقيق سرابا لا معنى له ولا حجة فيه لكن لقلة فهم الناس له يظنون أن به حجة!..

والقصد أنه عند فهم فيزياء الكم على حقيقتها لن تشتبه عليك شبهة أبدا بإذن الله , كما سنبينه عند طرح شبهاتهم وبيان ردها إن وفقنا الله تعالى.



مبحث

الرد على شبهة أن فيزياء الكم تنفي السببية

وعامة شبهات الملحد أتت عن طريق خطئه في مبدأ اللا-يقين..

فمبدأ عدم اليقين لهايزنبرغ نفى الحتمية في معرفة سرعة الجسيم ومكانه بوقت واحد،

وهم ظنوا أن مبدأ الارتياب أو اللايقين هو خاص بعدم اليقين بالعقل والحمد لله الذي عافانا.

- قالوا: "هناك نظريات في فيزياء الكم أثبتت عدم وجود سببية ، بل إن الجسيمات الافتراضية تظهر وتختفي في الفضاء بلا سبب !..

= قلت: وهذا يرد عليه إجمالاً , فيقال: جهلك بالسبب لا يعني عدم وجود سبب بل يعني فقط أنك تجهله ولا تعرفه..

= ويقال تفصيلاً: إن الجسيمات تلك توجد داخل كوننا فهي تحتاج إلى زمان ومكان ووجودها لم نره بدون زمكان حتى يقال أن الجسيمات تظهر دون الافتقار لأي شيء.

لذا فمن المعلوم عن الجسيم أنه جسم أصغر من الذرة يظهر (خلال زمن قصير جدا) (بموضع) ما ، وهذا يظهر أنه يحتاج إلى الزمان وإلى المكان بالفعل.وهو المطلوب.

بل أن الجسيمات لا تظهر إلا في حقل به طاقة[١] ولو كانت طاقة صغيرة جداً.

ولا تجد أكثر تناقضاً من الملحد حيث أنه احتج بقانون الديناميكا الحرارية الذي ينص على عدم فناء الطاقة بكوننا ، وسيأتي[٢] الرد عليه إن شاء الله.

لكن القصد أنه ادعى أن الطاقة لا تفنى بكوننا هذا ثم ادعى أن الجسيمات تظهر بلا طاقة !

وهذا تناقض وخطأ علميا ، بل الجسيم يحتاج في وجوده إلى حقل به طاقة.

وأما عقلاً ,

= فيقال: إنك تدعي وجود شيء من لا شيء!

---

[١] راجع نظرية الحقل الكمومي ، وكذلك راجع مقال بعنوان : حقل النقطة صفر Zero Point Field

[٢] سيأتي في مبحث الرد على قول الملحد بأزلية الطاقة

واللا شيء هو عدم كل شيء ، فهو معدوم القدرة كذلك ، فكيف لمعدوم القدرة بل معدوم الوجود أن ينتج لنا موجودا؟!

وهذا لا يتصور عند من يعقل ما يقول.

= فيقال: ممتنع وجود شيء من اللا شيء لأن فاقد الشيء لا يعطيه

- فإن قالوا: "أن الجسيمات تنتج نفسها بنفسها بلا سبب.."

= قلنا: هنا أنت جعلتها سبب بالفعل!

= ثم يقال لك: هذا فرض ممتنع أكثر من الذي قبله.

فالجسيمات لو أنتجت نفسها بنفسها هذا يستلزم أنها موجودة لتخلق نفسها , وغير موجودة ليتم خلقها!.

وهذا جمع بين نقيضين.

وأبلغ رد على هؤلاء أن يقال:

= أنتم قد احتجيتم فقلتم أن فيزياء الكم فيها عدم يقين مطلق.

فكيف أتاكم اليقين من وجود الجسيمات بلا سبب ؟ !

- فإن قالوا: لا نتيقن.

= قلنا له: ما سبب عدم يقينك؟

وهنا لا محيد له أن يعترف أنه لا يعلم هل هناك سبب أم لا

= فيقال له: يعود الأمر إلى أن عدم معرفتك للسبب لا يدل إلا على عدم علمك لا على عدم وجود سبب.

والله الموفق.

* * *

مبحث

الرد على شبهة
"فيزياء الكم تثبت اجتماع النقيضين"

وقبل أن أطرح شبهاتهم التي احتجوا بها على جواز اجتماع النقيضين..

ألم تسأل نفسك كشخص يقرأ لماذا كل هذا الترك للعقل بل والحرب الموجهة عليه؟.. لأنهم يعلمون أن الحق خلاف عقيدتهم ويعلمون أن الحجة ليست معهم فإن أقمنا عليهم حجة الله الباهرة قالوا: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية ٣٢].

نعود لشبهاتهم..

- قالوا: فيزياء الكم أثبتت جواز اجتماع النقيضين..

- قالوا: هناك نظريات عدة تثبت أن الجسيم يكون يميناً ويساراً في نفس الوقت..

- قالوا: وهناك نظرية تثبت أن القطة حية وميتة بنفس الوقت.[1]

[1] تخيل شرودنغر تجربة ذهنية تم فيها حبس قطة داخل صندوق مزود بغطاء، وكان مع القطة عداد غايغر وكمية ضئيلة من مادة مشعة بحيث يكون احتمال تحلل ذرة واحدة خلال ساعة ممكنا. إذا تحللت الذرة فان عداد غايغر سوف يطرق مطرقة تكسر بدورها زجاجة تحتوي حامض الهدروسيانيك الذي يسيل ويقتل القطة فوراً. والآن يقف المشاهد أمام الصندوق المغلق ويريد معرفة، هل إن القطة حية أم ميتة ؟ (من وجهة نظر ميكانيكا الكم، توجد القطة بعد مرور الساعة في حالة مركبة من الحياة والموت).

والرد على هذا الهذيان من وجوه:

- الوجه الأول :

= أن يقال: أنت اتفقت معي ومع العلم أن فيزياء الكم احتمالية فكيف علمت أن الجسيم كالإلكترون كمثال ، يبقى موجود يميناً ويساراً بنفس الوقت بيقين؟ وأنت اتفقت معي ومع العلم على مبدأ اللايقين ؟!

- الوجه الثاني:

= أن يقال: سلمت لك أنه يمكن معرفة حال الجسيم بيقين , لكن العلم قال "عندما يتم رصد الجسيم نجده يميناً فقط أو يساراً فقط" ولا نجد رصدا لما تدعونه قط!..

= ولم ولن نجد رصداً لقطة حية وميتة معاً بنفس الوقت قط!..

= بل قبل الرصد محتمل أن يكون الجسيم يميناً أو يساراً..

ولا يقال قبل الرصد هو على اليمين واليسار معا.

وعندما يفتح المشاهد الصندوق يرى القطة إما ميتة أو حية وهذا ما نتوقعه في حياتنا اليومية، ولا نعرف حالة تراكب بين الحياة والموت.

كذلك القطة , فرضية "قطة شرودنغر" قبل المشاهدة قد تكون حية أو ميتة ، أما عند المشاهدة فتبقى حية فقط أو ميتة فقط.

- الوجه الثالث :

= سلمنا لكم تنزلا أنه في فيزياء الكم يكون الجسيم يميناً ويساراً والقطة حية وميتة بنفس الوقت..

لكن من قال أني سلمت بصحة هذه النظريات التي تدعي هذا أصلاً؟!

- فإن قالوا: علم فيزياء الكم هو الذي نستعمله بالهواتف والأجهزة

= قلت: فأنا إن فقدت اليقين بالبديهيات العقلية فعدم تصديقي أن فيزياء الكم هي التي يعمل بها الهاتف أهون..

بل عدم تصديقي إن هناك هواتف أيسر من تصديقي أنه يجوز اجتماع النقيضين..

- الوجه الرابع :

= أن يقال: لو كان اجتماع النقيضين جائزا..

لصحَّ أن تكون موجوداً وغير موجود بنفس الوقت..

فمن باب أولى سيجوز أن نكون استعملنا الهواتف ولم نستعملها في ذات الوقت!..

فيصح لي أن أقول , لم نستعمل الهواتف أصلاً ولا تستطيع كملحد أن تنفي هذا.

وهذا عند المتابع ترك للعقل والفهم وتجد أمثال هذا الملحد يقول : أنت مغرور تدعي معرفة الحقيقة أما أنا فمتواضع وأقر بجهلي بكل الحقائق!..

فالحمد لله الذي لم يجعلني متواضعا كتواضع هذا الملحد.

- الوجه الخامس:

= أن يقال: سلمت لك صحة اجتماع النقيضين , لكن هذا معناه جواز أن يكون جائز اجتماع النقيضين وغير جائز بنفس الوقت.. فقولك اجتماع النقيضين جائز لا يمنع أنه مستحيل , لأنه يجوز أن يكون ممكنا ومستحيلا في نفس الوقت عندك!..

فبهت الملحد.

- الوجه السادس:

=أن يقال: هذا ضدك كملحد..

فأنت تدعي أن القرآن يناقض العلم والأخلاق.. ولو كان اجتماع النقيضين جائزاً فلا يمنع أن يكون الدين أخلاقيا ولا أخلاقي..
وموافقا للعلم وغير موافق له أيضا .. بل لا مانع أن يقال , الدين مخالف للعلم وكلاهما صواب .. والدين مخالف للأخلاق وكلاهما صواب..

فيمتنع على اللا-ديني إثبات خطأ الدين من كل وجه لا دين الإسلام ولا غيره.

وهذا لا محيد لهم عنه لذا قلت ببداية شرحي لعقائد هؤلاء إنه لا يوجد دليل يظنوه معهم إلا وهو عليهم من كل وجه..

أما قطة شرودنغر فهي ضدهم..

قطة شرودينغر: هي تخيل شرودنغر تجربة ذهنية , تم فيها حبس قطة داخل صندوق مزود بغطاء , وكان مع القطة عداد غايغر وكمية ضئيلة من مادة مشعة بحيث يكون احتمال تحلل ذرة واحدة خلال ساعة ممكنا .. إذا تحللت الذرة فان عداد غايغر سوف يطرق مطرقة تكسر بدورها زجاجة تحتوي حامض الهدروسيانيك الذي يسيل ويقتل القطة فوراً ..

والآن يقف المشاهد أمام الصندوق المغلق ويريد معرفة هل القطة حية أم ميتة ؟! من وجهة نظر ميكانيكا الكم تكون القطة بعد مرور الساعة في حالة مركبة من الحياة والموت وعندما يفتح المشاهد الصندوق يرى القطة إما ميتة أو حية. وهذا ما نتوقعه في حياتنا اليومية ..

فأنت قد لا تراني عشر سنوات فلا تعلم أنا حي أم ميت..

والقصد أن شرودنغر افترض تلك الفرضية ليرد على من يدعي جواز اجتماع النقيضين فبين لهم أن هذا لا حقيقة له.

فماذا فعل الملحد ؟

قال القطة حية وميتة معاً رغم أن الرجل قام بالفرضية ليثبت خطأ هذا..

والقصد أنك كقارئ الآن ترى كمية تدليس هؤلاء فهم يستغلون عدم معرفتك للنظريات بفيزياء الكم..

ولو قال لهم أحد أنا لا أصدق هذا سخروا منه وقالوا أنت ضد العلم ونحن في عصر العلم ...إلخ

وهذا يبين لك إن هؤلاء لا يمتلكون حجة بل فقط يناقشوك بما لا تفهم حتى تظن أنهم على شيء!..

ولو علموا شناعة مقولتهم تلك لعلموا أنه لو صحَّ اجتماع النقيضين لكان جائزاً أن يقال فيزياء الكم صواب وخطأ في نفس الوقت.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة ٤٧].



مبحث

علاقة الملحد بالفيزياء

الملحد عندما يعجز عن إثبات أن عقله ينفعه..

- يقول: "نحن في زمن العلم."

ويدعي الشيء ونقيضه فيدعي أن الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من العدم عندما يتكلم عن قوانين الطبيعة..

- ثم يقول: "لا يوجد عدم يقدر في الواقع أبدا.."

ثم في نفس الوقت يدعي أن الجسيمات الافتراضية تنتج بلا سبب ولا تحتاج طاقة ولا غيره..

وهذا بعينه هو العدم الذي نفوه.

ولو فهموا ما قالوا لعلموا أن هذا عليهم فالعدم ضد الوجود أصلا لكن ممتنع أن يوجد شيء بعد أن كان معدوماً بلا سبب.

- فهم قالوا: العدم لا يوجد قط والطاقة لا تنتج إلا من طاقة أخرى ...إلخ.

فيثبتون أن كل شيء يحتاج إلى شيء قبله .. وبنفس الوقت ينفون السببية ..

وهذا أعجب ما يقال , فهم لا يفقهون ما يقولون لدرجة أني لم أضع لهم طرحا واحدا إلا وناقضوه بقول آخر لهم..

وهذا لو تدبره القارئ انتفع وعلم أن كل ما خالف دين الحق يجعل صاحبه متخبطا هكذا.

وهم مع هذا يقولون يمكن للكون أن يكون له بداية..

ولكنهم يقولون أن الطاقة أزلية والمادة كذلك وكل من الطاقة والمادة يؤثر في وجود الآخر

ومنهم من قال الكون واحد من عدد لا نهائي من الأكوان ، ونفوا بهذا حجة التصميم الدقيق..

- فقالوا: "يمكن وجود كون منظم ضمن عدد لا نهائي من الأكوان الغير منظمة.. "

- وهم قالوا: "لا يصح مخالفة قوانين الطبيعة قط ، وقوانين الطبيعة أثبتت أزلية المادة ، وبداية الزمان والمكان فقط ، فالمكان له بداية والطاقة لا.." ولم يهتدوا إلى أن قوانين الطاقة يجب لكي نعرفها الرصد والمشاهدة ، والرصد لا يوجد إلا في زمان ومكان , فلا توجد طاقة دون حيز مكاني

وعندما نلزمه بهذا يدعي أننا قد نكون بحلم أو هناك من يلعب بنا بجهاز كمبيوتر كبير..

ولم يهتدوا إلى أنه لو كنا داخل حلم لما فرقنا بين الحلم والحقيقة , بل رد عليهم العقلاء فقالوا: هب أننا داخل حلم .. فلماذا لا يكون حلمنا هذا هو الذي كلف الله العباد به ونحن نعلم بالضرورة تفرقتنا بين الحق والباطل سواء كنا بحلم أو لا ؟!

والقصد أنهم لو وجدوا حجة متشابهة في الفيزياء اعتمدوا عليها وأوهموا بها من يجهلها ، ولو وجدوا أحدا ذا علم بالفيزياء تركوها للسفسطة المحضة..

وكل شبهة ذكرتها هنا أرد عليها بتفصيل تام تباعاً إن شاء الله تعالى ، ونبين أن ما من شبهة لهم إلا وتثبت ما هربوا منه ، وما من شبهة لهم إلا وهي حجة عليهم من كل وجه بتوفيق الله.

* * *

مبحث

الرد على قول الملحد بأزلية الطاقة

والآن أتينا لأكبر شبهة فيزيائية عندهم..

وسنفصل فيها ، فكما هو معلوم كلما اشتهرت الشبهة وجب أن يكون التفصيل بالرد أكثر حتى لا ندع لهم مجالا لتشتيت الناس ، مستعينين بالله أن يوفقنا ، وسنبين كم أن شبهتهم هذه متهافتة ولا تجد شبهة يتمسكون بها كثيراً إلا وكانت أضعف شبهة.

بل أقواها كحجة عليهم..

إذ هكذا عقول الناس تتفاوت وكلما ضعف معتقد الشخص كلما تمسك بأوهن الشبهات.

- قالوا: "نحن نعتقد أن الطاقة أزلية.

- قالوا: "وهذا ما قرره العلم وعليه قانون طبيعي مجرب.

- قالوا: "والممتنع فيزيائياً هو كسر قانون للطبيعة.

= قلت: وقانون حفظ الطاقة هو القانون الأول للديناميكا الحرارية أو كما يقال الترمو ديناميك ، وينص على الآتي:

الطاقة في نظام مغلق لا تفنى ولا تستحدث من العدم لكنها تتحول من شكل إلى آخر.

- قال الملحد: "وهذا يدل على أن الطاقة أزلية فهي لا تستحدث من العدم بل تتغير من شكل لآخر.

= قلت: وهذا القانون ينطبق على المادة كذلك فالمادة في نظام مغلق لا تفنى ولا تستحدث من العدم ولكنها تتحول من شكل إلى أخر.

- قالوا: "وهذا يدل أن الطاقة أزلية وكذلك المادة فلا حاجة للخالق ليخلقهم."

= قلت: والنظام المغلق هو أن الكون لا يخرج طاقة خارج الكون ولا يأخذ طاقة من خارج الكون.

= ويرد على هذا بعدة وجوه إن شاء الله تعالى:

- الوجه الأول:

= نقول أن القانون ينطبق على النظام المعزول والمغلق ولم يثبت علمياً بيقين أن كوننا ليس نظاما مفتوحا تأتيه طاقة من الخارج أو يخرج طاقة منه للخارج وهذه تبقى افتراضات , ولو كانت الأقرب للصواب.

وعليه فإن إثبات القانون نفسه مبني على شيء ظني فهو من باب أولى ظني ويكون قطعيا فقط لو صح أن كوننا ليس نظاما مفتوحا.

والنظام المفتوح هو أن كوننا يسمح بالتفاعل مع البيئة المحيطة بتبادل المادة.

- الوجه الثاني :

= أن يقال: سلمنا أن كوننا نظام مغلق.

لكن هذا ضدك فالكون له بداية كما ثبت بنظرية الانفجار العظيم وغيرها.

ولا دليل أن هناك كون قبله مغلق فيه طاقة فكيف علمت أن الطاقة أزلية ونص القانون يثبت أنه يعمل في النظام المغلق ((حصراً)) ونحن لا نعلم وجود هذا النظام إلا بكوننا هذا فقط.

فإذا كان للكون بداية فالنظام المغلق له بداية.

وهذا القانون لا يعمل إلا بنظام مغلق فكون النظام المغلق له بداية فالقانون له بداية وهو المطلوب.

- الوجه الثالث:

= أن يقال: قوانين الطبيعة نعرفها عن طريق الرصد والمشاهدة ونعطي مثالا بمبدأ حفظ الطاقة نفسه.

فنحن علمنا أن المادة تتحول من شكل لأخر كما هو بالطعام فهو يتحول من الخضروات كمثال وتتحول إلى شكل اخر داخل البدن وتخرج من البدن بشكل اخر ...إلخ.

وهذا تحول من شكل لأخر للمادة , لكن المادة نفسها في كل حال باقية , إنما تتغير صورتها فقط..

وهذا القانون وإن كنا لا نسلم به بل المادة تستحيل وتنتهي إلى مادة أخرى وهذا هو الصواب ولكن ليس هذا محل النزاع.

فالقصد أن الملحد لا حجة له حيث أن القانون نعرفه بمشاهدة المادة ورؤية عمل المادة وعندما يتكرر نفس العمل في كل مرة يسمى هذا قانون فيزيائي.

وأبسط مثال على هذا أن الجسم الساكن يبقى ساكنا مالم تؤثر عليه قوة تحركه فنرى أجساما لا تتحرك تحتاج إلى تأثير آخر يجعلها تتحرك..

والقصد هنا: أن القانون نعرفه حسب المشاهدة والتكرار.. فأين المشاهدة قبل كوننا فضلاً عن التكرار حتى يقال أن القانون كان

موجوداً قبل الكون..؟! أليس هذا تحكم محض؟ واتباع للهوى وتلبيس على من لم يعلم حقيقة هذه العلوم؟

- الوجه الرابع:

= أن يقال: سلمنا لك أن القانون يعمل قبل الكون..

لكن من قال أنه يعمل من اللا-بداية؟

- فلو قالوا: "لا يمكن صدور طاقة من عدم بل تصدر من صورة أخرى للطاقة."

= قلنا: هذا ضدك حيث أن الطاقة لها بداية كما سأبينه , وبما أن لها بداية يثبت بهذا أنها لن توجد من عدم فالعدم لن يخلقها ، بل وجب وجود خالق لها.

وبيان امتناع أزلية الطاقة يظهر في الوجه الخامس :

= فيقال: إن صورة الطاقة الحالية تفتقر إلى صورة قبلها تتحول منها ، والتي قبلها تفتقر إلى صورة قبلها تتحول منها.

فإما أن تكون هناك نقطة بداية أو لا تكون هناك نقطة بداية لتلك التحولات.

- فإن قالوا: لها نقطة بداية عادوا للحق.

- وإن قالوا: لا أول لها يلزمهم أن الصورة الحالية للطاقة كمثال الطاقة الحركية بالسيارات تفتقر للطاقة الكهربائية التي تحولت من الطاقة الشمسية ...إلخ.

= فيقال: هذا معناه أنها محتاجة إلى انتهاء عدد لا نهائي من أشكال الطاقة حتى نصل إلى هذه الصورة الحالية.

وانتهاء مالانهاية تناقض , فلن توجد الصورة الحالية لأن: (ما توقف وجوده على المستحيل فوجوده مستحيل).

فيستحيل أن تحتاج صورة الطاقة الحالية إلى انتهاء عدد لا نهائي من الصور.. بل وجب وجود نقطة بداية وهو المطلوب.

فيظهر أن هذه حجة عليهم حيث سلموا لنا أن الطاقة لا يخلقها العدم، وبينا لهم أن الطاقة أو المادة وجب يكون لهم بداية.

ولا يمكن إيجاد العدم لهم لأن العدم فاقد للوجود بنفسه فكيف يعطي وجوداً لغيره فيثبت افتقار الطاقة بل والمادة إلى خالق يقيناً.

وأما بيان تناقضهم: فقد قالوا: "لا توجد حقيقة مطلقة."

ثم جعلوا هذا القانون حقيقة مطلقة!..

- وقالوا: "يجوز توجد الطاقة والمادة أزلا ."

- بل قالوا: "يجب هذا."

ولم يجوزوا وجود خالق يحول صور الطاقة والمادة من شكل إلى آخر , وبيان هذا أن الطاقة لو كانت أزلية فهي لا تستطيع أن تحول صورتها من صورة إلى أخرى لأن الطاقة لا إرادة لها , ويظهر هذا من حيث أن القوانين تتحكم بها , فلا تعمل إلا وفق قانون محدد مما يثبت أنها بلا إرادة , فيستحيل تغير صور الطاقة بدون إله يحول صورها من صورة إلى أخرى , فتأمل هذا تجد أنه لا يوجد قول سلمناه لهم إلا ويثبت وجود الله تعالى.

❊ ❊ ❊

مبحث

قول الملحد المادة أزلية وتغير صورها له بداية

وهذا متعلق بما قبله..

= فيقال: بعد أن أقمنا الحجة الظاهرة على أن صور الطاقة أو المادة يجب يكون لها بداية..

- قالوا: المادة أزلية وصورها لا..

- قالوا: نعم اتفقنا أن الصور للمادة لو كان لا أول لها لكان هذا تسلسل في العلل , حيث كل صورة تحتاج إلى صورة قبلها بعدد لا نهائي من الصور , وما توقف وجوده على انتهاء مالا نهاية فوجوده ممتنع.

= قلت: وتفصيل هذا بالمبحث السابق..

- قالوا: لكن عندنا حجة أخرى لا يمكنك كمؤمن الرد عليها..

- قالوا: "ما المانع أن تكون هناك صورة للمادة أزلية بدأ منها كل شيء ثم تغيرت؟ ".

= فيقال لهؤلاء : إن هذا مبني على عدم فهم ما تقولون أصلا. فالأزلي هو ماوجب وجوده وامتنع عدم وجوده ، وأنتم تدعون أن لها صورة أزلية واجبة ثم تغيرت بلحظة ما..!

فكيف يقال أن تلك الصورة واجبة الوجود وبنفس الوقت انتهت وممكن عدمها؟

هذا مخالف لتعريف وحقيقة واجب الوجود أصلا.

- الوجه الثاني :

= يقال: لو كان حال الصورة الأولى الأزلية في الأزل هو نفسه حالها عند نهايتها إلى صورة أخرى بديلة عنها..

فهذا معناه أنه كان ممتنع عدمها ثم تحول امتناع عدمها من الامتناع إلى الإمكان بلا سبب!..

وبيان هذا أن يقال: أنت كملحد تعلم أن الأزلي يستحيل عدم وجوده. وكونه تحول من استحالة عدم الوجود إلى إمكان عدم الوجود فهذا يحتاج إلى سبب ..ونحن نعلم أن لا يوجد سبب يفرق بين حال صورة المادة في الأزل وحالها عند تغيرها ، فلماذا تتغير وحالها قبل التغير وعند التغير واحد ؟ عجيب. !

وأما أفضل برهان هنا أن يقال: أنت ادعيت أن المادة أزلية وباقية لكن صورة هذه المادة كانت ثابتة ثم تغيرت..

= فيقال لك: إذا كان من خصائص المادة ثبات صورتها واستحالة تغيرها لأننا اتفقنا أنها لو كانت متغيرة من صورة لأخرى لكان هذا تسلسل في العلل وهو مستحيل ..

ثم تحول هذا الثبات إلى جواز التغيرات بعد ذلك .. معناه أن المادة كان ممتنع عليها خاصية التغير ، وتحول هذا من الامتناع إلى الإمكان بلا سبب!..

وهذا نقض للسببية , ولو جاز نقض السببية هنا لجاز نقضها دائما ، وسنعود بهذا إلى نفي البديهيات العقلية.

=ثم يقال: لو جاز تحول وجود الشيء من الامتناع إلى الإمكان دون سبب لجاز إمكان كل شيء مستحيل بلا سبب ، وهذا عند العقلاء باطل ويستلزم عدم الوثوق بأي شيء عقلي قط ، وفصلنا في هذا سابقا.

فيثبت أن وجود صورة للمادة دليل على امتناع أزليتها

وهذا الأمر ينطبق على صور الطاقة أيضا ، وهو المطلوب.

ولمحاولة تبسيط الأمر حتى يفهمه القارئ بشكل تام إن شاء الله، نعطي مثالا عن الإنسان..

مثال: لو أن زيدا موجود من اللا-بداية أي أنه واجب الوجود ، وزيد هذا له مادة ، وأما صورته فكانت على صورة طفل صغير .. وكان لا صورة له قط غير صورة هذا الطفل وكانت مستحيلة عليه صورة غير هذه الصورة .. ثم تحولت هذه الاستحالة فأصبح يمكن لصورة زيد أن تتغير ويصبح زيد على صورة رجل عجوز!..

فهنا يلزم من هذا أن من خصائص زيد أنه لم يكن قادرا على تغيير صورته ثم أصبح قادرا على هذا.

فوجب وجود سبب يجعل الشيء المستحيل حدوثه ممكنا..

ولكن حالة زيد عندما كان مستحيلا على أ صورته وهو طفل أن تتغير.

هي نفس حالة زيد عندما باتت صورته قابلة للتغير.. !

فهذا معناه أنه لا يوجد أي سبب جعل ثبات صورة زيد تتحول من مستحيل إلى ممكن .. ووجود شيء بلا سبب مستحيل.

-فإن قالوا: هناك شيء تغير في زيد جعله يستطيع أن يغير صورته بعد أن لم يكن مستطيعا..

= قلنا: فيقال في هذا التغيير نفس القول، فنقول: أن هذا التغير كان مستحيلاً ثم أصبح ممكناً بلا سبب ، ووجود شيء بدون سبب مستحيل ، فيلزم من هذا أن صورة زيد لها بداية لاستحالة ازلية صورته.

والحاصل أنه من الممتنع وجود صور جديدة لزيد إلا لو كانت لصورة زيد بداية .

ونفس هذا ينطبق على المادة.

فيستحيل وجود صورة للمادة تتحول وتفتقر كل صورة إلى صورة قبلها إلا لو كانت للمادة بداية.

- وهذا لأن المخالف لو قال ، كانت هناك مادة أزلية وأما صورها فلها بداية

= فنقول هل هذه المادة يمكن أن تتصف بالصورة أزلا أم لا يمكن؟

- فلو قالوا : نعم ممكن!

= قلنا: فهذا يستلزم أن الصورة يمكن أن تكون أزلية، وقد بينت استحالة هذا بناء على أن أزلية الصورة يستلزم التسلسل في العلل فكل صورة تحتاج إلى صورة قبلها ، وتسلسل العلل ممتنع عقلا

كما بيناه أو تستلزم تغير حالة الصورة من الإمتناع في التغير إلى إمكان التغير دون سبب ، وهذا ممتنع عقلا كذلك.

فلو قالوا: يمتنع على المادة الاتصاف بالصورة أزلا.

فيقال لهم: وهذا يستلزم من أن اتصاف المادة بالصورة كان ممتنعا ثم أصبح ممكنا دون أي سبب، لأنه لا يوجد إلا المادة أصلا ، ومن خصائص هذه المادة عدم اتصافها بالصورة ، فتغير خصائص المادة من امتناع الاتصاف بالصورة إلى إمكان الاتصاف بالصورة لا يكون بدون سبب، والسبب معدوم ، فلما وجدنا الآن مادة متصفة بصورة علمنا امتناع أزلية المادة والصورة لامتناع تغيرهم حال أزليتهم، وهو المطلوب.

* * *

مبحث

فرضية الأكوان المتعددة والرد على شبهاتهم بها

فرضية الأكوان تتحدث عن وجود أكوان أخرى غير كوننا هذا..

- وقالوا: هناك آثار في كوننا قد يقال أنها أتت عن طريق أكوان أخرى.

- وقالوا: عدد الأكوان محدود وهناك من قال أن عدد الأكوان لا نهائي.

واحتج الملحد على هذا بعدة أوجه:

- قالوا: قد يكون هناك كون أزلي من بين هذه الأكوان.

- قالوا: قد يكون هناك كون آخر أنتج كوننا ولا حاجة لوجود خالق.

= قلت: أما قولهم قد يكون كوننا خلقه كون أخر فممنوع..

فالثوابت الكونية في كوننا هذا يمتنع أن تأتي عن طريق كون عشوائي لا إرادة فيه ولا علم ، بل مادية بحتة كما يسمونها.

فالأثر يدل على وجود المؤثر وبعض صفاته ، فهل يعقل أن يقال أن الأثر الذي هو كوننا بهذه الثوابت والدقة ، جاء عن طريق مؤثر عشوائي!

= ثانياً: يقال: هب أن هناك كونا آخر سببا لوجود كوننا ، لكن مؤكد هناك مسبب أول لكل هذه الأكوان كما بينا[1] سابقاً امتناع تسلسل العلل فيجب وجود مسبب أول أزلي..

= ثم يقال: أن هذه حجة عليهم , فهم قالوا: الأثر في كوننا يجعلنا نفترض أكوانا أخرى..

وهذا يثبت أن الملحد يصدق السببية لكنه يكابر..

أما قوله: قد يكون منهم كون أزلي , فتناقض..

حيث أن الأكوان المتعددة تفترض أن تلك الأكوان الأخرى فهي مثل كوننا هذا مع اختلافات بسيطة.

فكيف يوجد كون مثل كوننا وبنفس الوقت ليس له بداية وكوننا له بداية ؟!

فالأزلي وجوده واجب وعدمه مستحيل ، وأي كون مثل كوننا لن يكون وجوده واجبا وعدمه مستحيل ، فامتنع أزلية أي كون مثل كوننا.

[1] وسيأتي أيضا تفصيل هذا في مبحث الأدلة العقلية على وجود الله، والرد على شبهة من خلق الخالق؟

= ثم يقال: احتمال أن يكون هناك كون أزلي احتمال ممتنع..

= وبرهان هذا أن يقال :

لو أنه يوجد كون أزلي بالفعل وهو مسبب كل الأكوان وكانت حالة هذا الكون أزلا كما هي حاله عندما خلق أول كون..

يستلزم من هذا أنه لا يوجد أي سبب رجح وجود الكون الثاني عن عدم وجوده.

لأن حال الكون عند الفعل وقبل الفعل سواء.

فحال الكون الأول حين خلق الكون وحين لم يخلقه واحد

فلا يوجد سبب قط جعل وجود مخلوق بدلاً من اللا-مخلوق وهذا نفي للسببية ومن نفاها نفى كل البديهيات ونفي البديهيات ممتنع.

فيكون فرض وجود كون أول سبب كل شيء ممتنع.

خلافنا نحن أهل الدين فالخالق عندنا له إرادة ويخلق لحكمة متى شاء.

فيصح أن يريد لحكمة مستقبلية خلق الكون بوقت دون وقت ، والخالق يقوم بذاته فعل حادث ، بسبب هذا الفعل وجد المخلوق بعد أن لم يكن ، وهذا الفعل المحدد الذي يفعله الخالق ، فعل يفعله

الخالق بعد أن لم يكن فاعلا له ، يحدث بسبب ارادته وحكمته ، ولولا هذا لما أمكن حدوث هذا الفعل أصلا

*قال تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾

فهنا الفعل الحادث وهو قوله (كن) هو الفعل الذي بسببه وجد المخلوق ، وفعله متعلق بإرادته كما هو ظاهر من الآية وهذا كله واجب عقلا.

وهل الإرادة المحددة أزلية والله يريد أزلا أن يخلق الكون بوقت محدد ، أم تحدث الإرادة المعينة لحكمة مستقبلية؟ على قولين وكلا القولين يحلون المسألة.

ففعل الخالق لخلق الكون له بداية وسبب وجود هذا الفعل بعد أن لم يكن هو الإرادة التي تكون لحكمة ، ولولا هذا لما وجد الفعل أصلا مثلما أنت تقرأ كلامي هذا ، فهذا فعل ، ولولا إرادتك للقراءة لما فعلت هذا الفعل ، وهناك حكمة من القراءة وهي التعلم ، ولولا هذه الحكمة لما أردت القراءة فالفعل الذي يكون العبد قادرا على فعله

وقادرا على تركه ، لا يكون هذا الفعل دون إرادة ، ولا تكون هذه الإرادة دون غاية لأجلها أراد ذلك الفعل.

ولأن المسبب الأول قادر على الفعل وعلى عدم الفعل ، ويمتنع أن يفعل بدلا من أن يفعل دون إرادة.

لأنه قادر على الفعل كما أنه قادر على ترك الفعل

أما دليل قدرته على الفعل فلأن الكون موجود ، ولولا قدرة مسبب وجود الكون على خلق الكون لما وجد هذا الكون.

وهذا مثلك أنت كقارئ فلولا قدرتك على القراءة لما وجد فعلك للقراءة الآن.

وأما دليل أن المسبب الأول قادر على أن لا يفعل ، فلأن الكون له بداية ، ففعل الخلق له بداية ، فهو قبلها كان تاركا لفعل خلق الكون ، فهذا يدل على قدرته على الفعل وعلى ترك الفعل ، ولولا الإرادة لما فعل شيء أصلا.

فثبت أن فعله لخلق الكون كان عند خلقه للكون لا قبل ذلك.

، وإلا فلو كانت حالة الخالق قبل الخلق وعند الخلق واحدة لما أمكن وجود المخلوق بالفعل،

ولنمثل هذا عليك كقارئ الآن ، فأنت قادر على فعل القراءة ولولا هذا لما قرأت كلامي هذا ، وقادر على ترك هذا الفعل كذلك ولولا هذا لما تركت قراءة الكتاب قبل هذا ، وارادتك هي التي رجحت فعلك عن عدم فعلك ، وهؤلاء يدعون بأن الكون الأزلي هو الذي سبب وجود كوننا هذا ، وهذا الكون الأزلي لا له إرادة ولا له حكمة وهذا مستحيل كما بينت فإن كان هذا الكون الأول قادر على إيجاد كوننا وقادر على عدم إيجادة ، فقدرته على الفعل والترك سواء فبدون إرادة لن يوجد مرجح يرجح وجود الفعل عن عدم وجوده.

فتبين أن مقولة أن هناك كونا أزليا ممتنعة بل وجود أي موجود أزلي بدون إرادة ممتنع .

وهذا يثبت أن هناك مسبب أول وله إرادة ، والكون أو المادة أو الطاقة ليس لهم إرادة بالإتفاق فثبت أن خالق هذا الكون ليس كونا آخر ولا هو هذه المادة ولا هو هذه الطاقة وهو المطلوب.

وهذا كله له تفصيل أكثر قادم[1] إن شاء الله تعالى.

---

[1] سيأتي تفصيله في مبحث إثبات صفة الإرادة المطلقة لله

والقصد أن هذا يرد على مقولتهم أن تعدد الأكوان يثبت خطأ التنظيم الذكي , فهذا ضعف فهم عندهم , فمع فرض تعدد الأكوان ، وجب وجود خالق لهم جميعا سواء كانت هذه الأكوان عددها نهائي أو لا نهائي.

ووجود كون واحد منظم هذا التنظيم يدل على علم الصانع.

=بل وقد يقال لهم: لو أن هناك أكوان أُخرى .. فمن باب أولى يصح أن تكون منظمة ككوننا هذا لأن من خلق كوننا على هذا التنظيم قادر على خلق غيره بنفس هذا النظام المبهر،

وعلى فرض لو أن هناك كون أخر أقل دقة، فهذا حجة عليك لا معك..

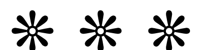
حيث أن حكمة الله من هذه الظاهرة أنه بين لك أنه قادر على خلق المنظم وغير المنظم وإرادته وحكمته فقط تحددان ما يكون كونا منظما أو ما يكون كونا أقل تنظيما.

فإن فرضنا أن كل الأكوان منظمة بنفس التنظيم فسنثبت بهذا صفات العلم والقدرة وإن فرضنا التفاوت في خلقه للأكوان فمنهم

منظم ومنهم أقل تنظيما.. فسنثبت بهذا صفات الإرادة والحكمة للمسبب الأول..

وهذا كله من إرادة وحكمة أو من علم ، منتفي في الطاقة والمادة بل وفي الأكوان فثبت أن الذي خلق كوننا حسب فرضية الأكوان المتعددة يمتنع أن يكون كونا آخر أو مادة أو طاقة.

وهذا نفس قول أهل الدين.



مبحث

الرد على شبهة
"أن كل ما نحن فيه حلم فقط"

وبعد أن ألزمناهم بحججنا المطابقة للعقل وللواقع هربوا ..

- فقالوا: ما دليلك على أننا لسنا في حلم ..؟!

- قالوا: نعم كلامكم حق ، لكن كل مانحن فيه حلم فقط فهل تقدر على أن تنقض هذا..؟!

ويرد على هذا الهذيان من وجوه:

- الوجه الأول :

= أن يقال: نحن نعلم علما ضروريا أننا لسنا في حلم ، أما داخل الحلم نفسه لا نستشعر هذا العلم الضروري داخلنا فلا نفكر هل نحن بحلم أم لا داخل حلمنا.

- الوجه الثاني :

= يقال: سلمت لك أننا في حلم ، لكن ما دليلك أني في الحلم لن أعرف الحق ، وأنا أعلم بداخلي علما ضروريا أن ما توصلنا إليه من حقائق هو حق ، وأنني استعملت تفكيري السليم حتى وصلت لهذا.. فتبقى الحجة ظاهرة.

وبيان هذا أن يقال :

أنت كملحد لم تثبت أن معنى أن كل هذا مجرد حلم .. لم تثبت أن هذا ينفي صحة الحجة فنحن في الحلم نتخيل أشياء نعم لكن نحن نتيقن في الحلم ويكون عندنا علم ضروري أننا متواجدون ونفكر بالفعل ، ولا نظن أن امتناع النقيضين ممكن حتى ونحن داخل الحلم.

وهذا يثبت أنه يجوز أن نتعقل حقائق ولو كنا في حلم.

= ثم يقال له: عندك حل من اثنين:

إما أنك في الحلم أو في الواقع الحقيقي.

ولو أنك في حلم فقولك أننا لا نستطيع أن نعلم حقائق داخل هذا الحلم ، فهذا تناقض حيث أنك عرفت حقيقة أن الحلم لا نعرف داخله حقائق رغم أنك داخل الحلم فعلاً!..

فإن كان كلامك صوابا وفعلاً لن نعرف حقائق داخل الحلم .. فكيف أنت عرفت حقيقة أننا لن نعرف حقائق داخل الحلم رغم أنك في حلم وعرفت هذه الحقيقة!..

وإن كان كلامك خطأ ويجوز فعلا أن نعرف حقائق داخل الحلم ، فهذا يبقي حجتي كما هي .. سواء في حلم أو لا فهي تبقى حقائق ثابتة صحيحة.

-وإن قال: بل نحن في الواقع فعلاً .. فقد عاد لقول العقلاء من أهل الدين.

والصواب هنا أنك تلزمه بقوله كما بينت.

ولازم أقوال هؤلاء أن لا نعاقب أحد ، فلو كان الحق كما يدعو بأنه لا يوجد دليل واحد يفرق لنا بين الحلم والخيال ، والحقيقة.

فكيف تحكم على أحد بالسجن لأنه قتل أو سرق! فلا يوجد دليل حسب منهجك على أن هذا ليس خيالا.

ولا يجوز أن نعاقب أحدا دون أن نثبت فعله للجريمة ، كيف لو كان القاضي تخيل الأدلة المدينة للمتهم في الحلم ، ثم حكم عليه بناء على هذا

ونحن عند هؤلاء لا نقدر على أن نثبت فرقا بين الحلم والحقيقة فتأمل!

أما حقيقة معتقدنا ، فنحن نعيش في الواقع بالفعل ونستطيع أن نفرق بين الحلم والواقع مادمنا في الواقع ومستيقظين.

ونعلم هذا بعلم ضروري يقيني ، لذا لا نعارض القاضي بمثل معارضة الملحد لنا ! ولو كانت معارضة الملحد صحيحة لأمكننا معارضة القاضي بها ولكن فساد اعتراضه معلوم بالضرورة.

ودليل هذا أننا بالفعل نقول "أنا كنت أحلم" ونقول "أنا حدث لي هذا فعلاً" فنفرق بين الحلم والواقع ونحن في الواقع.

أما في الحلم فعادة لا نفكر في قضية الحلم والواقع أصلاً بل ولا يخطر ببال أحد أنه يحلم ويقول ما دليلي أني في الواقع ولست في الحلم؟

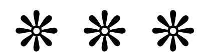
- الوجه الأخير:

= يقال: هذه حجة عليك كملحد فكل أدلتك التي تنقض بها الدين مبنية على الوقائع.

فإن كان هناك احتمال أننا في حلم .. امتنع تصديقك لأي شبهة تضعها أمام المسلم , فقد يكون كل هذا الهذيان من الشبهات مجرد منام فقط ..! فتأمل هذا تنتفع.

فالملحد لا يظن بأنه في حلم إلا عندما تقيم عليه الحجة ، أما وهو يلقي الشبهات تجده مستيقظ ومتيقن تماما!

والله الهادي.



مبحث

تأثير اللامادي في المادي
وكيفية الخلق من عدم

- يقولون: "كيف يخلق الله من العدم" وهذا قول منتشر جدا عند هؤلاء.
- وقالوا: مع هذا إن كانت المادة مخلوقة فكيف يؤثر الخالق اللامادي في المادة؟

ويرد على هذه الحجج بتفصيل من عدة أوجه فيقال :

= التأثير مشروط بالوجود مع القدرة على الفعل ، فمع القول بأن الله تعالى موجود غير مادي ، يصح أن يؤثر في وجود المادة ، بل إن الطاقة تؤثر في وجود المادة ، بل إن الجسيمات الافتراضية قد ينتج عنها كل شيء عندك كملحد..

= فيصح هنا بأن يقال: بما أن الله موجود ذو قدرة على الفعل فيصيح بهذا أن يخلق.

= ثم نلزمهم فيقال لهم: لماذا أوجبت أن لا يؤثر في الشيء المادي إلا شيء مادي كذلك ..؟ !

- إن قال: "عرفت هذا بالمشاهدة."

= قلنا: والمشاهدة لا تمنع من وجود غير مادي كذلك , فلا توجد حجة تمنع وجود خالق غير مخلوق ، بل أن المشاهدة تثبت أن سبب تأثير الشيء على الآخر هو الوجود والقدرة فقط لا ماديته وعدمها.

وأنت إن كنت تعني بالمادة "الموجود" فالله موجود بالفعل ، وإن كنت ستعتبره ماديا بهذا الاعتبار فيكون الخلاف لفظيا لا معنويا.

وإن كنت تعني بالمادي "كل ما يصح رؤيته" فالمولى يصح رؤيته وهذا كذلك ليس تعريفاً علميّاً.

وإن كنت تعني بالمادي أن يكون مفتقرا محتاجا في وجوده إلى غيره ، فقد أبطلنا أزلية المادة بهذا المعنى وأثبتنا حدوثها واحتياجها إلى مسبب أزلي ليس مادي لامتناع أزلية المادة.

ولكن الفائدة هنا.. وجب عليك كمسلم أن تفهم حجة المخالف وتسأله ماذا تقصد بالمادي؟

وما برهانك على المنع من وجود المادة إلا من مادة أخرى؟

وقد ثبت بالبرهان العقلي وجوب حدوث المادة بالمعنى الذي تقصده كلا-ديني!

ولا يصح لك كمسلم أن ترد دون أن تفهم مراد المخالف وإلا فهذا تسرع شخص مبتدئ ، والمسلم المناظر وجب عليه أن يكون على علم وفهم لأصول النقاش حتى ينفع غيره ولا يضر نفسه.

- أما قولهم: "كيف يخلق الله من العدم؟."

= فيقال: هذا مبني على ظنك أن العدم شيء مادي يخلق الله منه. إنما يخلق الله الشيء بعد أن كان معدوماً..

*قال تعالى:

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم ٦٧].

فالإنسان بصورته لم يكن موجودا ثم خلقه الله.

وهذا نراه بالواقع فكم من أشياء لم تكن موجودة ثم وجدت بعد أن كانت معدومة.

مثلك أنت أيها القارئ..

- فإن قالوا: المادة تبقى موجودة لكن صورها تتغير..

= قلنا: هذا مبحث فلسفي لا علمي والعلم يتبناه لتبنيهم مدرسة فلسفية قديمة محددة.

ولكن الصواب أن المادة نفسها تتغير بصورتها.

وقد بسط هذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كثير من كتبه[1]

= ثم يقال: قد ثبت بالدليل العقلي أن المادة لها بداية ، فيلزم من هذا أن هناك خالقا خلقها بعد أن كانت معدومة.

= ثم يقال: هب أن المادة ليس لها بداية ، ولكن صورها تتغير ، فالله يخلق الصورة الجديدة من الصورة القديمة..فمع فرض أزليتة المادة فلا يمكن تغيير صورها دون خالق له إرادة ، فيكون المؤثر في صور المادة هو الخالق.

*قال تعالى:

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ [المؤمنون ١٢].

فتبين أن الله يخلق المادة من المادة ، ولا ينافي هذا أنها كانت عدماً بالفعل ، بل كانت مادة أخرى تحولت لتلك المادة الجديدة..إلخ.

فمع فرض أن الله لا يخلق المادة بعد العدم بل يخلق فقط المادة من المادة ، فالإسلام أقر بأن الله يخلق المادة من المادة ، فيكون هو الخالق على كل حال.

[1] ١ راجع درء تعارض العقل والنقل ٧٨/٩
وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٢٥٩/٢ ـــ ابن تيمية (ت ٧٢٨)

وإن كنا نثبت أن الله قادر على أن يخلق المخلوق من مادة اخرى أو بعد العدم المحض ، وكل هذا جائز عقلا وشرعا.

والقصد أن الملحد يستغرب خلق شيء من العدم لظنه أن الله استعمل العدم فخلق منه بل العدم هو اللا شيء.

والمؤثر في الخلق هو قدرة الله لا غير.

والله أعلى وأعلم.

ومع هذا فالملحد أشد الناس تناقضا ، فكثير منهم من ينفي البديهيات ، فكيف يكون اجتماع النقيضين ممكنا ثم يستحيل خلق شيء من العدم!

والعجب أنهم يدعون بأن هناك أشياء تظهر في الكون بدون سبب ، لا مادة ولا طاقة ولا شيء ، فكيف يكون هذا ممكنا ولا يكون خلق الكون بقدرة الله ممكنا!!

أليس هذا إلا هوى وتناقض؟

❊ ❊ ❊



براهين وجود الله

مبحث

التأصيل بأدلة وجود الله

وبراهين وجود المولى عز وجل كثيرة.

ولكن هناك أصول للمناظرة في هذا المبحث وسنبينها تباعاً إن شاء الله.

وبعض الأدلة على وجود المولى عز وجل ذكرتها بالفعل في معرض الرد عليهم في الفصول السابقة.

وأنت تبدأ مع اللا-أدري بأدلة وجود الله ، أما الملحد فأنت مخير بأن تلزمه أن يثبت عدم وجود خالق أو أن تبدأ معه بتقرير الأدلة مباشرة.

- فإن قال: "أنت المثبت لوجود خالق فعليك أن تعطي أدلة وجوده وليس على النافي دليل لأن الحجة على من ادعى..

= فيقال: أنت خالفت العادة , فعادة الناس على الإيمان بوجود خالق، ومخالف العادة عليه البينة ، كما لو أتانا أحد وقال أنا لا أنام أبداً، فهو خالف العادة وعليه إثبات قوله!..

- فإن قال: "هناك فرق بين ما يعتقده الناس من وجود خالق وبين ما يشعر به الناس من وجوب النوم.."

= قلنا له: وعامة المؤمنين يشعرون بفطرتهم بوجود إله يفتقرون إليه بشعور داخلي لا يستطيعون رده ، وهذا شعور متواتر عن البشر بغير تواطؤ ، فأنت تجد أن العربي يقول به والأعجمي أيضا يقول به بغير اتفاق منهم.

- فإن قال: "عادة الناس ليست بالضرورة صوابا!.."

= قلنا له: أنت لم تفهم حجة المؤمن فرددت هذا الرد.

فالمؤمن يقول: إذا كان المثبت لعادة الناس حسب معتقدك يحتاج إلى دليل فالنافي الذي خالف عادة الناس في اعتقادهم فعليه الدليل "من باب أولى. "

= والرد الثاني أن يقال: نعم" الحجة على من ادعى وأنت بالفعل ادعيت عدم وجود الخالق بيقين ، وكما أن المثبت عليه أن يثبت قوله فكذلك النافي لوجود الله عليه أن يثبت قوله..

ألا ترى أني لو قلت: لا توجد كواكب أخرى غير كوكب الأرض ، فسأكون مطالبا بإثبات ما نفيت ..!؟

وهذا واجب عند العقلاء ، فالعلم بعدم وجود الشيء إن لم يكن معلوما بالضرورة ، لما أمكن العلم بعدمه إلا بالاستدلال

وإلا كان هذا محض هوى ، وكذلك معرفة وجود الشيء إن لم يكن يعرف وجوده بالضرورة لما أمكن معرفة وجوده إلا بالاستدلال "بمعنى البحث والنظر في الأدلة"

فلو أنت لا تعرف دليلا ينفي وجود خالق ولا تعلم عدم وجوده بالضرورة ، فكيف تنفي وجوده بيقين؟

والناس قد تنفي وجود الشيء بالضرورة ، بل أن العقلاء ينفون وجود اجتماعا للنقيضين بالضرورة والبداهة دون الحاجة إلى البحث عن أدلة كما بيناه.

وقد يعلمون عدم وجود شيء ما بعد البحث في الأدلة ، مثل معرفتنا لعدم وجود زيد في الغرفة ، فنحن لا يمكن أن نعرف عدم وجوده فيها بالضرورة ، لكنا نعرف هذا بالاستدلال والبحث ، فبعد

أن ذهبنا إلى الغرفة ولم نجد زيدا فيها ، عرفنا وقتها بالدليل أن زيدا ليس فيها

وهذه كلها مسائل ظاهرة عند العقلاء ولكن هؤلاء أهل جدل ، أما نحن فأهل برهان والحمد لله.

- ثم يقول الملحد: "لا يوجد دليل على وجود خالق , لذا أنا غير مؤمن به.

ويحتج بحجج ضعيفة مثله بل هي حجة عليه لا معه..

- فيقول: "أنت كمؤمن , إن قيل لك بأن هناك إنسان طائر ، هل كنت لتصدقه دون ان يأتيك بدليل؟."

= فيرد على هذا فيقال: تلك حجة عليه فوجود إنسان طائر مخالف للعادة ، فعلى من ادعى وجوده عبء الإثبات لا لأن هذا مستحيلاً فالبشر قد يصلون إلى كيفية للطيران فيما بعد ، وهذا لا يمنعه لا العقل ولا العلم ، لكنا نطالبه بالدليل لأنه خالف عادة البشر.

وأنت بالفعل خالفت فطرة البشر في الإيمان بوجود خالق وشعورهم بالحاجة إليه وأن التذلل إليه عِزّ وأن التقرب منه نعمة.

ودليل إثبات وجود الله بالفطرة قادم[1] ، ولكن القصد أن هناك جمع كبير من الناس بغير اتفاق مسبق بينهم يقولون: "وجود الله أظهر من أن يحتاج إلى دليل."

وهم يستشعرون وجوده بداخلهم أكثر من وجود الشمس والقمر

فأنت هنا من خالفت عادة الناس فعليك الدليل.. وهو المطلوب.

= ثم يقال لهذا الملحد: عدم معرفتك للدليل ليست دليلاً على عدم وجود دليل.

وكان يعبر العقلاء عن هذا فيقولون:

"عدم معرفتك للدليل المعين لا تعني عدم معرفتك للمدلول المعين."

والقصد" أن المدلول هو الذي تحاول أن تدلل على صحة وجوده ، وهو كمثال وجود الخالق , فعدم معرفتك لدليل محدد يثبت وجود الخالق ، لا يعني عدم وجود الله بالفعل ، بل فقط يعني أنك لا تعرف..

[1] سيأتي مبحث دليل الفطرة على وجود الله

وهذه مسألة بدهية عند العقلاء ، فقد لا أعرف دليلا يثبت لي وجود الجاذبية ، مع أنها ظاهرة عند أغلب الناس ، وعدم معرفتي للدليل لا يعني عدم وجود المدلول ، وكثير من الناس كانوا لا يعرفون أدلة مسائل علمية علمنا أدلتها اليوم ، فلو كان عدم معرفة الدليل ينفي وجود المدلول ، لكان كل ما لا نعرف دليله بزمن ما ، مستحيل الوجود حسب منهج هؤلاء الفاسد.

ثم أن قولهم يستلزم اجتماع النقيضين ، فلو أني أعرف دليلا صحيحا على وجود القوة الجاذبية ، وأنت كقارئ لا تعرف أي دليل على هذا ، إما لعدم بحثك مطلقا أو لبحثك بكيفية خاطئة ، فحسب منهج الملحد فإن الجاذبية موجودة لأني عرفت دليل وجودها ، وغير موجودة لأنك أيها القارئ لم تعرف أدلة وجودها ! وهذا معناه أن الجاذبية موجودة وغير موجودة بنفس الوقت فتأمل فساد اعتراض هؤلاء!

ثم أن هذا يلزمه كذلك ، فيمكنني أن أعارضه فأقول : أن دليلي على وجود الله هو عدم وجود دليل ينفي وجوده ، وما كان رده هنا فهو ردنا هناك

وهذا إلزام لا محيد له عنه ، والله الموفق.

لذا وجب على كل ملحد أن يعترف بأنه "لا أدري" وليس ملحدا حتى يأتينا بدليل ينفي وجود إله.

والملحد قد يأتيك بأدلة علمية كما نقلت لكم حججهم سابقاً

و كلها عند التحقيق فيها ، لا تنفي وجود الخالق بل هي إلى إثبات وجوده أقرب وأظهر.

والقصد أنك كمناظر مخير بأن تبدأ بتلك المسألة مع الملحد أو أن تبدأ مباشرة بالأدلة التي سنبينها تباعاً إن شاء الله تعالى.

- فإن قيل: هل لا يصح أن نبدأ مع اللا-أدري بقول "الحجة على من ادعى" ؟.

= قلت: يصح فتقول له أنت خالفت عادة الناس بيقينهم أن هناك خالقا وهذا مغروز بفطرتهم فادعيت أنت الشك بهذا فعليك أن تثبت قولك.

ولكني لا أرجح هذا وأرى أن من الأفضل أن تبدأ مع اللا-أدري بوضع الأدلة مباشرة بعد أن تنتهي معه من مصادر المعرفة.

والله أعلم بالصواب.

❊ ❊ ❊

مبحث

دليل الفطرة على وجود الله

*قال الله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم ٣٠].

*قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف ١٧٢].

فوجود الله مغروز بالفطرة..

ومعلوم ضرورة أنه إذا قيل لأي طفل صغير .. "هناك خالق رب كل شيء قادر على كل شيء يراك ويعلم حالك" ..إلخ

"غني عن خلقه وخلقه يفتقرون إليه" ، سنجد الطفل جازماً بوجوده.

وهذا لا يختلف فيه أي أحد يسمع عن الله لأول مرة ، فبمجرد أن يتصور فكرة وجود خالق خلق كل شيء يجزم بوجوده.

وهذا منقول متواتر عن كل الناس دون اتفاق بينهم

- فإن قالوا: أليست الفطرة تتغير؟

= قلنا: نعم ، ولكن العبد يجد بنفسه معرفة لفطرته الأولى التي كان عليها من قبول جازم لوجود خالق..

- فلو قيل: ما دليلكم على أن الفطرة تدل على وجود الله؟

= قلنا: هذا من ظهوره لا يحتاج إلى بيان ، ألا ترى أن العربي والأعجمي من كل زمان ومكان يحكى عنهم أنهم عندما تصوروا أول مرة فكرة وجود خالق يفتقر إليه الخلق جزموا بها جزما تاما؟

وهؤلاء يمتنع تواطؤهم على الكذب لكثرتهم ولاختلاف أحوالهم وأعراقهم ولغاتهم .

ثم أن هناك برهان جميل في هذا..

فإن الناس جميعهم متفقون بأصل فطرتهم على تنزيه الرب من النقائص ، وما ينسبوه إلى الخالق من النقص كأن يقال بأنه هو

نفسه المسيح عليه السلام الذي تم صلبه وضربه وقهره ، أو كقول بعض الناس بنفي الكمال كقول بعض الناس : "أن الخالق بلا صفات" ..إلخ , فكل هذا يظنونه تنزيها ، فقد اتفقوا على أصل التنزيه وضلوا في كيفيته.

بل والملحد يقول: لو أن هناك خالق لما قبل بتعذيب خلقه..

ويأتي الرد[1] على هذا إن شاء الله تعالى.

والقصد أن تنزيه الرب أمر فطري ولم يتغير من فطرة العباد لقلة الشبهات على تنزيه الرب عن النقائص.

- فالملحد يقول: لو أن الله موجود فلن يكون إله الأديان , لأنهم ينزهوه عن تلك الأديان لأنها تنسب إليه النقص حسب ظنهم.

وهذا يدل على أن الفطرة تنزه الخالق حتى عند الملحد، وبما أن الفطرة تنزه الخالق فمن باب أولى تثبت وجوده.

ولكثرة الشبهات حول وجود خالق انتكست فطرة الكثيرين منهم ، ولولا هذه الشبهات لما شكوا في عدم وجوده ، فكفار قريش لم يكن

---

[1] سيأتي بيانه في مبحث معضلة الشر حجة ضد الملحد

عندهم كتاب وفلاسفة اليونان أغلبهم لم يؤمنوا بكتاب ، ثم أن هؤلاء كلهم أمنوا بوجود خالق خلق كل شيء

*قال تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت ٦١]

فلولا بعض الشبهات ومطالعتها دون تعمق سابق لما انتكست الفطرة عند الملحد ،

لكنهم مع هذا يجدون علما ضروريا داخلهم أن فطرتهم التي ولدوا عليها تقر بوجود خالق كما تقر بتنزيهه.

وهذا كما قال ابن القيم -رحمه الله-:

"وكيف يصح في الأذهان شيء لو احتاج القمر إلى دليل"

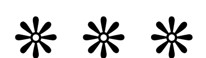
فما بالك بوجود الله.! فهو أظهر وأعظم , والجزم به بقلوب العباد دائم حتى تعرض عليهم شبهات والشك بعد وجود الشبهات لا يدل على عدم ظهور وجود الله ، فالشبهات قد جعلت هؤلاء الملحدون الضروري بصحتها.

لذا فإن الملحد يحارب الفطرة من كل وجه ، ولا فرق بين إنكاره وجود خالق وبين إنكاره البديهيات الأخرى التي تكلمنا عنها ، فإن شبهاته هنا هي من جنس شبهاته الأخرى حول البديهيات.

= ثم يقال: أنت كملحد تدعي أن الناس تعرف البديهيات العقلية بسبب الاستقراء والمشاهدة ، كمثال أن لكل سبب مسببا وقد بيّنا خلاف هذا.

= فيقال: هنا أن الله لم نره ولم نر مثيلاً له ، ومع هذا الناس تجزم بوجوده بمجرد تصور قضية أن هناك غني بذاته يحتاج إليه كل خلقه ، فإن كان الناس يجزمون بما يرونه فقط ، فجزمهم بوجود خالق خارق للعادة يثبت أن وجوده فطري.

وهو المطلوب.



مبحث

دليل الأخلاق على وجود الله

الأخلاق تثبت وجود الفطرة بشكل رئيسي ، والفطرة هي الخلقة وهي تدل على وجود الخالق .

ولبيان الدليل الأخلاقي على وجود الله " سأذكر الحجج بكيفية المناظرة ، فنسمي المدعي بأن الحجة الأخلاقية تثبت وجود خالق "مثبتا.."

والملحد الذي ينفي أن الحجة الأخلاقية تثبت وجود خالق نسميه "نافي "

- قال المثبت : الأخلاق إما أن تكون موجودة أو غير موجودة

ويمتنع أن تكون غير موجودة ، حيث أن الإيثار وتقديم الغير على النفس ومحبة الخير لمن لا تعرف وكراهة الظلم ومحبة من يساعد الناس كل هذا يعتبره الناس أخلاقيا بالضرورة ..

ولا مفهوم لها إلا هذا ويمتنع سير الحياة بدون هذه القيم

فهل تتفق؟

- قال النافي : الأخلاق موجودة لكنها مادية.

- قال المثبت : لو كانت الأخلاق مادية لوجب وجود خالق لها , لأن الطبيعة لا تفرق بين حسن وقبيح ، فدمار كوكب الأرض بكل من فيه أو عدم دماره ، بالنسبة للطبيعة سواء , فوجب وجود مسبب مريد له حكمة في غرز الأخلاق في البشر.

- الوجه الثاني :

= أن يقال: يمتنع أن توجد تلك الأخلاق بكل البشر عن طريق طبيعة لا تعرف شيئا.

بل وجب أن يكون هناك خالق جعل تلك القيم موجودة بكل الناس وهو ما أطلقنا عليه سابقاً اسم دليل الفطرة.

= ثم يقال للنافي: أنت بين خيارين:

إما أن تكون المادة مصيبة أو مخطئة.

- فإن قال: هي مصيبة فيما أعطته لنا من أخلاق.

= قلنا: هذا استدلال بالمادة على نفسها وهو استدلال دائري ,
فيصح لآخر أن يقول هي مخطئة فيما أعطته لنا من قيم.

ولذا فلا يمكنك أن تعتبر تلك القيم صحيحة بدون وجود خالق حكيم ولأنه حكيم فهو لن يخلق بنا غريزة نجمع على أنها صحيحة إلا إن كانت كذلك.

وأما المادية البحتة فلا يمكنك بها أن تعرف هل تلك القيم بحق "أمر جيد"؟

ولذا نجد أن أقل الناس أخلاقا هم الملحدون.

ولا عبرة لمن قال أن الإلحاد لا أخلاقي لكن يوجد ملحد ذو خلق

,إنما الحق أن كل من نفى وجود الله ويدعي نسبية الأخلاق فهو بلا أخلاق قطعا.

والقصد أنه بين خيارين:

إما أن يعترف أنه من الممتنع عليه أن يثبت بأن تلك القيم أخلاقية فعلا.

فينفي الأخلاق بالكلية ، وينفي بعض الضروريات الأخلاقية كتقبيح الظلم ، فبناء عليه سينفي بقية الضروريات أو البديهيات.

وإما أن يعترف بوجود خالق حكيم عليم لتلك القيم بكل الناس..

وهو المطلوب.

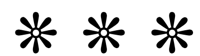
ثم نلزمهم بإلزام لا محيد لهم عنه:

= أنت كملحد عندما تناقش الدين تقول: ممتنع أن يكون الخالق هو رب الأديان لأنها لا أخلاقية , لأنه يمتنع أن يرسل الخالق رسالة إلا وهي أخلاقية , أما لو تلك رسالة بشرية مادية فلا مانع أن تكون لا أخلاقية.

فيرد عليك إنه كذلك ممتنع وجود قيم أخلاقية مغروزة بنا بدون خالق , وإلا فأنت اعترفت أنه لا يمكن الوثوق بالمادية على صحة تلك الأخلاق لأن المادية قد تعطينا رسالة لا أخلاقية بالفعل , فلا يوثق بها.

فالملحد إما أن يعترف أن إثبات الإلحاد هو نفي لأي قيمة للأخلاق أو يعترف أن الأخلاق خلقها الله بنا، وهو المطلوب.

وهناك مسائل كثيرة سأطرحها في مبحث المرجعية الأخلاقية وهو قادم لاحقاً إن شاء الله تعالى.



مبحث

الأدلة العقلية على وجود الله
دليل الإمكان

وبعد أن أظهرنا مخالفة الملحد ومحاربته للعقل والرد على سفسطاتهم .. حان الوقت لبيان الأدلة العقلية على وجود المولى سبحانه.

= فنقول: قد برهن العقل على وجود مسبب أول وهو الله عز وجل بعدة براهين:

منها أدلة مشهورة كدليل الإمكان.

والبرهان هو :

إن كل موجود إما أن يكون "ممكن الوجود" مثل الإنسان ، فيصح وجوده ويصح عدم وجوده، فالإنسان يمكن وجوده ويمكن عدم وجوده..

أو "واجب الوجود" فيصح وجوده ويمتنع عدم وجوده.

- فإن قال المخالف: أن كل الموجودات ممكنة الوجود فقط..

= قلنا: أن هذا ممتنع لعدة وجوه:

- الوجه الأول أن يقال :

لو كانت كل الموجودات ممكنة الوجود فقط

فالممكن هو ما كان مسبوقا بالعدم ثم أصبح موجوداً , ويحتاج بذلك إلى سبب يسبب وجوده عن عدم وجوده.

فلو كان كل ممكن يحتاج إلى مسبب أخر ، وكل مسبب يحتاج إلى مسبب أخر ، لزم أن يكون جملة أو سلسلة الممكنات تحتاج إلى علة أو مسبب لوجودها كذلك لامتناع وجودها بلا سبب.

فإما أن تكون علة هذه السلسلة هي السلسلة نفسها ، وهذا مستحيل ، لأنه يستلزم أن تكون الجملة سابقة لنفسها لتخلق نفسها ، ومسبوقة كذلك ليتم خلقها.

فتكون سلسلة الممكنات سابقة لنفسها لتخلق نفسها ومسبوقة لنفسها ليتم خلقها بنفس الوقت .. وهذا تناقض ممتنع عند كل عاقل..

ويمتنع أن يكون سبب هذه السلسلة من الممكنات جزء من هذه السلسلة لأنه يستلزم أن يكون هذا الجزء هو مسبب هذه السلسلة وأن تكون السلسلة علة أو سبب لوجود هذا الجزء..

فلا يوجد هذا الممكن الذي هو جزء من سلسلة الممكنات ،لا يوجد دون وجود أجزاء قبله ، فلا يوجد بدون جملة الممكنات هذه ، ولا توجد الجملة بدون هذا الجزء قبلها.

فلا توجد السلسلة قبل هذا الجزء ولا يوجد هذا الجزء قبل تلك السلسلة فلا يوجد لا هذا الجزء من الممكنات ولا جملة الممكنات "يعني كل الممكنات"

وهذا ممتنع ، والواقع يكذبه ، فالواقع يثبت وجود ممكنات بالفعل.

حتى أن كلامي هذا كان يمكن وجوده ويمكن عدم وجوده .

= ولتبسيط هذا نقول: لو أن كل الموجودات ممكنة الوجود فقط كالبشر يمكن وجودهم ويمكن عدم وجودهم لوجب بذلك وجود سبب يسبب وجود هذه الجملة من الموجودات الممكنة من البشر عن عدمها..

ولا يمكن "على سبيل المثال" أن يكون زيد هو سبب وجود الجملة كلها ، لأن زيدا جزء من جملة الممكنات من البشر ، فيستحيل أن

يكون هو سبب وجود جملة الممكنات ، وجملة الممكنات سبب في وجوده ، لأن وجود زيد مستحيل إلا لو كان هناك مسبب لوجوده..

فتكون السلسلة لا وجود لها بدون الجزء وهو زيد "كمثال" ، وزيد لن يوجد بدون السلسلة..

وبهذا لن يوجد لا زيد ولا السلسلة ، إذن , لن يوجد ممكنات أبدا ، وهذا خلاف الحس والمشاهدة فيكون سبب تلك السلسلة من الممكنات مسببا ليس "بممكن الوجود" وإلا لكان جزءا من السلسلة.

وليس "بممتنع الوجود" لأنه لو كان وجوده ممتنعا فمن باب أولى يمتنع أن يكون مسببا لوجود غيره من الممكنات فوجب أن يكون مسبب الممكنات موجودا وجب وجوده وامتنع عدم وجوده.

وهو المولى سبحانه وتعالى وهو المطلوب.

* * *

مبحث

الأدلة العقلية على وجود الخالق
دليل الافتقار

*قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر ١٥].

ودليل الافتقار يكون كالآتي:

= فيقال: الموجود إما أن يكون مفتقرا بذاته يحتاج في وجوده إلى غيره.

أو غنيا بذاته لا يحتاج في وجوده إلى غيره.

والمفتقر يحتاج للغني , لأنه لو قيل: "مفتقر يحتاج إلى مفتقر آخر والآخر يحتاج إلى مفتقر آخر إلى مالا نهاية"

سيكون مجموع الموجودات مفتقرا.

والمجموع أو السلسلة أو جملة الموجودات ستكون مفتقرة للغير من باب أولى.

فلو كانت أجزاء الجملة مفتقرة .. فالجملة من باب أولى.

مثل الطوب الذي يبنى به المنزل ، فكل طوبة تفتقر في وجودها إلى سبب ، فالمنزل الذي يبنى من الطوب يحتاج في وجوده إلى سبب غيره من باب أولى.

= وبيان هذا أن يقال :

إن الجملة هي كل جزء من الموجودات من شجر وبشر ومطر ، كل منهم يحتاج إلى غيره لكي يوجد..

فمجموع تلك الموجودات المفتقرة يحتاج إلى غيره من باب أولى.

وغير المفتقر هو الغني بذاته الذي لا يحتاج في وجوده إلى غيره.

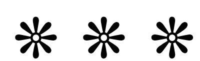
وهو المطلوب.

= ولبيان هذا يقال:

لو كان هناك فرد مفتقر يحتاج إلى غيره وانضم إليه فرد آخر محتاج إلى غيره فحاجتهم إلى الغير معاً أكبر وأعظم من حاجة الفرد فقط ، فأفراد الموجودات المفتقرة مجتمعين ، بحاجة إلى وجود خالق غير مفتقر بل غني لا يحتاج في وجوده إلى مسبب.

لذا تبين أن كل مفتقر يحتاج إلى الغني بذاته الذي وجب وجوده واستحال عدم وجوده ولم يكتسب وجوده من غيره.

وهو الله الغني الحميد.



مبحث

الأدلة العقلية على وجود الله
والرد على شبهة من خلق الخالق

صورة الشبهة بأن يقول الملحد : لو أنت الله خالق كل شيء ، فمن خلق الله؟

وقبل الرد علينا أن نبين نقطة:

أن لو قيل تسلسل العلل ، أو الخالقين ، أو المسببات ، أو المؤثرات.

فهذه المصطلحات عند نقاش الملحد يكون لها نفس المعنى .. وهو أن خالقا يحتاج إلى خالق قبله يحتاج إلى خالق قبله إلى ما لا-بداية.

ويرد عليهم ببرهان امتناع تسلسل العلل أو الخالقين.

وقيمة هذا البرهان أن نبين استحالة تسلسل المسببات , فنصل إلى مسبب أول لا يحتاج إلى خالق.

حيث أن الملحد قال بعد أن بينا له أن السببية حق وهي واجبة عقلا، فقال: "نعم السببية حق كما قال العقلاء."

- ولكنه عارضنا فقال: "لو كانت السببية حقا فإن للخالق خالق ، وإن لم تكن حقا لتعذر إثبات وجود خالق، وهو المطلوب.

وتلك الشبهة تعد من أشهر شبهاتهم ومن أضعفها كذلك!..

ويرد على هذا من وجوه:

= فيقال: السببية هي أن لكل حادث محدث .. أي أن كل شيء له بداية يحتاج إلى مسبب , لأن الشيء الذي له بداية يحتاج إلى غيره ليرجح كفة وجوده على كفة عدم وجوده , أما الأزلي الذي ليس لوجوده بداية فهو لم يكن معدوما في وقت من الأوقات حتى يقال بأنه محتاج لمرجح يرجح وجوده بعد عدم وجوده، ولفظ "يرجح" يعني "يسبب."

- قال الملحد: عندنا ثلاث فرضيات..

* الكون نشأ من العدم فجأة..

* أو أن هناك تسلسل فهناك خالق خلق خالقا إلى ما لا-بداية..

* هناك مسبب أول أزلي خلق كل شيء وهذا قول المؤمن..

- قال الملحد: ما دليلك كمؤمن أن فرضيتك صواب ؟

= فيقول المؤمن:

أما فرضيتك الأولى فممتنعة لأن العدم لا يملك وجوداً لنفسه فضلا عن أن يملك وجوداً لغيره!

لذا قال بعض العلماء:

إذا استحال أن يكون العدم خالقاً استحال أن يكون الخالق معدوماً.

أما فرضيتك الثانية وهي تسلسل العلل أو الخالقين فيرد عليها من وجوه:

- الوجه الأول:

= أن يقال: برهان الضابط والرصاصة:

لو أن هناك ضابط معه رصاصة ويريد أن يطلقها ، وينتظر أمرا من ضابط أعلى منه والضابط الأعلى منه ينتظر أمرا من ضابط أعلى منه , إلى ما لانهاية..

هل ستطلق الرصاصة ؟

قطعاً لا..

فوجب أن يوجد ضابط أول حتى يتم إطلاق الرصاصة.

وهذا بعينه يرد به على سؤالهم ، فلكي يوجد الإنسان وجب أن يكون له خالقا ، ولو احتاج كل خالق لكي يوجد إلى خالق قبله لما وقع هذا إلا لو عاد الأمر إلى خالق أول ، مثل أن الرصاصة لن تطلق إلى بأمر ضابط أول.

وعلى المؤمن أن يعلم لماذا لا يمكن إطلاق الرصاصة حينها ؟

= فنقول: لأن إطلاق الرصاصة متوقف على انتهاء عدد لانهائي من أوامر الضباط حتى يصل للضابط الذي معه الرصاصة..

وانتهاء مالانهاية تناقض ممتنع.

ولذلك قلنا أن الرصاصة لن تطلق إلى لو عاد الأمر إلى ضابط أول.

ولنطبق الدليل ذاته على قولهم "من خلق الخالق؟"

= فنقول: لو أن وجودي متعلقا بوجود خالق يسبق وجودي، والخالق هذا يحتاج إلى خالقا قبله إلى مالا بداي. سيكون عندنا عدد لانهائي من الخالقين ووجودي متعلق بانتهاء مالانهاية من الخالقين وانتهاء مالانهاية تناقض مستحيل.

فلو أن وجودي متعلق بالمستحيل فوجودي مستحيل.

كما لو قيل: زيد لن يوجد إلا إن انتهت الـ مالانهاية.

فهل سيوجد زيد ؟!!

ولو كان التسلسل الـ ما لانهائي في الخالقين مستحيلا , وجب أن يكون التسلسل نهائيا.

لأن (ما كان وجوده مستحيل فعدم وجوده واجب).

ووجود لانهاية في المسببات مستحيل

فعدم اللانهاية في المسببات واجب

فيجب أن تكون هناك نهاية لتلك السلسلة

وهو ما يعرف بالمسبب الأول ، وهو المطلوب.

لذا قال العقلاء: " أن التسلسل في الفاعلين يؤدي إلى عدم وقوع الفعل."

ولذا عندما ترى وجود إنسان بالفعل ، تعلم أنه يستحيل أن يأتي من عدم ، فوجب أن يكون أتى بسبب موجود آخر .

ومستحيل أن يأتي من تسلسل خالقين ، فوجب أن يكون أتى من مسبب أول.

ويمكن الرد على قولهم بتسلسل العلل بدليل (الإمكان أو الافتقار) وقد تكلمنا عنهم سابقاً ولكني أضع الأدلة المتنوعة وأنت كمسلم مخيّر تناظر بما تراه مناسباً.

فمن تدبر هذا علم أن كل فرضيات الملحد ممتنعة عقلاً ، وكل ما يدعيه المؤمن لا يعرف العقل غيره عند التحقيق.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

مبحث

معضلة الشر حجة ضد الملحد

معضلة الشر هي معضلة يحتج بها المخالف حتى ينفي وجود الله.

وتعريف المعضلة: المشكلة المستعصية التي لا حل لها[1].

وأما "الشر" ففيه شبهتان:

الأولى: إن وجد الشر امتنع وجود خالق .. , حيث أنه لو كان الخالق موجوداً لما خلق الشر.

والشبهة الثانية: متعلقة بالصفات وهي أن وجود الشر ينفي صفة الحكمة في الخالق..

وأما الشبهة المتعلقة بالصفات فتأتي[٢] عند الحديث حول الصفات بتفصيل تام ونحن مازلنا نناظر الملحد في وجود الخالق لا في صفاته.

فيرد عليه بوجوه فيقال:

[1] معجم اللغة العربية المعاصرة ١٥١٣/٢

[٢] سيأتي مبحث إثبات صفة الحكمة لله

= لو كان الشر دليلاً على عدم وجود خالق فالخير يدل على وجوده.

= ثم يقال له: الشر دليل على وجود الخالق بالفعل فلن يوجد عالم فيه موت وظلم ... إلخ , وبنفس الوقت فإن هذا العالم فيه خير وحياة ورد المظالم ، فلن يوجد هذا كله إلا عن طريق خالق خلق هذا العالم.

فلو أن عقلك كملحد يقول لك أن الصدفة أو الطبيعة هي التي تعطي الشر ، لأنها لا تفهم شيئا ، فالعقل يدل بشكل أعظم وأظهر على أن الطبيعة لن تنتج عالما فيه خير وشر لأنها لا تفهم شيئا..

فلما امتنعت على الصدفة أن تنتج لنا هذا العالم المركب من الخير والشر ، ثبت وجود خالق عليم.

لأن القاعدة تقول "إذا امتنع الشيء ثبت نقيضه"

فلما امتنع على الصدفة أن تخلق هذا العالم ، ثبت نقيض الصدفة وهو أن هناك خالقا خلق هذا العالم بإرادته وعلمه.

- فإن قالوا: لو كان الخالق موجوداً لتنزه عن خلق الشر..

= قلنا: هذا لو سلمته لك تنزلا فإن غايته أن ينفي صفة الحكمة لا أنه ينفي وجود الخالق الذي يفعل بمشيئته ، فأنت ولو نفيت حكمته بسبب خلقه للشر ، فلا تقدر على أن تنفي حكمة الخالق في بقية أفعاله الأخرى ، فضلاً عن أن تنفي وجوده بالكلية..!

والحديث عن حكمة خلق الشر قادم[1] في الحديث عن الصفات إن شاء الله تعالى.

وتبقى حجة المؤمن قائمة ، فبدون خالق لا يمكن وجود عالم فيه خير وشر.

وبرهان هذا كالآتي:

= فيقال: لو كان سبب الخير والشر واحد وهو الطبيعة فالطبيعة بلا إرادة أصلاً , ولا تفرق بين الخير والشر كذلك..

فأن تكون الطبيعة سببا لوجود الخير من جهة وسببا لوجود الشر من جهة أخرى , فهذا دال على الإرادة ، لأن الإرادة هي التي

[1] سيأتي مبحث الحكمة من وجود الشر وعلاقته بالإسلام

ترجح بين فعل مقدور وفعل مقدور أخر ، فلماذا الصدفة سببت الخير والشر معا ولم تسبب وجود الشر فقط أو الخير فقط ؟

والعقل يتصور عالما دون شر كالجنة ، ويتصور عالما دون خير كالنار ، فهذا كله متصور عقلا.

والاحتمالات الثلاث هذه إنما هي سواء عند الطبيعة..

وترجيح أحد الاحتمالات على الآخر لا علاقة له بالقدرة لأن الطبيعة قادرة على إيجاد الخير والشر معاً فمن باب أولى هي قادرة على إيجاد الخير فقط أو الشر فقط.

فترجيح هذا الاحتمال عن الاحتمالات الأخرى لا علاقة له بالقدرة ، لأن الطبيعة قادرة على إيجاد الشر فقط وإيجاد الخير فقط كما أنها عند الملحد أوجدت الخير والشر معا ، فيكون ترجيح هذا

الاحتمال بدلا من الاحتمالات الأخرى هو ترجيح بلا سبب ، وهذا نفي للسببية ، وهو ممتنع.

فلما ثبت أن وجود الخير مع الشر دال على أن الطبيعة قادرة على إيجاد الخير والشر عند الملحد!..

فترجيح الطبيعة لإيجاد الخير مع الشر بدلاً من إيجاد الخير فقط أو الشر فقط ، ممتنع لأن قدرة الطبيعة متعلقة بهذا وذاك ولا مرجح فيها يرجح بينهم.

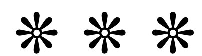
فثبت بذلك أن خالق العالم وجب أن يكون متصفا بالإرادة ، وإلا لنفينا السببية وبعدها بقية البديهيات العقلية! لأن القاعدة تقول "حكم الشيء حكم مثله" ولا فرق عقلا بين مبدأ السببية وبقية المبادئ العقلية البدهية الأخرى ، فلو جاز خطأ بديهة من البديهيات جاز خطأ بقية البديهيات الأخرى! وهذا محال عقلا كما بيناه بتفصيل تام من كل وجه.

فإذا تبين لك أن وجود الشر دال بالضرورة على اتصاف خالق الكون بالإرادة ، والصدفة والطبيعة بالاتفاق بلا إرادة ، علمنا بهذا فساد معتقد الملحد وصحة معتقدنا في هذا المبحث والحمد لله.

فيبقى الحديث عن أن هل الخالق موصوف بالإرادة والحكمة أم الإرادة فقط؟."

ومعرفة الحكمة من خلق الشر قادم بعون الله.

فمعضلة الشر معضلة ضد كل ملحد ، حيث أنه يمتنع عقلا وجود الشر مع الخير بنفس الوقت ، عند فرض عدم وجود خالق.



مبحث

الرد على قول الملحد
"أنت تثبت إله الربوبيين لا إله الإسلام"

وهذا اعتراض مشهور جدا عندما تقيم الحجة عليهم على وجود خالق.

- قالوا : أنت لم تثبت إله الإسلام بل تثبت إلها فقط.

- قالوا : النصراني والمجوسي وغيرهم متفقون معك على كل ما أثبتّه أنت , فلماذا لا تثبت إله الإسلام مباشرة؟

- قالوا :هناك ٤٢٠٠ دينا كلهم متفقون على نفس الرب الذي أثبتَّ لنا وجوده.

انتهى.

فرد عليهم العقلاء بوجوه كثيرة:

- الوجه الأول :

= إن كل مسلم ربوبي وليس كل ربوبي مسلما.

فكل مسلم متفق على وجود رب بالفعل.

*قال تعالى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة ٢] .

فنحن نثبت رب الإسلام بغض النظر عن اتفاق الأديان الأخرى معنا.

- الوجه الثاني :

= أن يقال: اتفاق تلك الأديان كلها معنا حجة عليك كملحد , لأنك أنت من خالفت ٤٢٠٠ دينا كما تدعي ، وسنرد[١] إن شاء الله على ادعاء الملحد أن هناك أديان كثيرة جدا ، ونبين كيفية معرفة الدين الحق من بينها في غير هذا الموضع.

لكن القصد هنا أنك خالفت كل هؤلاء في اعتقادهم بوجود خالق , وقد تبين أن مخالفتك لكل هؤلاء ممن يعتقد بوجود خالق ومنهم المسلمون ، ليست مخالفة مبنية على عقل ولا على علم.

[١] سيأتي تفصيله في مبحث الرد على شبهة ما الدين الحق بين ٤٢٠٠دين؟

- الوجه الثالث :

= أن يقال: إثباتي لوجود رب خالق لا تنفي وجود إله الإسلام بل تثبت وجوده عندما نثبت صحة الرسالة.

- الوجه الرابع :

اعتراضك كملحد كاعتراض من يقول: لماذا تثبتون أن العقل مصدر من مصادر المعرفة وكل أهل الأديان متفقة على هذا ؟ , فأنت لن تثبت دينك إن أثبتّ أن العقل مصدرا للمعرفة!..

وهذا هذيان لا يقوله من يفهم ما يقول ، لأني كمسلم لم أدعي أن أهل الأديان الأخرى لم يصيبوا بعض الحق الذي عندنا في كل شيء ! بل أن المسلم يدعي بأنه إذا تبين أن الإسلام حق فإن أهل الأديان الأخرى أصابوا فيما وافقوا فيه الإسلام وغلطوا فيما خالفوا فيه الإسلام..

لذا قال العقلاء لهم: أنتم تعترضون لمجرد الاعتراض..

= ثم أن المسلم يقول: إن الحجة تثبت ما اتفق عليه المسلمون مع غيرهم في هذا الباب ، وهي حجة عليك كملحد , لأنك خالفت كل

هؤلاء وخالفت العقل والحس كذلك , وهذا يبين لك ضعف منهجك أكثر ويبين أن الأمور المشتركة عند أهل الأديان صحيحة ، وهو ما يثبت أن الإلحاد فشل أمام حجة أهل الأديان ، وهو المطلوب.

وفي العادة فإن الملحد المعترض بهذا الاعتراض لا يريد إلا إلقاء الشبهات ، ولا يريد أن يقر بالحق بعدما تبين له.

لذا فأنت كمسلم لو قيل لك: "أثبت لي إله الإسلام" ، فابدأ معه كما بدأنا ثم قل له: أنا عندما أثبت أن الله هو الخالق الأول فأنا أثبت قول النبي ﷺ: ((كان الله ولم يكن شيء قبله))[١] ، سواء اتفق المجوسي معي أو لا ، فأنا أثبت إله الإسلام بمنظور الإسلام ولو اتفق معي أهل الأديان الأخرى في هذا الحق الذي أثبته لك بالبرهان ، فهذا لا يضر ، فإن اتفاقهم مع الحق في بعض الأمور لا يجعلهم على حق مطلقا لذا , أقول : هذا دليل إثبات المسبب الاول أو أن المسبب الاول غني وموصوف بصفات كالإرادة .. إلخ ، ثم أقول: وهو (الله عز وجل) ، لأني أثبت ما قاله الإسلام بالفعل في

[١] صحيح البخاري | كِتَابُ التَّوْحِيدِ | بَابٌ : وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، حديث رقم ٧٤١٨

هذه المباحث ، وأما إثبات صحة الرسالة الإسلامية نثبتها لاحقا بتفصيل تام وحجج قطعية إن شاء الله تعالى.

- فلو قالوا: لماذا لا تثبت وجود الخالق بصحة الرسالة الإسلامية مباشرة؟.

= قلنا: هذا الطريق ممكن ، ولكن أنت كملحد لا يحق لك أن تلزمني بهذا ، لأنه لا يوجد بالإسلام شيء يمنع من إثبات وجود الله بالأدلة العقلية ، أو أن وجود الله لا يعرف إلا بالكتب السماوية ، فلا أنت بقادر على إلزامي بشيء يقول بهذا من معتقدي ، ولا قادر على إلزامي بشيء يوافق العقل يقول بهذا ! فالعقل يقر بأن الحق قد يعرف بدلائل مختلفة ومتعددة ، فمعرفة وجود الخالق قد تعرف بالأدلة العقلية النظرية ، كما قد تعرف بأدلة أخرى ، مثل دليل الفطرة كمثال ، فلم أعرف بحياتي عاقلاً يقول بأن الحق يستحيل أن يعرف إلا بطريق واحد ! إلا بعدما ناقشت كثيرا من هؤلاء الحمقى المغيبين ، نعم" قد توجد مسائل عليها دليل واحد فقط ، ولكن هذا لا يمنع من أن مبحثنا هذا عليه أدلة كثيرة كما بينت ، وهناك مباحث كثيرة بواقعنا سواء كانت عقلية أو مادية أو عقدية ، ويمكن إثباتها

بعدة أدلة ، فما أدري كيف فكر الملحد عندما قال هذا الاعتراض الدال على قصر نظره.. !

بل أن وجود الخالق يعرف بالفطرة والعقل بل وبشبهتك تلك أيضا , لأن الناس رغم اختلاف أديانهم اتفقوا على وجود خالق عرفوه بالفطرة , فيستحيل اجتماعهم على الكذب في قولهم لشعورهم الضروري الذي هم مفطورون عليه ، فالكذب منهم ممتنع لكثرتهم ولشدة اختلافهم ، ولا يمكنك إيجاد مبررا لشعورهم الضروري جميعا بوجود خالق إلا أن تعترف بوجوده بالفعل ، لأن الطبيعة وحدها لا تفرق بين غرز معرفة وجود الخالق فينا من عدمه ، فامتنع أن تغرز فينا معرفة وجود الخالق واحتياجنا إليه ، فلما امتنع هذا على الصدفة والطبيعة علمنا بأن الذي فطرنا على هذا هو هذا الخالق الذي خلق كل شيء ، وهو المطلوب.

= ثم الأولى مع الملحد أن تقول له :

أنت ألحدت منذ زمن بعيد فلا مانع من أن تتبع معي الخطوات بيومين أو ثلاثة حتى نصل إلى الحقيقة وتتبعها حيث كانت ، ونحن

بيّنا وجود خالق بالفعل بحمد الله فلا داع لاعتراضك هذا فنحن على الطريق الصحيح.

وهذا أسلوب جيد حيث أنه لا يجب أن تنسى كمسلم أنك ترجو هداية الملحد ولا تعامله بعدوانية تنفره منك بلا ضرورة ، بل ضع الأمور في مكانها الصحيح تنفع وتنتفع بتوفيق الله.



مبحث

الأدلة العلميّة على وجود الله

هذا مبحث مهم لكل ملحد ، فهم يدّعون اتباع العلم.

ويقال إجمالا حول هذا: العلم التجريبي هو رصد الظواهر الطبيعية وتفسيرها.

وهذا التعريف بحد ذاته يثبت السببية ، حيث أن تفسير الظواهر الطبيعية هو عين السببية ، وهذا يستعمل في كل ظاهرة طبيعية , مما يثبت أن من نفى السببية نفى العلوم بالكليّة..

ثم إن العلم أثبت لنا افتقار الأشياء حولنا وأن كل ما حولنا له بداية , مما يثبت حاجته لخالق وهذا بينته سابقاً.

والقصد هنا أن العلم التجريبي يثبت حاجة المخلوق إلى الخالق بعدة جهات:

أولاً: بداية الموجودات حولنا مما يعني أنها تحتاج إلى غني بذاته خلق كل شيء.

ثانياً: الضبط الدقيق.

*قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَ ٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ١٦٤].

وهذا ضروري عند العقلاء ، فدلالة الخلق على وجود الخالق دلالة لازمة بفطرة كل إنسان.

ثم أن الخلق يدل على أن الخالق هذا عليم بلا شك وهذا ظاهر كما بينته الثوابت الكونية.

مثال:

الثابت الكوني للجاذبية لو اختلف بمقدار ١/(١٠)^(٦٠) لانهار الكون منذ اللحظة الأولى .

هذا الرقم {/(١٠)^(٦٠)} معناه: واحد صحيح مقسوم علي عشرة للأس ستين ، وهذا الرقم صغير أشبه بالعدم وكوننا مضبوط على

هذا الرقم ، بمعنى أنه لو زاد هذا الرقم أكثر من هذا قليلاً لتمدد الكون إلى ما لانهاية بفعل قوة الانفجار الأول حتى يتلاشى بالكلية وينهار ولم يكن ليتكون أصلاً.

وكذلك هذا الرقم لو نقص قليلاً مما هو عليه الآن لظل الكون ينكمش وينجذب منذ اللحظة الأولى إلى أن يتلاشى أيضاً ويصبح عدماً بفعل الجاذبية.

وهذا يعني أن الكون مضبوط بدقة عالية جداً تفوق مخيلات البشرية جمعاء ، تشير إلى وجود قوة حكيمة صنعت هذه القوانين والثوابت.

فالثابت الكوني للتمدد[١] لو اختلف بمقدار {١/(١٠)^(١٢٠)} لانهار الكون منذ بدايته ولم يتكون وهذا الرقم معناه واحد صحيح مقسوم على عشرة للأس مائة وعشرون ، وهذا الرقم أيضاً صغير جداً يقترب من العدم والصفر المطلق ، هذا الرقم يعني أنك قسمت

[١] راجع موقع Evolution News مقال بعنوان Roger Penrose on Cosmic Fine-Tuning: “Incredible Precision in the Organization of the Initial Universe”

الواحد الصحيح إلى مليارات مليارات مليارات من الأجزاء فكم يكون هذا الرقم ضئيل ؟ !

أيضاً بنفس الطريقة ، لو زاد هذا الرقم قليلاً أو نقص قليلاً لانهار الكون منذ اللحظة الأولى ولم يكن ليتكون أصلا..

وتلك الثوابت تدل على أنها لا تأتي صدفة , وطالما أنها لم تكن صدفة ولن تكون كذلك فهي أتت عن طريق خالق عليم.

وهو المطلوب.

والعلاقة بين نسبة كتلة وطاقة الكون لو اختلفت بمقدار {١/(١٠)^(١٠)^(١٢٣)} لانهار الكون منذ اللحظة الأولى ولما كانت هناك حياة وهذا الرقم معناه واحد صحيح مقسوم على عشرة للأس عشرة للأس مائة وثلاثة وعشرون , وهو رقم شبه عدمي صفري ليس باستطاعتك أن تتخيل صغره فهو يقترب من الصفر مليارات مليارات مليارات المرات ، وهذا الرقم لو زاد أو نقص لم تكن هناك حياة لاختلال كل أنظمة الكون!..

ودلالة وجود الحياة على وجود الخالق دلالة ضرورية.

*قال تعالى:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عملا ﴾ [الملك ٢].

وقد عارضوا هذا بمعارضة خبيثة لا يوجد عندهم أقوى منها وهي عند التحقيق كعقيدتهم أهون من بيت العنكبوت..

- قالوا: لو كان كوننا منظما فهذا يحتاج لخالق فعلا ، والخالق يكون أعظم من الكون فيحتاج لخالق أيضا!!..

= قلت: وهذا ضدهم أصلاً لا معهم..

فبما أن الخالق أعظم من كوننا فإن هذا يدل على أنه أزلي لا أول له ولا يوجد أعظم من هذا..

والأزلي لا بداية له وبالتالي لا يحتاج إلى خالق ليخلقه ، لأنه لا وجود لشيء قبله ليكون خالقاً له.

= ثم يقال :

العلم دل على افتقار عالمنا ولم يدل على افتقار خالق عالمنا.

حيث أن عالمنا كل أجزائه مفتقرة إلى مسبب ، وبما ان كل اجزاء العالم لها بداية وتفتقر إلى مسبب فبالضرورة أن العالم يفتقر إلى مسبب من باب أولى ، مثل لو قيل أن كل جزء بالمنزل له بداية فأن يكون للمنزل بداية من باب أولى ، وبداية عالمنا يثبت افتقار عالمنا إلى مسبب ، وكما أن السببية بديهة عقلية فإن العلم كله يعتمد على صحة السببية والعمل بها.

وكما بينا أن العقل دل على وجوب وجود خالق أزلي أول..

فتبين أن هناك خالق للكون بالعلم والعقل.

وهو المطلوب.

فهذه كلها حجج علمية ثابتة ومعلومة ، مع أن الحق بأن نقول أن الله لو أراد وجود الكون بثوابت أخرى غير هذه الثوابت لفعل ، ولكن هذا الفرض يثبت قولنا كذلك ، فالغاية من الحجة أن نبين أن الكون يمتنع وجوده دون خالق ، لأن الطبيعة غير قادرة على إيجاد كون منظم مثل كوننا ولا هي قادرة على إيجاد كون منظم بثوابت أخرى ، وليس هدفنا أن نبين أن خالق كوننا لا يقدر على خلق

الكون بثوابت أخرى ، فبما أنه قدر على خلق هذا فهو قادر بالضرورة على خلق غيره بثوابت تنظمه كذلك ، فهذه الثوابت دالة على وجوده وليست دالة على تقييد قدرته.

ولو نظرنا في بعض العلوم كعلم الأحياء وغيره لما وجدنا خلافا بل وجدنا ما يتفق مع أن الإنسان مخلوق بتنظيم يمتنع وجوده دون وجود خالق عليم ، وهناك كتب مختصة بالتنظيم الدقيق وغيره فيها أمثلة كثيرة نمتنع عن ذكرها هنا خوفاً من الإطالة..

-فإن قالوا: العالم فيه أشياء كثيرة غير منظمة ، فما الرد؟

=قلنا: التنظيم يدل على خالق عليم ، وعدم التنظيم يدل على افتقار تلك المادة لخالق لها رغم أننا لا نسلم لهم وجود أي شيء بلا تنظيم أبدا لكنك كمناظر مسلم قد تجهل حكمة الله في خلقه بعض الأمور..

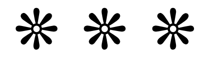
فيكون ردك حاضرا بدليله العقلي الظاهر والعلمي الحاصل.

والذي لا نعلم تفاصيل خلقه بتنظيم من المخلوقات ، فهو من جنس الإنسان الضعيف الذي كلما وجدته أضعف كلما علمت افتقاره واحتياجه لله

بل حكمة الله الظاهرة في خلق أشياء كتلك تبين لك حاجة المادة للخالق.

والمادة المنظمة من جنس الرجل الذكي الذي عندما تراه تقول سبحان من خلق هذا.

والمراد أن نبين لك وجه الدلالة من الحجة ونرد على شبهة الخصم حتى لم يبقى له شيء بفضل الله.



مبحث

هل الله قادر على خلق المستحيلات؟

وقد ذكروا مسائل يظنون أن فيها نفي وجود خالق.

- قالوا: لو كان الله يقدر على كل شيء فهل هو قادر على أن يخلق صخرة لا يستطيع حملها ..؟!

- قالوا: وهل يستطيع أن يخلق إلها مثله ..؟

= قلت: وقد أرادوا هؤلاء نفي صحة قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران ١٦٥].

- قالوا: فلو كان الله على كل شيء قدير بالفعل ، فهو قادر على أن يخلق إلها مثله وهذا مستحيل لأن الإله وجب أن يكون غير مخلوق ، ويستحيل أن يخلق إلاها مخلوق وغير مخلوق بنفس الوقت لأن هذا تناقض ، ولو كان غير قادر فهو لا يستحق أن يكون إلها.

= ويرد على هذا الهذيان وقمة الخذلان عند العقلاء من وجوه:

أفتتحها بنقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في المسألة ، قال : "وهُوَ سُبْحانَهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا يُسْتَثْنى مِن هَذا العُمُومِ شَيْءٌ؛ لَكِنَّ مُسَمّى «الشَّيْءِ» ما تُصُوِّرَ وُجُودُهُ فَأمّا المُمْتَنِعُ لِذاتِهِ فَلَيْسَ شَيْئًا بِاتِّفاقِ العُقَلاءِ"[1]

= فهذا كلام شيخ الإسلام -رحمه الله- ونبين ما فيه من دقائق وحقائق فالمولى عز وجل على كل شيء قدير ، فإن كان على كل شيء قديرا ولا يقدر على حمل الصخرة ، كان هذا معناه أنه قادر غير قادر وهذا تناقض ممتنع.

وقدرة الله إنما تتعلق بالممكنات لا بالممتنع لذاته ، وسنبين إن شاء الله.

الشبهة الثانية : وهي أن الله يخلق إلها مثله ..! ومعلوم أن الله غير مخلوق.

- فالملحد يسأل: هل يقدر الله أن يخلق إلها مخلوقا غير مخلوق..؟!

وهذا تناقض ممتنع.

[1] مجموع الفتاوى ٥١٢/٨

- فقالوا: هل لا يقدر على خلق الممتنع لذاته؟

= فيرد بالوجه الثاني فيقال :

العدم لا شيء وقدرة الله لا تتعلق بخلق اللا شيء بل خلق الشيء ، لذا قال أنه على كل شيء قدير والعدم ليس بشيء فلا تتعلق القدرة به.

ويبين هذا الوجه الثالث:

أن إذا كان العدم يمتنع عليه الوجود .. فالممتنع الوجود لذاته كالتناقض مستحق للعدم عن غيره.

مثل أن يقال: زيد غير موجود.

فهنا نفينا الوجود عن زيد فهو معدوم غير موجود , لكن وجوده ممكن.

أما الممتنع لذاته ممتنع وجوده فهو مستحق للعدم عن غيره فلا تتعلق القدرة به لأن القدرة تتعلق بالشيء والعدم لا شيء.

- فلو قالوا: أنت كمسلم بنيت حجتك على أن التناقض ممتنع الوجود ونحن نقول أنه ممكن الوجود.

= قلنا: هذا مخالف للعقل بالضرورة.

= ثم نلزمهم فيقال لهم: لو كان التناقض ممكن وجوده فشبهتك لا قيمة لها.

ويبين هذا الوجه الرابع:

= فأنت تدعي كملحد أن التناقض وجوده ممكن فيصح أن يقال: الله يخلق صخرة لا يستطيع حملها وهو في نفس الوقت على كل شيء قدير.

= ويصح أن يقال: يخلق مخلوقا غير مخلوق.

- فلو قالوا: هذا تناقض ممتنع وجوده.

= قلنا: فالممتنع وجوده عدم لا تتعلق القدرة به ، والله قادر على خلق كل شيء لا على خلق اللا شيء.

- فإن قالوا: ممكن , سقطت حجتهم.

= لذا قال لهم العقلاء: إن شبهتكم مبنية على عدم فهمكم لها.

فلو كان الممتنع لذاته كاجتماع النقيضين مستحيل الوجود فهو عدم لا تتعلق القدرة به .. ولو كان ممكن الوجود فالله قادر عليه وأنت لا تستطيع أن تنفي هذا كملحد لأنك قلت أنه ممكن!

لذا عليك كمسلم فهم معتقد المخالف , فهو يظن أن اجتماع النقيضين ممكن وبينت هذا سابقا ورددت عليه لكن نلزمه بقوله ..

فلو كان المستحيل لذاته ممكنا كاجتماع النقيضين فلن تستقيم له أي شبهة على الإطلاق سواء هذه أو غيرها ، ولو عاد لقول العقلاء تبطل شبهته.

والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به.

* * *

مبحث

هل عدم معرفة ماهية الخالق تمنع وجوده؟

لعل القارئ يتتبع حجج المخالف للدين والرد عليها ، هل لاحظتم كيف أن هؤلاء ضعفاء؟ وأن حججهم ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـًٔا ﴾

والآن سأذكر شبهة لهم جديدة ، نشروها بكل مكان وظنوا أن شبهتهم تلك تهدم أدلة وجود الله

وبالرغم من ضعف شبهتهم ولكني سأذكرها وأرد عليها بتفصيل حتى يرى المؤمن بل والملحد الذي يقرأ الكتاب ، كيف أن كل شبهة يتنباها أهل الإلحاد تبين أن منهجهم في الرد على أهل الحق منهج ضعيف هش لا يقف أمام حجج أهل الأديان فضلا عن حجج المسلمين..

وصورة الشبهة كالآتي..

- يقولون: ما لا نعلم ماهيته لا نعلم وجوده.

- قالوا: أنت كمؤمن لا تعلم ماهية هذا الخالق.

- قالوا: ولا تراه ومع هذا تؤمن بوجوده.

انتهى.

= قلت: وقولهم هذا مبني على عدم فهمهم لمحل النزاع ، فنحن نعلم وجود الله تعالى بالفطرة والعقل وغير ذلك من الأدلة.

وهذه أدلة تفيد إثبات وجود الخالق لا معرفة كيفية ذاته وصفاته ، ألا ترى أنك تعلم وجود كاتب لهذا الكلام رغم أنك قد تكون لم تره؟ ولا تعلم لون بشرته , كمثال..؟

ولله المثل الأعلى ، فعدم معرفة ماهية الشيء لا يمنع أن له ماهية فضلا عن أنه لا يمنع من إثبات جوده.

-أما قولهم: لا يمكنكم رؤيته ، فهذا لعدم فهمكم لدين الإسلام.

فرؤية الله جائزة عقلا عندنا وهي خاصة بالمؤمنين يوم القيامة.

*قال تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝ ﴾ [القيامة ٢٢-٢٣] ، فنحن نعتقد أنه يجوز رؤيته.

- فإن قالوا: لكننا لا نراه بالفعل.

= قلنا: هذا لا يمنع وجوده ، بل هو موجود بالأدلة الأخرى التي لا تستطيعون الرد عليها بفضل الله.

وهناك بيان بسيط هنا:

= أتقولون أن كل ما لم نره يمتنع وجوده؟

- إن قالوا: "نعم"، خالفوا العقل والحس ، فأنتم كل يوم ترون أشياء جديدة ومع هذا لم تكن ممتنعة الوجود حتى رأيتموها!!..

وهذا لا يقوله من يفهم ما يقول.

ولعل المسلم العاقل لو رأى تلك الشبهات حمد ربه على عقله

فهؤلاء لا ينفعهم عقل ولا حس.

*قال تعالى:

﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان ٤٤].

فشبهتهم مبنية على شيء مخالف للعقل وللعلم ، فالعلم دائما ما يكتشف أمورا جديدة لم تكن معلومة ولا مرئية من قبل لأحد سوى الله تعالى ، ولم يقل عالم أن تلك الاكتشافات العلمية كانت ممتنعة ثم أصبحت بعدما رأيناها ممكنة الوجود ، هذا لا يقوله عاقل ولا مجنون ، ولكن الأدنى من ذلك كالملحد فقط هو من يفكر هكذا.

والقصد أن كل موجود تصح رؤيته وليس كل موجود وجبت رؤيته ، وهذا ما نراه بالواقع والعقل جزم به ، فمن جعل كل موجود وجبت رؤيته .. ألزمناه وقلنا له :

أنت ما رأيت عقلك ، فعقلك غير موجود , وقولك كل موجود تجب رؤيته قضية عقلية ، وأنت بلا عقل لأن عقلك لو كان له وجود لوجب رؤيته.

فتأمل هذا الإلزام ولعلهم يهتدون!.

❋ ❋ ❋

مبحث

ختام مبحث براهين وجود الله

والآن في الختام نبيّن الحجج بشكل مجمل وتفصيلها قد سبق ونربطهم ببعض إن شاء الله تعالى.

فالدليل الأخلاقي دال على كون الفطرة شعورا عند كل الناس ولا عبرة لمن ينكرها ، إذ لو قال لي أحد: أنا لا أتكلم ، رغم أنه يتكلم فلا عبرة لإنكاره!..

ودليل الإمكان حجة مع دليل الافتقار يتبين بهم أن الإنسان دليل على وجود الله ، فانظر لنفسك فأنت موجود.

والعدم مع العدم لن يعطوا وجودا كما أن صفرا مجموعا إلى صفر لن يعطينا واحدا!.. فيلزم أن الموجود الأول أزلي لأنه لو كان الوجود له بداية ، للزم أن العدم أنتج وجودا وهذا ممتنع ، وتفصيله قد سبق.

فوجود الإنسان يدل على وجود خالق أول أزلي قطعاً ، والشر مع الخير يدلان على وجود خالق له إرادة وعلم ، لتماثل الخير والشر

عند الطبيعة العمياء ، فيلزم من هذا وجود خالق يجعل وجود الخير والشر بدلاً من الشر وحده كمثال ، وتفصيله[1] سبق.

والعلم دل على وجود خالق بالضبط الدقيق..

- فإن قالوا: هل الله كان لا يقدر على أن يخلق كوننا هذا دون تلك الثوابت؟

= قلنا: بل قادر ، ولكن حجة الثوابت الكونية تدل على امتناع وجود ضبط دقيق دون خالق عليم.

ولا تدل على امتناع وجود الكون بثوابت أخرى لو أرادها الله..

فالغاية من الحجة هي إثبات امتناع أن يكون خالق كوننا هو الطبيعة أو كون آخر هو من خلق هذا الكون المنظم هذا التنظيم..

بل أن هناك خالق عليم هو من خلقه.

والواجب الالتزام باللفظ الشرعي ، فلا يقال "خالق ذكي" بل عليم

[1] راجع مبحث معضلة الشر حجة ضد الملحد

والصواب أن كل مسلم ربوبي ، والملحد خالف كل أهل الأرض عندما نفى وجود خالق والخالق غير مخلوق كما بينا.

وتقبل الله منا الطاعات ، وزادنا وإياكم فوق اليقين يقين.

وما من شبهة يذكرها الملحد يظنها تنفي وجود الله إلا وأثبتنا بها وجود الله ، وهذا يبين لنا أن هؤلاء لم يتفكروا أبدا ولو تفكروا ما ألحدوا..

فالحق أن وجود الخالق مسألة عقلية بل وفطرية بكل إنسان ، ومنكروا هذا من الملحدين أو غيرهم هم مخالفون للفطرة ولأنفسهم وعميت أبصارهم عن الحق الظاهر.

انتهى بهذا مبحث إثبات وجود الخالق.

والمبحث القادم متعلق بمعرفة أدلة بعض صفات الخالق وإثبات وجوب وحدانيته إن شاء الله تعالى.

* * *



صفات الخالق

مبحث

مقدمة في مبحث الصفات

*قال تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة ٢٥٥].

*وقال تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه ١١٠].

فبين تعالى أنه أعلم بنفسه منا.

وإنه مهما علمنا عنه من صفات فلن نعلم عنه كل شيء ، بل سنعلم البعض الذي يسر لنا أن نعلمه فقط ، إذ أن الإحاطة بالمخلوق من كل وجه منتفية ، فما بالك بالله العظيم ؟

ومعرفة الله عز وجل بالنقل أو بالعقل لها ضوابط نبينها بمبحث منفصل بعون الله تعالى.

ونبين كيفية ضبط الأدلة العقلية الموافقة للنقل ، حيث أن العقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح ، بل أن النقل قد دل على أفضل الحجج العقلية ، فقد دل عليها إما بالتضمن أو باللزوم أو بالمطابقة ، كقياس الأولى وغيره.

ودلالات التضمن والمطابقة والالتزام لها شروحات نافعة ، ومن أراد فهمها فعليه بالقواعد المثلى لابن عثيمين -رحمه الله-.
فقد شرح هذه القواعد بشكل تفصيلي ينفع كل طالب علم.
وأما قياس الأولى وغيره من براهين الكتاب العقلية التي لن تخالف أي نقل فهي قادمة إن شاء الله تعالى في هذا الباب في الحديث عن الصفات.
وأهل السنة وهم أهل الحق ، مجمعون على أننا لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه ، من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل ولا تكييف.
وأدلة إثبات الصفات للخالق كثيرة ، فقد دل العلم بل والعقل على كثير من صفات الخالق ، وجاء النقل الصحيح موافقا لما دل عليه العقل الصريح ، لأنهم بالضرورة لا يتعارضان.
ويجب على كل مسلم أن يعلم أنه من الممتنع أن يوجد برهان عقلي يثبت صفة من الصفات إلا وقد جاء النقل بذكر هذه الصفة ، وهذا ليعلم الناظر أن الذي دل عليه العقل الصريح من إثبات الصفات إنما وافق الدين الإسلامي من كل وجه ، وسنبينه ، وقد يوافق الأديان الأخرى من بعض الوجوه لا كلها.

وكذلك على المسلم أن يعلم بأن من المستحيل أن يوجد برهان عقلي صحيح يمنع اتصاف الخالق بصفة من صفات النقص ، ويكون النقل الصحيح جاء بإثبات هذه الصفة.

"مثال" البرهان العقلي الصحيح دل على امتناع اتصاف الخالق بصفات النقص مثل القهر والضعف ، وكتاب النصارى مليء بإثبات القهر والضعف للإله ، فعلمنا بهذا بأن هذا بأن كتابهم ليس نقلا صحيحا عن رب العالمين.

والعقل يعرف بالبرهان اتصاف الخالق بالوحدانية والعلم والإرادة وصفة المحبة والعلو وغيرها من الصفات التي جاء بها النقل الصحيح من الكتاب والسنة.

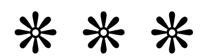
ومبحثنا هذا سيهتم ببيان وجوب اتصاف المسبب الأول بالصفات ، ثم نذكر بعض الصفات التي يمكن الوصول إليها بالعقل الصريح ، سواء بقياس الأولى أو بغيره من الأقيسة العقلية الصحيحة والتي فهمناها من براهين الوحي العقلية على الكافرين.

فسأشرح إن شاء الله هذه الأقيسة العقلية ، وأهتم ببيان وجودها في كتاب الله ، وأنها أقيسة بدهية لا يصح لعاقل أن لا يتبعها ، وأبين أن هذه الأقيسة كما أنها تثبت وجود الخالق فكذلك تثبت وجوب اتصاف

الخالق بالصفات كما أنها تثبت وجوب اتصافه بصفات الكمال كالعلم والقدرة.

وسأرد على كل شبهة أعرفها للمخالفين من أهل الإلحاد حول الصفات إن شاء الله تباعاً.

والله الموفق.



مبحث

شرح قياس الأولى وعلاقته بصفات الله

وقياس الأولى موجود بالكتاب والسنة ، وهو ثابت عند العقلاء ، وهو قياس عقلي صحيح ، خاطب الله به العقلاء وهذا يرد على من ظن أن القرآن لا يوجد فيه أدلة عقلية كافية تبين للعقلاء وجود الله ومعرفة صفاته ، وهي براهين عقلية قرآنية ، وهذه البراهين توافق بقية النصوص في القرآن كذلك ، وهذا أصل هام ، فقد تجد في كتب اليهود والنصارى قاعدة عقلية صحيحة وموافقة للفطرة ، لكنها قد تخالف بعض نصوص الكتاب نفسه ، وهذا ولله الحمد لن تجده في القرآن.

وكما ذكرت فإن المولى عز وجل يستعمل في حقه قياس الأولى ، وأما قياس التمثيل والشمول فأقيسة لا تجوز في حق الله ونُبين هذا تباعاً إن شاء الله ويستخدم في حقه تعالى قياس الأولى.

*قال تعالى :

﴿ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ ﴾ [النحل ٦٠].

وقياس الأولى: هو أن كل صفة كمال من كل وجه بالمخلوق فالله أحق بها..

وهذا قياس بدهي خاطب به النبي ﷺ أصحابه فعن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا لا والله ، وهي تقدر على ألا تطرحه ، فقال رسول الله ﷺ : لله أرحم بعباده من هذه بولدها".[1]

تنبيه:

يستعمل قياس الأولى في التنزيه كما يستعمل في الإثبات ، فلو كانت هناك صفة ثبت أنها كمال من كل وجه ، بغض النظر عن إضافة الصفة إلى المخلوق أو الخالق ، مثل صفة العلم ، فنحن نعلم بالضرورة أن من يتصف بالعلم أكمل ممن لم يتصف به ، بغض النظر عن أن يقال أن المتصف بالعلم شجر أو حجر أو بشر ، وبغض النظر عن أن يقال أن المتصف به الخالق أو المخلوق ، فمعرفة أن صفة العلم كمال ، مسألة تعرف بغض النظر عن تحديد الموصوف بها ، ولما تبين أنه يجوز للمخلوق أن يتصف بها ، فالخالق أحق بأن يتصف بها من باب أولى ، وما تنزه عنه المخلوق من النقص ، فالخالق أحق بأن يُنزه عنه.

[1] أخرجه مسلم في الصحيح | كِتَابٌ : التَّوْبَةُ | بَابٌ : فِي سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى حديث رقم ٢٧٥٤

*قال تعالى:

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم ٢٨].

فبين سبحانه أن هؤلاء المشركون من خلقه ينزهون أنفسهم عن أن يشركوا معهم مماليكهم ، فكيف لا ينزهون الله عن الشريك من باب أولى؟

وهذا برهان عقلي ظاهر ، فلو قيل أن الطفل الصغير الضعيف يقدر على حمل الهاتف فالرجل الكبير القوي قادر على هذا من باب أولى..

والناس تتعامل بهذا القياس في كل وقت ، مثل أن يقال أن هذا الرجل يفرح بالقليل ، فبأن يفرح بالكثير من باب أولى ، وأن يقال أن هذا الرجل يصبر على أن يموت ابنه ويكون حامداً شاكراً ، فأن يصبر على اصابة ابنه أمر ضروري من باب أولى..

كذا في صفات الله ، فنحن نقول: إن كان المخلوق مفتقراً للخالق والخالق غير مفتقر إلى شيء ، فإن كانت هناك صفة كمال من كل وجه ويتصف بها المخلوق ، فأن يتصف بها الخالق من باب أولى ،

وهذا واجب في حقه لعظمته ولغناه عن خلقه وافتقار صفات الكمال في خلقه إليه ، فهو الذي خلق صفة الكمال في خلقه ، فأن يتصف هو بها من باب أولى..

- فإن قالوا: ألا يلزم من هذا قياس الغائب على الشاهد؟ فأنت تنظر للشاهد فتنفي عن الخالق ما تنزه المخلوق عنه وتثبت للخالق ما ثبت للمخلوق من كمال؟

= قلنا: استعمال قياس الغائب على الشاهد يصح في هذا الحال ، فنحن بعد أن علمنا بغنى الغائب وهو الخالق ، وفقر واحتياج المشاهد من المخلوق إلى الخالق ، علمنا بأن هذا الغائب منزه عما تنزه عنه الشاهد من الخلق ، وأنه متصف بما اتصف به الخلق من صفات الكمال من كل وجه.

مع التحفظ على لفظ الغائب في حق المولى عز وجل ، ولكن هؤلاء يقصدون بالغائب الذي هو غائب عن الأبصار في الدنيا ، ويعنون بالشاهد الذي نراه أو نسمعه بالحواس في الدنيا ، وهذا المعنى صحيح ، ولكن لفظ الغائب لفظ مجمل يحتمل معنى حق ومعنى

باطل ، فلو أريد به ما سبق فالمعنى صحيح ، ولو أريد به أن الله لا يسمع دعاء خلقه ولا يعلم ما يسرون وما يعلنون ، فهذا المعنى باطل شرعا وعقلا.

= ثم يقال أن ما كان كمالا لذاته بغض النظر عن إضافته إلى الخالق أو إلى المخلوق ، يجب أن يتصف الخالق به، وإمكان اتصاف الخالق به حاصل فالمخلوق متصف بهذا الكمال فالخالق يجوز له الاتصاف به من باب أولى ، وما كان نقصا لذاته بغض النظر عن الإضافة ، يجب تنزيه الخالق عنه ، والكمال لذاته بغض النظر عن الإضافة للخالق أو للمخلوق له عدة أمثلة" مثل صفة القدرة ، فصفة القدرة كمال لذاته بغض النظر عن إضافة هذا الكمال للخالق أو للمخلوق ، والمرض نقص لذاته بغض النظر عن إضافته للخالق أو للمخلوق.

والقصد أن قياس الشاهد على الغائب لا يصح في مواضع مثل أن يقال "البشر يموتون بسرعة إذا الملائكة كذلك"، فهذا لا ينضبط عند العقلاء ، فالمستعمل في قياس الغائب على الشاهد هو قياس الأولى ، أما قياس الشمول وهو أن نجعل حكم الغائب كحكم الشاهد لتماثل الغائب مع الشاهد فهذا لا يعرف إلا عن طريق الوحي أو الخبر ،

أما العقل فلا ، فنحن لا نقول أن كل المجرات التي لم نشاهدها هي مثل مجرتنا من كل وجه! لأن هذا لا يعلم بالعقل ولا يوجد من رأى هذا فأخبرنا به ، خلافا لقياس الأولى ، فنحن نعلم بعض صفات الغائب التي تستلزم أن يتصف الغائب بهذه الصفة أو ينزه عن تلك الصفة ، مثل أن يقال بأن الملائكة بلا شهوات ، والبشر عندهم شهوة ، وهناك من البشر من يلتزم بالطاعات بالرغم ما فيه من شهوات ، فأن تلتزم الملائكة بالطاعات من باب أولى

وهذا ظاهر عند كل عاقل والحمد لله.

وقياس الأولى يستعمل في إثبات كثير من الصفات عقلا ، مثل أن يقال: ثبت أن الكلام كمال لذاته بغض النظر عن إضافته إلى الخالق أو إلى المخلوق ، ثم يقال: والمخلوق جائز أن يكون متكلما، فالخالق لكل شيء من باب

أولى أحق بهذا الكمال من المخلوق الناقص .

*قال تعالى :

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾

*وقال تعالى:

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٤].

وكذلك نعلم ببداهة العقل أن الذي يتكلم بكلام متعدد متى شاء ، أكمل ممن هو كلامه معنى واحد ليس بمشيئته ، فالصفة الأولى كمال بغض النظر عن إضافتها إلى خالق أو إلى المخلوق، والصفة الثانية نقص ، فالعقل الصريح يقر بأن من يتكلم بمشيئته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئه ، والمخلوقات منها من يتكلم بمشيئته ، فهذا كمال جائز للمخلوق فأن يتصف به الخالق من باب أولى .

*قال تعالى :

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف ١٠٩].

فالعقل الصريح جاء موافقا للنقل الصحيح.

وهكذا يستعمل هذا القياس في كثير من الصفات ، وسأبين هذا عند الحديث عن الصفات الأخرى إن شاء الله .

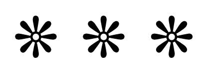
ولكن القصد أنه قياس قرآني وعقلي يثبت الصفات عقلاً ويبين أن القرآن فيه حجج عقلية أسلم وأحكم من حجج الفلاسفة والمتكلمين ممن أعماهم الله عن تلك البراهين النقلية.

وبرهان صحة هذا القياس أن يقال: هذا قياس بدهي فهو دليل في ذاته ، والناس كلها تتعامل به لكونه من العلوم الضرورية كالسببية وغيرها.

أو نستدل عليه فنقول أن الإنسان أدنى والخالق أعلى ، حيث أن الإنسان مفتقر للخالق والخالق غير مفتقر إليه.

= فيقال: إن كان المفتقر منزها عن النقص فذات "الغني" كما استحقت الغنى ، فكذلك استحقت التنزيه عما تنزه عنه المخلوق ، واستحقت الكمال الذي لا نقص فيه.

ولله العلم والمنة.



مبحث

براهين صفة الوحدانية لله تعالى

الوحدانية هي أن تفرد الله في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله ، فتوحد الله في ربوبيته فتقر بأن الله هو الخالق البارئ وهو رب كل شيء وأن لا شيء يخرج عن ملكه بل كل شيء ملكا لله وحده

*قال تعالى:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَـٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ [الحشر ٢٤].

*قال تعالى:

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىۡءٍ﴾ [الأنعام ١٦٤].

فهذا من توحيد الربوبية ومما يجب كذلك أن توحد الله في العبادة فإن الإقرار بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة تناقض ، كيف تدعي بأن الله رب كل شيء ومالك كل شيء ثم تعبد غيره ؟

لذا فقد كفر من وحد الله في ربوبيته ثم لم يوحده في العبادة

"مثال ابليس"

*قال تعالى : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[الأعراف ١٢].

فأقر ابليس بتوحيد الربوبية وأن الله هو الذي خلق أدم ، ولكنه لم يطع الله فكفر بسبب إشراكه بالله هواه في العبادة.

وهذا بعينه ينطبق على قوم إبراهيم عليه السلام"

*قال تعالى:

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء].

فقد بين إبراهيم عليه السلام أن هؤلاء القوم كانوا يعبدون الله وكانوا يعبدون غيره ، ثم قال لهم أن كل من تعبدونهم أعداء لي إلا الله ، وهذا يدل على أنهم كانوا يعبدون الله ولكنهم يشركون به سواه.

وكان المشركين من قريش يقرون بأن الله خالق كل شيء ، ثم يعبدون غيره!

*قال تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت].

لذا فإن الله قد ألزمهم بما يقرون من الحق ، فكيف تقر بأن الله خالق كل شيء ثم تعبد غيره ؟

ومما يجب كذلك توحيد الله في أسمائه وصفاته وتوحيد الله جاء في كثير من نصوص الوحي ، وهو موافق للعقل الصريح كما سأبينه تباعا.

*قال تعالى :

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١].

= وإثبات التوحيد لله هي أول دعوة للرسل.

*قال تعالى :

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأعراف ٦٥].

لذا فإن أول واجب على المكلف هو التوحيد.

*قال تعالى:

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد ١٩].

وأدلة التوحيد العقلية كثيرة في القرآن الكريم.

*قال تعالى :

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون ٩١].

= ومن بيان هذا الدليل أن يقال:

أنّا لو قدرنا وجود إلهين اثنين تنزلا ، ثم فرضنا أن أحدهما يريد أن يخلق إنسان حي والآخر يريده ميتا ، فقد افترضنا إرادة أحدهما لأحد الضدين وإرادة الإله الثاني للخيار الثاني فلا يكون عندنا إلا ثلاثة احتمالات:

* أن تنفذ إرادتهما فيكون الإنسان حيا وميتا معاً.

* أو لا تنفذ إرادتهما فيكون الإنسان لا حيا ولا ميتا.

* أو تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر فإما أن يكون حيا أو ميتا.

واستحال أن تنفذ إرادتهما معاً لاستحالة اجتماع الضدين ، فلا يكون إنسان حيا وميتا معاً ، واستحال أيضاً ألا تنفذ إرادتها فيكون لا حيا ولا ميتا، فخلو المحل أي الإنسان عن كلا الضدين ممتنع ، فلا يعقل وجود إنسان لا حيا ولا ميتا ، وهذا كله معلوم عند العقلاء فإذا بطل القسمان وجب الثالث.

أن تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر ، فالذي لا تنفذ إرادته فهو المغلوب المقهور ، والذي نفذت إرادته ، فهو الإله القادر على تحصيل ما يشاء ، وهو المطلوب.

- فإن قيل: ألا يجوز أن يتوافقا ، وألا يختلفا مطلقا ؟

= قلنا: إن كنت تعني أنهم قد تتوافق إرادة كل منهما وقد تختلف كذلك ، فهذا لا يرد على البرهان ، لأنهم وإن اتفقوا على إرادة شيء واحد ، فإن الاختلاف بينهما جائزا ، ولو اختلفوا فسيقهر أحدهما الآخر ، فيكونا وإن اتفق كل منهما مع الأخر على فعل شيء معين ، فإن هذا لا يمنع من أن اختلافهما جائز ، فيكون أحدهما جائز عقلا عليه أن يكون مقهورا.

مثال هذا: لو أن زيدا اتفق هو وعمرو على تقسيم الميراث ، فإنهم وإن اتفقا على هذا فإنه من المعلوم أنهم إن اختلفوا فسيقهر أحدهما الآخر ، فيكون جائز عقلا على أحدهما أن يكون مقهورا ، وهذا أمر ظاهر فإنك أيها القارئ يجوز أن تقرأ كتابي هذا ويجوز أن لا تقرؤه ، وليس معنى أنك قرأته أنه كان مستحيلا عليك أن لا تفعل ! بل كان من الممكن أن لا تقرأ من البداية ، فاتفاق الإلاهين على فعل معين لا يمنع من جواز اختلافهم ، وجواز القهر والغلبة على أحدهما ، فلا يكون هو الإله سواء اتفقا أم لا..

وهذا يدل عليه مثال بسيط وظاهر للعقلاء ، فإن الملك والجندي لو اتفقا على سجن أحد أفراد الشعب ، فبالرغم من أنهم اتفقا فإنه من المعلوم أن لو اختلفا لكان الملك قاهرا والجندي مقهورا ، فيكون

القرار الأول والأخير للذي يستطيع أن يكون قاهرا عند اختلاف إرادة كل منهما ، سواء اختلفوا أو لم يختلفوا.

فإذا تبين لك هذا فإن الإلاهين وإن اتفقوا فإن قدرة احدهما تعلوا قدرة الآخر ، مما يستلزم أن يقهر أحدهما الأخر إذا حدث خلاف.

- فلو قيل لنا: أن الاختلاف بين الإلاهين عند فرض وجودهما ممتنع عقلا.

= قلنا لهم: أن ادعاء القول باستحالة اختلافهما بالإرادة ادعاء خاطئ ومستحيل عقلا.

وهذا لإن عند فرض استحالة اختلافهما ، فإن إرادة وقدرة الإله الأول لن تمنع الإله الثاني من أن يريد ما يصح عقلا إرادته لو كان منفرداً وحده ، مثال هذا أن إرادة هذا الإله لوجود المخلوق ممكنة عقلاً.

فإن كان الإله الثاني ذو إرادة ، والأول كذلك ، امتنع مع هذا أن تكون إرادة الإله الأول لخلق زيد ، مانعه لجواز إرادة الإله الثاني لعدم خلقه ، لأنها لو كانت مانعة له لكان مقهورا ، وهو المطلوب.

وحسب فرض هؤلاء باستحالة اختلافهما ، فإن فرضهم يستلزهم بأنه من الممتنع على هذا الإله أن يريد الحياة للإنسان إن كان الإله

الآخر لا يريد الحياة لهذا الإنسان ، ويمتنع كذلك أن يريد الحياة لزيد ويمنع الإله الآخر من أن يريد خلاف هذا لأن الأخر حينها سيكون مقهورا فلا يستحق بأن يكون إلاها ، ثبت لنا أنه لا يمكن أن يقال بامتناع اختلافهما إلا لو قيل أن أحدهما قهر الأخر ومنعه من أن يريد خلاف ما يريد هو ، والمقهور مخلوق ، ولو قيل بأن كل منهم قهر الأخر ، فهذا يمنع إلاهية كل منهم ، فيكون الإله شيء آخر غيرهم.

= ثم يقال: لو أن الإله الأول لن يريد إلا ما أراده الإله الثاني ، والعكس صحيح ، فإن هذا يستلزم أن الإله الأول يمتنع عليه الاختيار إلا بإرادة الإله الثاني ، فيكون مفتقرا إليه ، والإله الثاني يمتنع عليه الاختيار إلا بعد إرادة الأول فيكون مفتقرا إليه ، والمفتقر المحتاج لا يكون إلاها.

= وكذلك يقال: بأنه مع فرض استحالة اختلافها فإنه من الممتنع أن يريد أحدهما إلا والآخر أراد قبله ، وهذا ممتنع لأن إرادة الأول تتوقف على سبق إرادة الثاني ، وإرادة الثاني تتوقف على سبق إرادة الأول لها ، وهذا كمن يقول ، لن أريد السفر حتى يريد أبي قبل هذا ، ولن يريد أبي السفر حتى أريد أنا قبل هذا.

فعلى هذا لن أريد لا أنا ولا أبي.

فلو أن إرادة كل إله لا تكون إلا بسبق إرادة الإله الأخر ، فلن توجد الإرادة لا لهذا ولا لذاك فلا يكون هذا مختاراً ولا ذاك.

والأشياء يستحيل أن تحدث إلا بفعل خالق له إرادة ، فلما كان كل منهم بلا إرادة ، فلن يحدث شيء أصلاً .. وهذا خلاف المشاهد حولنا.

وهناك برهان آخر يثبت امتناع وجود إلهين مستقلين أو متعاونين:

أما المستقلان: فلأن استقلال أحدهما بخلق كل المخلوقات (جملة المخلوقات) يوجب أن يكون الآخر لم يشركه في خلقها ، فيكون الأخر لم يخلق شيئا لأن الأول خلق كل شيء بالفعل! ، فإذا كان الآخر مستقلاً وقيل بأنه خلق كل شيء أيضا ، فيكون الأول خلق كل شيء وحده ، والآخر خلق كل شيء وحده ، لزم أن يكون كل منهما خلق جملة المخلوقات ، وكل منهما لم يخلق جملة المخلوقات ، لأنه لو كان الأول خالقا وحده لزم أن الأخر لم يخلق ، ولو كان الثاني خالقا وحده لزم أن الأول لم يخلق ، فلو قلنا أن كل منهما مستقل عن الأخر وخلق كل شيء وحده ، لكان كل منهما خلق وحده ولم يخلق وحده ، وهذا جمع بين النقيضين ممتنع.

وأما المتعاونان :

- فإن قيل: إن كل إله منهما قادر على الاستقلال بخلق جملة المخلوقات (كل المخلوقات) في حال أن الإله الآخر مستقلاً بخلق جملة المخلوقات ، لزم القدرة على اجتماع النقيضين وهو ممتنع.

= حيث أنّا نقول: هناك خالق خلق العالم ومستقل بخلقه ، وهناك خالق آخر يستطيع خلقه لكنه لم يفعل ، فهذا مستحيل ، لأنه كيف يقدر على أن يكون مستقلاً بالخلق وهناك آخر مستقل بالخلق؟ إلا إن كان قادرا على قهره ولكنه لم يفعل ، فيجوز على الأخر أن يكون مقهورا ، فلا يستحق الألوهية.

فعلى هذا فلو قيل أن الإله القادر على الاستقلال بخلق كل الخلق ، قادرا على هذا رغم أنه لا يقدر على منع الإله الأخر من أن يستقل بفعل الخلق ، سيكون حينها قادراً على الاستقلال بالخلق وغير قادر على الاستقلال بالخلق بنفس الوقت -تناقض- فإنه حال قدرة أحدهما على الاستقلال يمنع قدرة الآخر على الاستقلال ، ولا يكونان في حال واحدة كل منهما قادر على الاستقلال ، فهذا يكون قادراً على أن يكون مستقلاً وحده بالخلق والآخر كذلك قادر ، فهذا يجعل كلا

منهما قادراً على أن يكون مستقلاً ، وهذا ممتنع لأنه حينها سيكون كل منهما قادراً على أن يلغي قدرة الآخر على الخلق ، فيكون وجود قدرة كل منهما متوقف على موافقة الآخر ، فلا يكون أحدهما قادراً من نفسه.

والقصد أنهما إن كانا قادرين على الاستقلال ، أمكن أن يفعل هذا مقدوره وهو أن يخلق كل شيء وحده ، وأمكن الأخر أن يفعل مقدوره وهو أن يخلق كل شيء وحده ، فيلزم اجتماع النقيضين ، لأن وجود مقدور هذا ومقدور ذاك يستلزم أن كل منهما خلق وحده ولم يخلق وحده ، وهذا تناقض ، أو يلزم من أن تكون قدرة أحدهما لا تكون إلا بتمكين الآخر له ، وهذا ممتنع ، لأن على هذا الفرض فلا يكون هذا قادرا حتى يقدر الأخر قبله ، ولا يكون الأخر قادرا حتى يقدر الأول قبله ، وهو دور قبلي مستحيل ، ومثال الدور القبلي أن يقال ، لن يوجد زيد إلا وعبيد موجودا قبله ، ولن يوجد عبيد إلا وزيد موجودا قبله ، فلن يوجد لا زيد ولا عبيد

وهكذا هنا فلو كل منهما لا يكون قادرا حتى يعطيه الأخر قدرة ، يستلزم أن كل من الإلاهين عاجزين عن فعل بعض الممكنات إلا بتقدير الآخر له ، والعاجز لا يكون إلاها ، وكذلك هذا يستلزم الدور

لأن كل منهما لا يكون قادرا إلا إن كان الأخر قادرا قبله ، فلا يقدر لا هذا ولا ذاك.

وأيضا.. فيمكن أن يريد أحدهما ضد مراد الآخر، فيريد هذا تحريك جسم وهذا تسكين نفس هذا الجسم ، فلو قدر أحدهما كان قاهرا لغيره ، ولعلا على الأخر ، ولو قدر كلاهما على فعل مرادهمل بكان هذا ممتنعا لأن اجتماع الضدين ممتنع.

= ثم يقال: وإن لم يمكن لأحدهما إرادة الفعل إلا بشرط موافقة الآخر له ، كان كل إله منهما عاجزاً وحده ، ولن يكون قادراً إلا بموافقة الآخر.

وكذا إذا قُدِّر أنه ليس واحد منهما قادراً على الاستقلال ، بل لا يقدر إلا بمعاونة الآخر كما في المخلوقين ، أو قيل: يمكن لكل منهما الاستقلال بشرط تخلية الآخر بينه وبين الفعل ؛ ففي جميع هذه الأقسام يلزم أن تكون قدرة كل منهما غير متحصلة إلا بإقدار الآخر له وهذا ممتنع.

والقدرة شرط في الفعل فلا يكون الفاعل فاعلاً إلا بالقدرة ، فإذا كانت قدرة هذا لا تحصل إلا بقدرة ذاك وقدرة ذاك لا تحصل إلا بقدرة هذا ، كان هذا دور قبلي ممتنع.

كما لو قيل لن أعطيك الطعام حتى تشرب قبلها.. ولن تشرب حتى أعطيك الطعام قبلها .. فلن يوجد لا زيد ولا عبيد.

وكما أنه ممتنع أن يقال الإله الأول هو خالق الثاني والثاني هو خالق الأول.. فكذلك بمثال القدرة ، فلا يقال أن هذا لا يكون قادراً حتى يقدر الأخر ولا يقدر الأخر حتى يقدر الأول ، وهذا بخلاف ما إذا كان ملازماً له أو شرطاً فيه ، والفاعل غيرهما ، فإن هذا جائز ، كما في الأبوة والبنوة ، فالأب لا يكون إلا بوجود الابن معه والعكس صحيح .

أما لو قيل لا يكون الأب إلا والابن قبله ولا يكون الابن إلا والأب قبله فهذا كذلك ممتنع عند كل العقلاء.

وهذا الفرق بين (الدور الـ معي) و (الدور الـ قبلي)..

فالدور الـ معي كمثال الأب والابن.

والدور الـ قبلي كمثال لو قيل لن تقرأ إلا لو أكلت الطعام ولن تأكل الطعام إلا لو قرأت قبلها .. فلن تأكل ولن تقرأ.

فثبت بكل هذه البراهين وجود خالق واحد إله واحد خلق كل شيء ، وهو المطلوب.

وإذا كان خالق كل شيء ، فلا يجوز أن نعبد غيره.

لذا فإن التوحيد يدل عليه العقل كما يدل عليه النقل ، بل أن هذه البراهين كلها تحقيقا لبراهين الوحي

وهي مفهومة من قوله تعالى:

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون ٩١].

والقصد وأبلغ رد على من قال بأنه يجوز توافق الإلهين على نفس الفعل مثل إرادتهم تحريك زيد..

= فيقال: إن إرادة الأول بتحريك زيد لا تكون إلا بموافقة الإله الآخر له .. وإرادة الإله الآخر لا تكون إلا بإرادة الإله الأول له قبلها .. فلا يكون لا هذا ولا ذاك.

= ثم يقال: لو فرضنا وجود إلهين ، فهناك صفات تميز أحدهما على الآخر ، وإلا لكانا واحدا وليسا إثنين.

= فيقال: الصفة التي ميزت أحدهما إما أن تكون كمالاً أو نقصاً فلو كانت -كمالا- فالخالق الآخر ناقص والناقص لا يكون إلها.

- فإن قالوا: يجوز أن يكون إله وليس له الكمال ، قلنا : هذا لا ينضبط عقلا ، لأن الآخر المتصف بالكمال هو إله بصفاته ، ومن

صفاته الواجبة الأزلية الكمال ، فثبت أن الكمال من صفات الإله لكونه واجبا له ، ولو كان الكمال واجبا لأحدهما ممتنعا على الأخر ، وكل منهما أزلي لا بداية له ، لاستلزم وجود مسبب يسبب وجود الكمال بأحدهما دون الأخر ، فيكون لكل منهما خالق ! وهذا يناقض ازلية كل منهما

فامتنع هذا الاحتمال بالأدلة العقلية الصريحة ، وهو المطلوب.

وهذا البرهان الأخير لا محيد لهم عنه ولا يمكنهم رده بحال ولذلك يحاولون التشكيك في حجية العقل دائما.

برهان آخر:

= أن يقال: هل يكفي في خلق العالم خالق واحد أم لا يكفي؟

- إن قالوا: لا يكفي , لكان كلا منهما مفتقراً إلى الآخر فلا يملك أحدهما لنفسه قدرة فضلاً عن أن يملك لغيره قدرة.

ولو كان يكفي في خلق العالم أن يخلقه أحدهما ، كان الإله الذي خلق العالم لا يحتاج إلى الإله الآخر -وهذا نقص في الإله الذي لا يحتاج الخالق الآخر إليه- والمحتاج إليه كامل فهو الإله.

= ثم يقال: لو أن هناك إلهين , إما أن يكون الأول قادراً على إثبات وجود نفسه لنا وأن يبين لنا تميزه عن الإله الآخر أو لا،

فلو كان قادراً فالبرهان العقلي الذي نعرفه به هو الفطرة واحتياج المخلوقات لخالق ، وهذا لا يميز الإله الأول عن الثاني ، ولو كان غير قادر فهو عاجز فلا يكون إلها.

برهان آخر:

= أن يقال: لو كان كل منهما قادرا على خلق زيد بعد أن كان زيدا معدوما ، ثم أن الإله الأول خلق زيدا بالفعل ، فالثاني حينها يمتنع عليه أن يخلق زيدا لأنه تم خلقه بعد عدم بالفعل ، فقد انعدمت قدرة الأخر فكان الإله الأول قادراً على نزع قدرة الإله الآخر ، فيكون وجود قدرة الإله الثاني متوقفة على الإله الأول ، فيكون مفتقرا إليه ، فيجب أن يكون المفتقر محتاج للغني ، والغني بذاته هو الخالق المنفرد بالخلق ، وهو المطلوب.

= ثم يقال: أن القادر وحده أكمل من القادر بغيره ، فتكون الوحدانية كمالا والشركة في الألوهية نقصا ، فيكون كل منهما ناقص.

وهذا برهان عقلي قطعي مبني على قياس الأولى الذي دل عليه النقل كما بيناه.

فلو كان الكمال ممكنا للمخلوق ، فالخالق أحق به من باب أولى ، فوجب أن يتفرد بقدرته وسلطانه وبمكله ، وهو المراد.

وأدلة وحدانية الله كثيرة وقد جمعت أبرزها التي توجد بالكتب المطولات واختصرت بقدر الإمكان ، مع بعض الإضافات.

فمن تدبر هذا علم وجوب وحدانية الله عز وجل.

*قال تعالى:

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۢ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يونس ٦٢].

* * *

مبحث

إثبات وجوب اتصاف الخالق بالصفات

ومن المسائل البدهية عقلا والثابتة نقلا أن المولى عزّ وجل موصوف بالصفات ، وأدلة هذا كثيرة ، فإن كل موجود يجب أن يكون موصوفا بصفة يشترك بها مع غيره ، مثل اتصاف الناس بالسمع والبصر ، فهم يشتركون في هذا بل معلوم أن كل موجود يشترك مع غيره في صفة الوجود.

وهناك صفات أخرى يباين بها غيره ، مثل أن الإنسان يتصف بالعلم، ويباين (يختلف) عن الجماد في هذا.

والصفات فيها ما هو كمال وفيها ما هو نقص ومن البدهي أن الموصوف بصفات الكمال أكمل ممن لا يتصف بها ، فكيف بمن لا يجوز أن يكون موصوفا بأي صفة من صفات الكمال قط!

مثل أن يقال ، العالم أكمل من الجاهل ، فهذا أمر معلوم ، فما بالك بالجماد الذي لا يمكن بأن يتصف بصفة العلم أصلا! فهذا أنقص من العالم بل ومن الجاهل الذي يجوز أن يكون عالما.

فإذا تبين لك هذا فإن قياس الأولى العقلي يوجب اتصاف الخالق بالصفات ، فإن كان المخلوق يجوز أن يتصف بالصفات ، وقبول

الاتصاف بالصفات كمال ، خلافا لمن لا يمكن أن يتصف بها قط ، فالعدم وحده هو الذي لا يتصف بالصفات.

فإن كان المخلوق متصفا بالصفات فالخالق من باب أولى ، ولو فرضنا بأن الخالق لا يتصف بالصفات ، فهذا معناه بأن المخلوق يجوز أن يتصف ببعض صفات الكمال ، أما الخالق فيمتنع عليه هذا، وهذا مخالف للعقل بشكل ظاهر.

وفي هذا المبحث سأربط فيه بين قياس الأولى ودليل الوحدانية والتي أثبتنا وجوبها في حق الله تعالى في المباحث السابقة ، وهذا باب مهم لكل طالب علم , حيث أنه يتعلم منه ما وجب اعتقاده في هذا الباب في الصفات شرعاً وعقلاً.

وقد اختلفت أقوال الفلاسفة وبعض أهل الكلام في إثبات الوحدانية.

- قالوا: الله واحد من حيث أنه لا يتعدد.

- قالوا: هو في ذاته لا تختلف فيه صفة عن صفة

- وغلوا فقالوا: بل صفاته هي نفس ذاته فهو لا صفة له , بل ذات بدون صفات.

- قالوا: الواحد هو مالا ينقسم والصفات مع الذات يعد انقساما.

- قالوا: وهذا غاية التوحيد.

= قلت: وهذا غاية الجهل..

ويرد على هذا من وجوه:

- الوجه الأول:

= أن يقال: إن الله تعالى بين أنه أحد فقال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١]، والأحد في اللغة والشرع لا تكون إلا لمن له صفات.

*قال تعالى:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة ١٣٦].

وقوله لا نفرق بين أحد منهم لا يعني بأنهم بلا صفة! بل أن هؤلاء كلهم بشر مثلنا يتصفون بالصفات ، والأحد في اللغة لا تكون بمعنى الذي لا ينقسم ، فإن ما من أحد من الناس يقال له أحد إلا وهو موصوف بالصفات..

فظهر لنا أن القرآن بين أن لفظ أحد لا يأتي إلا فيمن هو موصوف بالصفات وهذا ظاهر وهو موافق للغة العرب ، والعقلاء لا يثبتون الوحدانية إلا بهذا الاعتبار.

- فإن قيل: ومادليل هذا عقلاً؟

= قلنا: أدلة هذا كثيرة وأيسرها أن يقال أن العقل دل على أن القرآن كلام الله وهو أعلم بنفسه وقد أخبر عن نفسه بأنه موصوف بالصفات ، وبما أن مبحث إثبات النبوة مازال قادم ، فأقول بقياس الأولى كذلك نثبت صحة القول بأنه سبحانه موصوفاً بالصفات.

حيث أن القابل للسمع والبصر أكمل ممن هو لا يسمع ولا يبصر فضلاً عن الذي لا يكون قابلا أصلا لهذه الصفات!!..

لذا لو قيل لك أن هناك موجود بلا صفة ولا صفة له قط ولا يقبل أي صفة من صفات الكمال ، وقيل لك أن هناك موجود غيره سميع بصير.

فالعقل يجزم بكمال الثاني ويجزم بنقص الأول ، وبما أن الاتصاف بالصفات كمالا بالمخلوق فهو بالخالق من باب أولى ، وهو المطلوب.

ودليل قياس الأولى عقلي ونقلي بل هو من الضروري بكل إنسان، ومن تدبر هذا علم أن الأدلة العقلية التي في القرآن أعظم من غيرها.

= ثم نعود للمسألة فنقول: لو قيل للناس هذا لا صفة له ، وقلنا: الآخر عليم كريم رحيم متكلم متى شاء بما شاء بنفسه وهو فوق الجميع بنفسه وله إرادة يفعل بها ما شاء.. إلخ ، علمنا أن الثاني أكمل من الأول عند العقلاء ، وبما أن الخالق أكمل من المخلوق، كان الخالق أحق بصفات الكمال من المخلوق ، ومن المعلوم بأن هذه الصفات لا نقص فيها.

خلافاً للأبوة فهي كمال في المخلوق لكون المخلوق ناقصا فيحتاج إلى من يكمله كالابن، وأما الخالق فكامل لا يحتاج، وهذا دال على أن قول النصارى باطل كذلك، والرد عليهم له موضع[1] آخر إن شاء الله تعالى.

= ثم يقال: لو قيل لك سيكون لك ولد لا يعلم ولا يبصر ولا يسمع ولا يتكلم ولا هو له صفات..

---

[1] سيأتي مبحث مناظرة اليهود والنصارى في النبوات

وآخر فيه كل تلك الصفات ، ستنزه ولدك عن القول بأنه بلا صفات بالضرورة ، وعن نفي كل هذه الصفات عنه خاصا وأنها من صفات الكمال.

ألا ترى بأنا أحيانا إذا انتقصنا من أحد ، ننفي عنه صفات الكمال ؟ مثل أن نقول ، ألا ترى ! ألا تسمع!

فكيف لنا بخالق الأب والابن بل وبخالق كل شيء كما بيناه ..؟!

فمن باب أولى أن يكون هو أحق بتلك الصفات من المخلوق ، وهو المطلوب.

وهناك رد آخر:

= فيقال: الوحدانية التي أثبتموها لا عقلية ولا لغوية ولا نقلية إنما هي تابعة لهوى النفس ومن جنس سفسطات الملحدين التي لا آخر لها.

= فيقال: لا يعقل وجود ذات لا توصف بالصفات ولا يتميز منها صفة عن صفة ، فحتى أصغر الأشياء أو الذوات وجوداً يمكن وصفها بأنها صغيرة وأنها موجودة وأنها بحاجة للغير.

وأما الخالق فقد أثبتنا انه مسبب كل شيء فهو لهذا الاعتبار خالق , وفعل الخلق يقوم بنفسه وهو شيء يختلف عن كونه موجودا فالعبد

موجود وله ذات ومع هذا لا يخلق بشر ولا حجر ، والخالق موجود وله ذات ومع هذا فهو خالق كل شيء .

فنعلم بهذا بأن كونه خالقاً صفة غير ذاته بل هي صفة لذاته ، وهو المطلوب.

والعجب ممن أثبت كونه خالقاً ثم نفى أنه موصوف بتلك الصفة ، وهذا من التناقض!..

ونلزم الملحد بهذا فنحن قد أقمنا الدليل القاطع على أنه تعالى غنيا يفتقر إليه الجميع فهو خالقهم يقيناً ، وصفة الغنى غير صفة الخلق ، كما أن سمع المخلوق غير بصر المخلوق ، وكلاهما صفات لذات واحدة ، والقصد أن الحجة تثبت بأن الخالق موصوف بالصفات بشكل ظاهر بحمد الله بما بينا من أدلة العقل والنقل.

ثم أن الفطرة دلت على هذا فكل العباد يريدون أن يكلمهم ربهم أو أن يروه ويرجون هذا في أصل خلقتهم ، بل ويرجون رحمة الله وعفوه ، وكل هذا دال على أن فطرتهم تثبت له الصفات وإنما تغيرت هذه العقيدة السليمة عند بعض الناس بسبب كثرة الشبهات وعدم التحصن بالأدلة الموافقة للعقول الموجودة في الكتاب والسنة ، فالعقائد الفاسدة تظهر عند وجود الشبهات وكثرة الأهواء التي تعسر الالتزام بالدين،

فتهوى النفس اتباع الشبهة ، فهذا كله يحدث بعد أن يتبع الإنسان هواه ، لا بأصل الخلقة.

= فلو قيل لطفل صغير أو رجل كبير لا يفهم شبهات الناس: أترجو رؤية الله وأن يرضى عنك ويكلمك بنفسه ؟ سيقول: نعم.

بل إن الناس تثبت لموسى عليه السلام الفضيلة لكونه كليم الله ، وعلمهم أنها فضيلة فطري لأن أعظم الموجودات وهو الله سبحانه كلمه ، فهذه بالضرورة فضيلة .

فعلمهم بأن الله تعالى موصوف بالصفات أمرا فطريا وهذا لا تواطؤ فيه بين الناس بل هم يتفقون على هذا بأصل فطرتهم لا بتواطؤهم معا على هذه المسائل

فتبين لنا أن هذا من العلم الضروري ، فمن المعلوم بأنه جائز عليه سبحانه أن يتصف ، بصفات الكمال بل أنها واجبة له كما سأبينه إن شاء الله ، فتبين صحة كونه موصوفاً بالصفات بالعقل والنقل والفطرة وبيان كل صفة وأدلتها قادم إن شاء الله تعالى.

* * *

مبحث

وجوب الكمال لله وتنزيهه عن النقص

وهذا مبحث هام متعلق بقياس الأولى المشروح سابقاً ، وكذلك كل ما بعد هذا المبحث متعلق به ، وفيه إثبات أن الله عز وجل يجب له الكمال ، ويمتنع عليه النقص.

فما عرف بالضرورة بأنه كمال بغض النظر عن إضافته إلى المخلوق أو إضافته إلى الخالق ، مثل العلم والسمع والبصر والعلو ، فهذه كلها من صفات الكمال سواء كانت مضافة إلى المخلوق أو إلى الخالق ، ونحن نعلم بالضرورة بأن المتصف بها أكمل من الذي لا يتصف بها ، ثم أن بعض المخلوقات يجوز في حقها أن تتصف بصفات الكمال هذه ، فأن يجوز أن يتصف بها الخالق من باب أولى.

وكلامنا هنا عن صفات الكمال التي تكون كمالا بالضرورة إذا أضيفت لأي موجود ، فكل موجود يتصف بالعلم أكمل ممن لا يتصف به ، وكذلك يقال في التنزيه ، فإن هناك بعض الصفات تكون نقصا في بعض الموجودات وكمالا في بعضهم ، وكلامنا عن النقص الذي يعرف بأنه نقص إن أضيف لأي موجود ، مثل

الضعف والظلم ، فنحن نعلم بأن كل موجود لم يتصف بالظلم كان أفضل ممن يتصف به.

فكلامنا هنا عن الكمال من كل وجه الذي نعلم بأنه كمالا إذا أضيف لأي موجود ، وعن التنزيه عن النقائص التي نعلم بالضرورة بأنها نقائص إذا أضيفت لأي موجود.

*قال تعالى :

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النحل ٦٠].

وأن لله المثل الأعلى أمر فطري معلوم , لذا نجد أنه ينزهه المؤمن وغير المؤمن ، فتجد الملحد يقول لو أن الله موجود لن يفعل كذا ، وهو يقصد تنزيهه الذي هو داخل فطرته كملحد لا محيد له عنه.

وتجد أن أهل الكلام يدّعون تنزيه الله عن النقائص وعامتهم لا يقيمون دليلاً على وجوب كماله وامتناع نقصه ، وهذا لكونه مغروزا بقلوب العباد ، وكذلك الفلاسفة فهم يثبتون الحكمة لله عز وجل بسبب هذا الكمال الذي علموه بفطرتهم.

والملحد إنما اعتبر الشر معضلة لأن صفى الشر نقص ، ولو أن هناك خالقا فلا يكون شريراً باعتبار أن الشر نقص ,"هذا قولهم يتناقلوه ليل نهار."

والنصارى يدعون أن الله يحب خلقه ، ويشتهر عندهم القول بأن الله "محبه" ولأن المحبة عندهم كمال فقد أمنوا به ، وغلطوا في دعواهم بأن الله يحب كل خلقه ، فإن الذي يحب جميع الخلق ، ثم يعذب أغلبهم لأنهم ما آمنوا بهذه المحبة فقد تناقض لأنه إن كان محبا للجميع دون أن يستحقوا هذه المحبة لاستلزم عدم تعذيبه لهم

*قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة ١٨]

فبين سبحانه أن قولهم بأن الله يعذب خلقه وهو مع هذا يحبهم جميعا هو قول متناقض ، إنما الحق أن الله يحب من يستحق محبته ويعاقب من يستحق العقاب.

والقصد هنا أن الناس يثبتون أصل التنزيه لله بفطرتهم ، وإن غلطوا بعد ذلك ، فأن يتم ضرب الرب وتعذيبه مسألة تثبت فيه النقص

بالضرورة ، ولكنهم لا يسلمون بأنها نقص ، ويناقضون العقل الصريح الدال على أن هذا نقص ، ولا ينطق واحدا منهم فيقول بأن الله ناقص ، لأن فطرتهم تدل على كماله بضرورة لا يستطيعون دفعها عن أنفسهم إلا بكفلة ، ويبررون عقائدهم الفاسدة فقط ليثبتوا بأن عقائدهم لا تثبت النقص للخالق.

وكل هذا التنزيه لله وإثبات الكمال له ، أمر ثابت في قلوب الناس يتناقله كافة البشر بدون تواطؤ ولا اتفاق مسبق بينهم لا يدفعه أحد عن نفسه إلا بعد شبهة بعيدة تخالف أصل خلقته ، ولكن القصد أن هذا ثابت بفطرة كل إنسان.

*قال تعالى:

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم ٣٠].

*قال تعالى:

﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت ١٥].

*وقال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت ١٥].

فاحتج عليهم سبحانه أن كونه أعطاهم هذه القوة فمؤكد هو أشد منهم قوة ، فالقوة كمال وكونها كمالا بالمخلوق والله خلق بهم هذا الكمال فهي بالخالق من باب أولى ، وهذا ضروري فلو أن المخلوق المفتقر المحتاج يصح أن يكون كاملاً في شيء ، فالذي خلق هذا الكمال في المخلوق يصح أن يكون كاملاً من باب أولى.

_ قال ابن تيمية -رحمه الله-:

"ثم يقال هذا الواجب القديم الخالق إما أن يكون ثبوت الكمال الذى لا نقص فيه للممكن الوجود المخلوق ممكناً له وإما أن لا يكون ممكناً له والثاني ممتنع."

لأن هذا ممكن للموجود المحدث الفقير الممكن فلأن يمكن للواجب الغنى القديم بطريق الأولى والأحرى فإن كلاهما موجود أي المفتقر والغني والكلام في الكمال الممكن الوجود الذى لا نقص فيه."

= قلت: مثل القدرة.

_ قال: "فإذا كان الكمال الممكن الوجود ممكناً للمفضول .."

= قلت: أي المخلوق الذي هو أدنى من الخالق.

_ قال: "فلأن يمكن للفاضل بطريق الأولى لأن ما كان ممكناً لما هو في وجوده ناقص."

= قلت: يعني ناقص لأنه محتاج لغيره.
_ قال الشيخ: "فلأن يمكن لما هو في وجوده أكمل منه بطريق الأولى لا سيما وذلك أفضل من كل وجه فيمتنع اختصاص المفضول (أي المخلوق المفتقر لله في وجوده) من كل وجه بكمال لا يثبت للأفضل من كل وجه بل ما قد ثبت من ذلك للمفضول فالفاضل أحق به فلأن يثبت للفاضل بطريق الأولى".[1]
= قلت: وهذا صواب وهو بدهي عند التأمل ، فإن كان المخلوق يجوز في حقه أن يتصف بصفة من صفات الكمال ، فهذا جائز في حق الخالق الذي وهب المخلوق هذا الكمال من باب أولى ، لأن الخالق أفضل من المخلوق من كل وجه ، والمخلوق مفتقر ومحتاج إلى الخالق من كل وجه ، فلولا الخالق ما وجد المخلوق فضلا عن أن توجد صفات الكمال في هذا المخلوق ، فالمخلوق مفتقر إلى الخالق في وجود ذاته وفي وجود صفاته.
= ثم يقال: إن الكمال الذي لا نقص فيه إن كان يصح أن يتصف به المخلوق فيصح اتصاف الخالق به من باب أولى.

[1] الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال

لأنه كيف يملك الخالق للمخلوق كمالاً يخلقه له ، وهو يمتنع عليه أن يتصف به ؟.. فهذا غير معقول.

= ثم يقال: لو كان الكمال غير مستحيلا على الخالق أزلا فهو واجب له لأن الخالق أزلي واجب الوجود غني بنفسه.

ودليل هذا أن يقال أن الكمال يصح أن يتصف به الخالق أزلاً ، لكن لا نقول أنه ممكن له فقط ، بل هو واجب له ، لأنه لو كان ممكنا سيحتاج خالقا آخر يخلقه في الخالق ، وهذا مستحيل لأن الأزلي لا يوجد شيء قبله، فثبت أنه واجب له.

حيث أن دعوى امتناع الكمال عليه ممتنعة ، لأن الكمال ممكن في الناقص فلا يصح أن يقال هو ممتنع في الكامل ، ثم أن الادعاء بأنه من الممكن للخالق أن يتصف بصفة الكمال ويمكن أن لا يتصف بهل ممتنعة كذلك ، لأنه لو كان كذلك سيحتاج مرجحا أو مسببا يجعله متصفا بالكمال أزلا أو غير متصف بهذا الكمال أزلاً ، وهذا ممتنع ، لأنه يستلزم أن يكون الأزلي يمكن وجوده ويمكن عدمه ، وهذا مستحيل ، لأن الذي يمكن وجوده ويمكن عدمه ، هو المسبوق بغيره ، والأزلي لا أول له فلا يمكن أن يكون مسبوقا بغيره.

فيمتنع أن يكون الكمال ممتنعا على الخالق وممتنع كذلك أن يكون الكمال ممكن عدم وجوده في الخالق الأزلي ، فثبت أنه واجب له ، وهو المطلوب.

فتأمل هذا تنتفع , فالعقل لا يخالف الفطرة ولا يخالف النقل الصحيح.

لذا لا تجد شيئا مما أثبتناه إلا وهو موجود بالنقل ثابت به ، ولا تجد حجة عقلية صحيحة إلا وهي لا تخالف نصا ولا ظاهراً في الوحي ، بل الحجة العقلية الصريحة توافق النقل الصحيح.

والله الموفق.

❊ ❊ ❊

مبحث

إثبات أن الله خالق وأن قدرته مطلقة

وبعد أن أثبتنا أن الله هو الغني بنفسه وأنه له الكمال وأنه واحد فقط لا إله غيره ، علمنا بالضرورة بأنه خالق كل شيء.

ولكن هنا مباحث ينتفع بها كل طالب علم ، وكذلك نورد بعض الشبهات لدى الملحد ونرد عليها إن شاء الله تعالى.

*قال تعالى :

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ضَعۡفًا وَشَيۡبَةً يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾ [الروم ٥٤].

وقدرة الله على الخلق أزلية كما صفات ذاته ، والمخلوق له بداية قطعا ، وفعل الخلق والقدرة عليه من صفات الكمال .

*قال تعالى:

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل ١٧] .

ومعلوم أن القادر على فعل الخلق أكمل ممن لا يخلق.

وكل كمال من كل وجه غير ممتنع على الخالق فهو واجب له ، كما تبين بالمبحث السابق ، فثبت أن الله يقوم بنفسه صفة الخلق وفعل الخلق الذي هو كمال له وأما قدرة الله فهي من صفات الكمال الثابتة

له سبحانه وقد رددت[1] من قبل على تساؤلهم ، هل يمكن للخالق خلق الممتنعات العقلية؟ فرددت برد واضح وتام وبينت أن القدرة لا تتعلق بالمستحيل لذاته ، لأن المستحيل لذاته عدم والقدرة تتعلق بخلق الأشياء لا خلق اللا شيء.

= ولكن هنا مقام هام متعلق ببيان إثبات القدرة والقدرة المطلقة ، فيقال:

الخالق إما أن يكون قادرا على خلق المخلوقات أو لا يكون ، فلو كان قادراً فهو المطلوب ، لأن القول أنه لا يقدر ممتنع ، فكيف لغير القادر أن يخلق؟ فمعلوم ضرورة أن الذي لا يقدر على خلق الشيء لن يخلقه ، وهذا ضروري.

= ثم يقال في بيان القدرة المطلقة بمعنى أنه قادر على خلق كل ممكن ، أن يقال: هل الذي يخلق كل ممكن أكمل أم الذي لا يقدر على هذا؟

والمعلوم ضرورة أنه الأكمل والأفضل هو من يقدر على خلق كل شيء.

---

[1] راجع مبحث هل الله قادر على خلق المستحيلات العقلية

فإذا كانت القدرة على خلق كل شيء غير ممتنعة على الخالق ، فهي واجبة له.

ولو قيل بأنها ممتنعة عليه ، فهذا قول باطل.

فالقاعدة تقول بأن "حكم الشيء حكم مثله" فإن كان قادرا على خلق هذه الممكنات فهو قادر على خلق كل ما يماثلها من ممكنات.

وهذا مبحث عظيم لمن نظر إليه متعلما فكل دليل للمؤمن ضروري بدهي لا ينكره إلا مسفسط.

= ثم يقال: القدرة كمال في المخلوق وهي ممكنة للمخلوق ، فأن تكون صفة للخالق من باب أولى ، وهذا جامع في إثبات القدرة وأنه خالق سبحانه.

= ثم يقال: في تعريف الخلق تعريفات متعددة ، مثل خلق شيء من شيء وهو الأكثر في القرآن .

*قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام ٢].

*قال تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان ٢].

فتبين أنه يخلق شيئا من شيء ، والملحد لا يفهم كثيراً من المصطلحات حتى أنه اعتبر أن الخلق كلغة هو الخلق من عدم ، وهذا ولو كان موجوداً في اللغة ولكنه لا يصح ولا يوجد بالقرآن أصلا فالعدم ليس مادة يتم الخلق منها ، إنما يصح لو تعني به بأن الله خلق الشيء بقدرته وإرادته بعدما كان معدوما.

- ثم قالوا: أن هذا ممتنع ولا نرى بواقعنا خلقا بعد عدم , إذن, فالخلق بعد عدم غير موجود!..

وهذا بناه الملحد على عدم فهمه لمصطلح الخلق في القرآن.

- قالوا: لو عندك دليل أن هناك شيء يوجد بعد عدم أثبت هذا وخذ جائزة نوبل!..

إنما يكون هناك شيء من شيء آخر.

= قلت : وهذا من قلة فهمهم ومن تناقضهم ، فهم ألزموا أنفسهم بإلزام لا محيد لهم عنه ، حيث أنهم قالوا لا يوجد شيء بعد عدم ، فدل قولهم على وجوب أن يكون هناك شيء أزلي ، لأن البداية لجنس المخلوقات تستلزم أن قبل البداية كان العالم معدوما غير موجود ، فلو قالوا لا توجد بداية وأن العالم أزلي ، قيل لهم : ولكننا مع هذا لم نرى أي شيء أزلي قط.

فلو كانت عدم الرؤية هي السبب الذي به تنفي به أن العالم وجد بعد عدم ، فأنت لم ترى شيئا أزليا قط كذلك .

فرفعوا النقيضين ، حيث اشترطوا أن "عدم رؤيتنا لشيء يخلق بعد عدم" دليل على "عدم وجود الخلق بعد العدم" ، فيلزمهم أن هناك شيء أزلي لم نره أيضا كما يدعون أزلية الطاقة ، فيستلزم من قولهم عدم أزليتها ، بل ولو قالوا بالتسلسل بمعنى أن هناك خالق خلق خالقا إلى مالا بداية ، فهذا أيضا لم نره ولم نر له مثيلا قط.

فشرطهم هذا منع كل افتراض يفترضه عاقل أو حتى مسفسط ، فتأمل هذا غاية ما وصلوا إليه!..

فقد منع شرطهم هذا أن يكون للعالم بداية أو أن يكون ليس له بداية ، ومنع من وجود خالق أول أو حتى تسلسل خالقين بلا أول.

فهذا غاية بحث هؤلاء وغاية أفهامهم!

ثم أنت كمسلم وجب عليك أن تقارن بين أقوالهم ، ولعلي ذكرت كل مقالة أعرفها لهم لنتعلمها كمسلمين ، فلا يخدعك قول له فأول من يناقض قوله هو الملحد نفسه فتأمل.

= ثم يرد على دعواهم فيقال: ليس كل ما لم تره لا وجود له ، ولكن المصطلح الصواب أن الخلق له تعريفان: تعريف ذكرته وهو خلق

الشيء من شيء أخر ، وتعريف آخر وهو الخلق بعد أن كان المخلوق لا شيء.

*قال تعالى:

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم ٩].

*قال تعالى:

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم ٦٧].

فلو تعني أن الله خلقه من عدم بمعنى أن نفس المخلوق كان غير موجود بل كانت هناك مادة أخرى خلقه الله منها فلا مانع في هذا , بل هذا مشاهد أمامنا فصورة الإنسان كانت غير موجودة ثم وجدت، وتفصيل هذا مر في بيان عدم أزلية المادة .

والقصد أن الخلق بعد أن كان المخلوق لا شيء ،فإن هذا أمر مشاهد بالحس وثابت بالنقل ، ولا يمنعه العقل ، والخلق من عدم لو معناه أن العدم هو شيء يتم الخلق منه فهذا ممنوع ولا يقول به من يفهم ما يقول.

والملحد يلزم المسلم بمصطلحات ليست بلغة القرآن ولا بلغة العرب ولا العجم ، ثم يلزم المسلم ولقلة خبرة بعض المسلمين يحسنون

الظن في هذا الملحد فيظن أن قول الملحد صواب ، فيقع في شبهة بسبب قلة التحصيل العلمي.

وهذا كبعض الملحدين الذين يدعون أن الإيمان تعريفه هو التصديق دون دليل ، وهذا جهل مركب ولا يوجد عالما معتبرا ولا غير معتبر قال به ، ولا في الوحي نص واحد يدل عليه.

وهؤلاء الملحدون يرددون هذا المصطلح ليل نهار ، فيظن المسلم من كثرة ترديد هؤلاء لهذا المصطلح أنه صحيحا بالفعل! وأن الإيمان لا يكون صحيحا إلا لو صدقت دون دليل !

*مع أن المولى سبحانه قال:

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد ١٩].

فبين وجوب العلم.

*وقال تعالى:

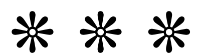
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء ١٧٤].

فالمولى عز وجل قد بين لنا بأنه أتى لنا بالبرهان والحجة والدليل ، فكيف يقال بعد هذا أن الإيمان هو التصديق دون دليل؟ وهذا لو دل

فيدل على أن الملحد يردد دون فهم "ودون دليل" بل أن الدليل عند التدبر يخالف قوله.

والقصد أن من فهم القرآن وقرأه وعقل ما فيه لا يقع بمثل هذا والذي أثبتناه أن شبهة الملحد جوابها من الدين لو فهمت الدين بشكل صحيح.

والله المستعان.



مبحث

إثبات صفة الإرادة المطلقة لله

صفة الإرادة هي صفة يرجح الله بها شيء مقدور بدلا من شيء مقدور أخر ، فالله قادر على أن يخلق زيدا اليوم وقادر على أن يخلقه غدا ، وإرادته هي التي تخصص المقدور الأول أو الثاني. مثل أني الأول قادر على أن أكتب هذا الكلام ، وقادر على أن لا أكتبه ، وإرادتي هي التي تحدد هل أكتبه أو لا.

*قال تعالى :

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود ١٠٧] .

*وقال تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة ١] .

صفة الإرادة ثابتة لله تعالى وهي صفة قائمة بنفسه يفعل ما يشاء متى شاء وما يفعل شيء إلا وهو يريده .

*قال تعالى:

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس ٨٢].

وفي بيان إثبات صفة الإرادة عقلا عدة براهين , وهناك شبهات سأرد عليها إن شاء الله تعالى.

البرهان الأول:

= أن يقال: قد ثبتت الإرادة بالنسبة للمخلوق بالضرورة ، حيث أن العبد يفرق بين تحريكه ليده عندما يريد ، وبين رعشة اليد ، فالارتعاش في اليد يعتبر حركة لكنه يحدث دون إرادتنا ، فحركة اليد واحدة ولكن التفرقة بين ما فعلته بإرادتك وعدمه أمر ضروري، فبما أن الإرادة ممكنة للمخلوق والإرادة كمال بغض النظر عن إضافتها للخالق أو للمخلوق ، لأنا نعلم بالضرورة أن الذي يفعل بإرادته أكمل ممن يفعل مجبرا بغير إرادته ، فلما لم يمتنع هذا الكمال في المخلوق وجاز أن يتصف به ، فالخالق من باب أولى أن يتتصف به.

- الوجه الثاني:

أن الإرادة لو كانت صفة كمال ، فالخالق متصف بها لإمكان أن يتصف بها ، وما كان صفةً أزلية فهي واجبة ، كما قد تبين سابقاً في مبحث الكمال لله ، وقياس الأولى حجة قرآنية كما بينت من قبل ، لهذا فإن أقوى الحجج العقلية تجد أصلها في القرآن ودل عليها القرآن.

البرهان الثاني:

= أن يقال: الإرادة ثابتة بالمخلوق ، ومعلوم أن العدم مع العدم لن يعطونا إلا عدما ، كما أن ٠+٠=٠

فكذلك لو كان الخالق الأول الذي هو مسبب كل الموجودات غيره ليس عنده إرادة ، فلن توجد إرادة بأي شيء، وبيان هذا من وجهين:

- الوجه الأول :

أن الإرادة كمال ، فلو كانت ممتنعة على الخالق أزلاً ، فمن باب أولى أن تكون ممتنعة على المخلوق المحتاج لهذا الخالق.

- الوجه الثاني :

أن فاقد الشيء لا يعطيه ، فهو فاقد الإرادة فكيف يخلق الإرادة؟

وهذا لأن العدم لن يعطي إلا عدما.

كما أن نقول لو أن المسبب الأول غير موجود فعدم وجوده دليل على عدم وجود أي شيء غيره ، ووجود شيء غيره دليل على وجوب وحتمية وجوده سبحانه ، وهو المطلوب.

فكذلك في الإرادة فعدم اتصاف الخالق الأول الغني بنفسه بها ، يجعل المخلوق معدوم الإرادة لأن مسبب الإرادة للمخلوق معدوم الإرادة فمن كان معدوماً للإرادة لن يعطي إرادة ، ونحن بينا أن

الإرادة موجودة بالمخلوق فالخالق مؤكد أنه متصف بها ، وهو المطلوب.

لذا كان يقول أهل العلم: "اعرف نفسك تعرف ربك"، وكان النبي ﷺ يقول: "تفكروا في آلاء الله"، أي نعم الله، لأن بها تعرف ربك سبحانه.

قال ابن القيم:

أن من نظر إلى نفسه وما فيها من الصفات الممدوحة من القوة، والإرادة، والكلام، والمشيئة، والحياة، عرف أن من أعطاه ذلك وخلقه فيه أولى به، فمعطي الكمال أحق بالكمال، فكيف يكون العبد حيا، متكلما، سميعا، بصيرا، مريدا، عالما، يفعل باختياره، ومَنْ خَلَقه وأَوْجَده لا يكون أولى بذلك منه؟! فهذا من أعظم المحال، بل إن من جَعَلَ العبدَ متكلما أولى أن يكون هو متكلما، ومن جعله حيا، عليما، سميعا، بصيرا، فاعلا، قادرا، أولى أن يكون هو كذلك.

فالتأويل الأول من باب الضد، وهذا من باب الأولوية[1].

[1] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٤٢٧/١

البرهان الثالث:

وهو ما سموه ببرهان التخصيص ، أن الخالق خلق زيدا وكان بمقدوره أن يخلقه أكبر أو أصغر من هذا ، فخلقه لزيد بهذا الحجم دليل على أنه اختار هذا الحجم بدلاً من غيره.

أو لنقل خلق الخالق للكون , فقد كان قادرا على أن يخلقه قبل خلقه أو بعده ، لأن الأوقات كلها متساوية بالنسبة لقدرته فهو قادر على خلقه قبلها أو بعدها ، فاختياره ذاك الوقت دون غيره دليل على أنه اختار هذا الوقت دون غيره.

وأصل هذا بالقرآن .

*قال تعالى:

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار ٨] .

فالخالق كان يمكنه أن يخلق المخلوق بتنكيب وصورة أخرى مختلفة، فالمخلوق يجوز عقلا أن تكون صورته مختلفة والله أراد خلقه على هذه الصورة.

وهذا دليل صحيح رغم استخدام البعض له بمسائل أخرى بشكل خاطئ وليس هذا موضع بيانها ، ونحن إنما نأخذ الدليل الصحيح

بمكانه الصحيح الموافق للنقل والعقل ، ونترك استعمال الدليل بغير موضعه.

البرهان الرابع:

= أن نقول: إن الإرادة للخالق تعرف بالضرورة والفطرة ، حيث أن حتى الملحد يقول: لو وجد خالق لن يريد لنا النار الدائمة.. إلخ.

فحتى منكر وجود الله بفطرته يثبت لو أن هناك إلها موجودا فمؤكد أن له إرادة ، وكل العباد المؤمنين يدعون الله وما لا إرادة له لا يصح أن يتم دعاؤه ، والطفل والكبير يفعلون باختلاف أحوالهم وطوائفهم ، فهذا دال على أن فطرتهم تقر هذا دون اتفاق مسبق بينهم ، والملحد نقلنا قوله كذلك ، فثبت أن الفطرة تثبت أن للخالق إرادة وأما البرهان على أن إرادته مطلقة بمعنى أنه يفعل ما يشاء بحكمته، أن يقال: هذا كمال وبقياس الأولى نثبته ومن أنكر قياس الأولى أنكر كل معرفة عقلية ممكنة ، كما بينت في مبحث قياس الأولى في الأبواب السابقة فالله يقدر على الظلم ولا يريده.

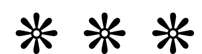
*قال تعالى:

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران ١٠٨].

فلحكمته لا يريد الظلم ، وهذا كذلك كمال , فمن كمال الخالق أن يكون مريدا ، ومن كمال الإرادة أن تكون إرادته لحكمة علمناها أو لم نعلمها.

وهذه براهين تنفي صحة أزلية المادة والطاقة أيضا ، لأنها معدومة الإرادة والعلم عند الملحد وهذا قد بينته سابقاً بما يغنينا عن إعادته.

والقصد أنك كمسلم تعرف عقيدتك وبيان براهين حجتنا التي هي كما تثبت معتقدنا فهي تثبت غلط كل ما يدعيه الملحد من فرضيات كلها متهافتة خالف بها صريح العقل والحمد لله رب العالمين على نعمة العقل والدين.



مبحث

وجوب صفة العلم لله تعالى

صفة العلم عندنا أن الله يعلم ما كان ، وما يكون ، ومالم يكن لو كان كيف كان يكون وهو يعلم كل شيء بالتفصيل .

*قال تعالى :

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة ٢٥٥].

فبين أن الله محيط بعلمهم ولا يحيطون هم بعلمه إلا ما علمهم.

*قال تعالى :

﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة ٢٣٩].

فالمولى عز وجل عليم وهو عليم بكل شيء ، أما المخلوق فلو علم شيء فلا يعلمه إلا بتوفيق الله.

*قال تعالى:

﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ ٢].

فقد علم العباد بعض الأمور ، واستأثر بعلم كثير من الأمور.

*قال تعالى:

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام ٥٩].

وصفة العلم لله تعالى صفة لذاته لا عين ذاته ، خلافا لمن قال أن العلم عين العليم ممن عموا عن الهدى ، حيث أن العلم صفة للعليم وهي تتميز عن القدرة كمثال ، وهؤلاء قالوا أن العلم والحياة والقدرة شيء واحد ، وهذا من الجهل المستحكم ، أما العقل الصريح فيقر بأن العلم صفة للعليم تختلف عن القدرة والإرادة والحياة ، والموصوف واحد ، مثل أن المخلوق قد يتصف بكل هذا ، وإرادته تختلف عن حياته وعن علمه إلخ، ومع هذا فهو موصوف واحد ، ولله المثل الأعلى.

وبراهين اتصاف الله بالعلم كثيرة .

البرهان الاول:

إن صفة العلم صفة موجودة بالمخلوق ، فالعبد يعلم نفسه بل ويعلم يقينا بأنه لا يعلم كل شيء ، وهذا يرد على الملحد التارك لعقله القائل بأن العقل لا يعلم أي حقيقة قط.

فالعبد يعلم علما ضروريا أنه لا يعلم كل شيء ، والعلم كمال , فلو كان المخلوق الناقص متصفا به فخالق المخلوق متصف به من باب أولى ، لأنه إما أن يكون العلم ممتنع على الله أو ممكن أو واجب له. فلو كان ممتنعا , فكيف يكون ممتنعا على الخالق وغير ممتنع على المخلوق الناقص ..؟!

ثم أن عدم العلم نقص ، فكيف يكون النقص في حقه واجبا وفي حق المخلوق المفتقر ممكناً؟ وهذا لا يتصور عند من عقل هذا ، ولو كان ممكناً فالخالق أزلي ، والشيء الممكن هو ما يحتاج خالقا يسبب وجوده أو عدم وجوده ، فكيف يقال أن هناك خالق قبل الله يسبب وجود العلم فيه أو ينزع عنه تلك الصفة؟

والله أزلي لا بداية له فالقول بأن هناك مسبب يسبب في الله صفة قول مستحيل ، لأن مالا بداية له لا يكون مسبوقا بغيره ، فضلا عن أن يكون غيره مسببا لصفة من صفاته ، فثبت بهذا بأن صفة العلم واجبة لله ، وهو المطلوب.

البرهان الثاني:

إن هذا الضبط الدقيق دال على علم الله ، فنحن لو وجدنا ورقة فيها معادلات رياضية معقدة سنعلم أن كاتبها عنده علم بالرياضيات

فضلا عن كونه موصوفاً بالعلم ، حيث أنه لو لم يتصف بالعلم لن يعلم لا رياضيات ولا غيرها. فما بالك بمن ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة ٢٩].

*قال تعالى:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ١٦٤].

فلما تبين بالضرورة امتناع وجود ورقة فيها معادلات بلا كاتب يعلم ما يكتب ، فمن باب أولى نثبت صفة العلم لمن خلق كل هذه الموجودات التي تفتقر في وجودها إليه.

البرهان الثالث:

أن يقال ٠+٠=٠

عدم زائد عدم لا يعطينا إلا عدما.

فيمتنع وجود مخلوق ذو علم والخالق لا ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

- فإن قالوا: يمكن لمكونات تجتمع فتعطينا كائنا عليما.

= قلنا: هذا ممتنع , حيث أن العلم في المخلوق وهو الوعي والفهم ، لو وجد من جزئيات ليست عالمة ، لكن مع هذا فهي بها مادة عند الاجتماع تنتج لنا مخلوقا ذو علم.

لذا من الممتنع أن نمزج ماءا مع ورق مثلا فيخرج لنا إنسان ، لأن مكونات هذا وذاك معا لا تعطي إنسانا قط ، فتلك حجة عليك كملحد حيث أن العدم لا يعطي وجودا ، فلو كانت تلك الجزئيات معدوم فيها ما يعطي العلم للبشر فلن يوجد العلم بالبشر مطلقا.

والقصد أن المسبب الأول لو كان فاقدا لصفة العلم لن يعطيه لأن علمه معدوم ، ولا يمكن أن يطبق عليه.

مثال: إن الجزئيات تجتمع فتعطي لنا محلولا ثالثا كالأدوية ، لأن الله خالق وحده لا خالق معه حتى يقال أنه خلق مع خالق غيره مخلوقا بصفات مختلفة فيها كمال ليس موجودا فيهم ، كما قد ظهر سابقا في مبحث إثبات الوحدانية لله تعالى.

البرهان الرابع:

العلم معلوم أنه إدراك المعلومات ، ولا يقال إن الله أراد خلق مخلوق

دون أخر وهو لا يعلم أن هذا المخلوق غير ذاك.

= مثاله أن يقال: الله أراد خلق زيدا بذاك الحجم لا أكبر ولا أصغر ، ومن الممتنع أن الله يريد هذا وهو لا يعلم أن هناك فرقا بين هذا الحجم وما أكبر منه وما أصغر منه ، وهذا ظاهر جدا.

وبيان أن الله متصف بالإرادة قد سبق ، وكذلك من الممتنع أن يريد شيء دون أن يعلم الفرق بين المراد وبين عدمه ، فمن الممتنع أن يريد خلق الكون وهو لا يعلم الفرق بين خلق الكون وعدم خلق الكون.

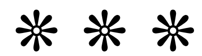
فتبين أنه عليم.

أما أنه عليم بكل شيء ، فبرهانه أن كل كمال من كل وجه وجب أن يتصف الله به كما بينا سابقا في مبحث الكمال ، فما ثبت أنه كمالاً من كل وجه وجب اتصاف الخالق به ، وهذا يثبت علم الله بما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف كان يكون.

والله الهادي.

وهذا برهان على امتناع أزلية المادة والطاقة ، فهي بالاتفاق ليست عالمة ولا مريدة ، والله عليم ذو إرادة كما قد ظهر.

فكما إن العقل دل على صحة ما نعتقد فهو دال على فساد ما يعتقده المخالف بفضل الله.



مبحث

إثبات أن المسبب الأول وجوده لا ينتهي

والمطلوب البرهنة عليه هو أن الله سبحانه يبقى أبداً كما أثبتنا وجوده أزلاً، والأبدي: هو الذي لا نهاية له ، والأزلي: هو الذي لا بداية له ، والسرمدي[1]: هو الدائم الذي لا بداية له ولا نهاية..

*قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَىُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوۡمٌۚ﴾ [البقرة ٢٥٥].

وبيان شبهة الملحد كالآتي:

- قالوا: نعم قد وافقناك على أنه مسبب أول أزلي لا أول له.

- وقالوا: ولكن كيف تثبت أنه لم ينتهِ؟

= قلت: وهذا نثبته من وجوه:

- الوجه الأول:

= أن يقال: الملحد كثيرا ما نجده يدافع عن أبدية المادة والطاقة ويقول أن الطاقة لا تنتهي ولا المادة.

[1] سرمدي: من السرمد، وهو الدائم الذي لا ينقطع، وقيل هو: دوام الزمان، اتصاله من ليل أو نهار، وليل سرمد: طويل. انظر: لسان العرب (٣/ ٢١٢)، وتاج العروس (٥/ ١٥)

ونحن كمؤمنين نؤمن أن العباد في الجنة يخلدون بها أبداً ، فنحن نتفق أن المخلوق يمكن أن لا يكون له نهاية ، والملحد يدعي عدم نهاية الطاقة غير العاقلة وغير الكاملة ، فمن باب أولى بعد أن علمنا أن هناك خالقا أنه يمكن أن يكون أبديا لا آخر له ، فكما أن هذا ممكن للمادة الناقصة بالاتفاق فهو ممكن لخالقها من باب أولى.

- الوجه الثاني:

= أن يقال: اللانهاية كمال وكل كمال ممكن للخالق وجب أن يتصف به ، وإنما قلنا أن الخالق وجب أن يتصف بذلك الكمال لأنه غني لن يحتاج إلى غيره ليعطيه كمالا أو لينزع عنه كمالا.

فيلزم من هذا أن الصفة إما أن تكون ممتنعة عليه أو واجبة له ، ولا جاز أن يقال أنها ممتنعة عليه لأنه كيف تكون صفة الكمال ممتنعة على الخالق ونحن نتصور وجودها بالمخلوق الناقص؟

فثبت وجوبها. وهو المطلوب.

- الوجه الثالث:

= أن يقال: أن الخالق واجب الوجود بنفسه ، وتعريف الواجب هو ما وجب وجوده وامتنع عدم وجوده ، فانتهاء وجوده يستلزم تحول

ماهية الخالق من عدم جواز الفناء إلى جواز الفناء والنهاية بلا سبب قط وهذا ممتنع.

وإنما قلنا أنه بلا سبب لأنه من الممتنع أن يكون المخلوق مؤثرا في سلب صفة واجبة في الخالق ، فوجود الخالق صفة واجبة له أزلا كما بينا وجوب وجود مسبب أول خلق كل شيء ، وليس في ذات الخالق ما يستلزم الفناء لأن ذاته استلزمت وجوده أزلا فمن الممتنع أن تكون ذاته مستلزمة لوجوده ولعدم وجوده ، لأن هذا تناقض ، ومن الممتنع أن ينزع المخلوق صفة واجبة للخالق ، حيث أن الخالق هو من يعطي للمخلوق الصفات.

فلو كان الخالق يفتقر في صفاته إلى المخلوق ، والمخلوق يفتقر في صفاته إلى الخالق للزم الدور ، والدور هو توقف وجود (أ) على (ب) قبله ، ووجود (ب) على (أ) قبله ، فلا يوجد لا (أ) ولا (ب).

لذا كان يقول العقلاء: "ما ثبت قدمه استحال عدمه"، أي ما ثبت أنه أزلي مستحيل أن لا يكون أبديا لا نهاية له.

لذا فالله سبحانه وتعالى الأول لا شيء قبله ولا نهاية لوجوده ، فهو واجب الوجود وجب وجوده وامتنع عدم وجوده.

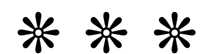
= ويقال كذلك: لو كان وجود الخالق متوقفا على قدرة المخلوق ، فالمخلوق يستطيع إعدام الخالق سبحانه ، ووجود المخلوق يتوقف على قدرة الخالق ، فكل منهما يفتقر في وجوده إلى قدرة الأخر قبله، وهذا دور وهو ممتنع.

فلما استحال أن تكون ذات الله مستلزمة لعدمه وامتنع أن يكون العبد قادرا على إعدامه.

ظهر بهذا أن الخالق يبقى دوماً ، ودليل العناية مشهور في هذا ، وهو دال على بقاء المولى سبحانه كذلك.

ومن هذا يظهر لنا بأن كل ما كان صريحاً في العقل فهو مثبت لكل ما يدعيه المسلم ومخالف لكل ما يدعيه الملحد.

والله الموفق.



مبحث

إثبات صفة الحكمة لله

والحكمة هي أن يضع الشيء موضعه الصحيح[1].

*قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٣٠] .

فهنا قد أخبر الله الملائكة بوجود آدم وعلمهم صفاته ، حتى أن معرفتهم بأن ذرية أدم تسفك الدماء هي مما علمهم الله من صفات البشر من أدم وذرية أدم عليه السلام ، فقد سألوا الله عن حكمته .

*فقال تعالى:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة ٣١].

فبين لهم وذكرهم بقصر علمهم فهم لا يعلمون كل حكمة له ولن يعلموا هذا، فقالت الملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة ٣٢].

---

[1] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ١٨٠/١

فهم عالمين بأن الله موصوف بالحكمة ، فلما وجدوا فعل لله يجهلون حكمته منه أشكل عليهم ، فلما ذكرهم الله بعدم علمهم لكل شيء ، زال الإشكال ، لأن جهلهم بالحكمة المعينة لا ينفي صفة الحكمة الثابتة لله ، بل فقط ينفي علمهم بهذه الحكمة المعينة.

فبالرغم من عدم معرفتهم لسبب خلق الله لآدم ، أقروا أن فعل الله صواب لحكمته سبحانه.

لذا فعدم معرفة الحكمة من فعل ما ، لا يعني عدم وجودها بل يعني فقط عدم معرفتك للحكمة ، ولم يقل عاقل أنه وجب معرفة حكمة الله في كل شيء ، بل الواجب معرفته هو أنه موصوف بالحكمة ، وهذا يرد على شبهة الملحد عندما يقول: "كيف علمت الملائكة أن ذرية آدم ستفسد وتسفك الدماء؟ وهم بأنفسهم قالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا، فبمفهوم النص إن الله هو من علمهم هذا.

والقصد هنا ما دمنا أثبتنا الحكمة لله فكل أفعاله لحكمة سواء علمناها وأخبرنا بها .

*كقوله تعالى :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام ١٦٥] .

أو لحكمة لم نعلمها كمثال الملائكة..

لذا فقول القائل أن الله فعل هذا لحكمة لا يعلمها إلا الله ، وسخرية الملحد من هذه المقولة يدل على قصر فهم الملحد ، لأنه من غير المعقول أن يقول عاقل أن البشر يعلمون حكمة الناس في كل شيء ، فما بالك بالله سبحانه؟

لا يعقل معرفة حكمته في كل شيء يقينا بل أن هناك بعض الأمور نعلم حكمته بها ، وأما الأمر الذي لا نعلم حكمته فيه فنحن نثق أن له حكمة فيه وإن لم نعلمها.

وفي هذا مسائل كلية يجب أن يدركها القارئ ، فالسببية بديهة ، ولو خرجت أنا وصديقي فوجدنا سيارة أمام منزلي ولم نرى مثلها من قبل ، فقال لي ما سبب وجود هذه السيارة؟ فقلت له لا أعلم!

فقال لي: إذن هي بلا سبب ، سأسخر منه قطعا ، وكل قارئ لو كان في موضعي سيستغرب رده هذا! لأنه لما تبين بأن السببية شيء يقيني ، فإن عدم معرفتنا لهذا السبب لا ينفي وجود السبب بل ينفي معرفتنا للسبب فقط.

فكذلك يقال في الحكمة ، فإن كان الخالق موصوفا بالحكمة كما سأبرهن ، فعدم معرفتنا للحكمة من فعل معين لا يعني أنه بلا حكمة، بل يعني عدم معرفتنا فقط.

وكثير من الناس نجهل حكمتهم في بعض أفعالهم ، ومع هذا فقد نعلم بعد ذلك حكمتهم من هذا الفعل ، فتبين لنا بأن عدم معرفتنا لا يدل إلا على عدم معرفتنا.

وكذلك الأمر في كثير من الأحكام الشرعية ، فقد يجهل العامي حكمة الله من هذا الحكم ، ثم أنه كلما تعلم يجد أنه يعلم حكمة الله في كثير من المسائل التي كان جاهلا بحكمة الله منها ، وهذا ظاهر جدا والحمد لله.

- فلو قيل : قولكم هذا يسمح لكل صاحب معتقد أن يقول هذا في الأشياء التي نعلم بأنها تخالف الحكمة ، فيجوز للنصارى أن يبررون قولهم المفترى على المسيح أنه قال مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا." (لوقا ٦: ٢٩)

فهذا أمر مخالف للعقل ولا يأمر به مخلوق فضلا من أن يأمر به خالق كل شيء عندهم ، فكيف يأمر الله العباد بأن يعينون الظالم عليهم ، وأن يتركون من ينهب حقهم ، فكيف يأمر بالذل والمهانة وهم قادرون على منعه ؟ ونحن نعلم بالضرورة بأن الإنسان الذي يقدر على رفع الظلم ويرفعه ، أفضل ممن يقدر على منع الظلم فلا يمنعه ، فكيف يقال بأن الرب قد أمر الناس بأن يعينون الظالم على ظلمه!!

- فلو قال الملحد بأن المسيحي قد يقول بأن الله أمر بهذا لحكمة لا نعلمها ! فكيف يمكنك أن ترد عليه كمسلم ؟

= فنقول : نحن ندعي أن عدم العلم بالحكمة لا ينفي وجود الحكمة ، ومثالكم عن النصارى مثال صحيح ، لكنه مثال يثبت لنا معرفتنا لعدم الحكمة ، وليس فقط عدم معرفتنا بها ، فهناك فرق ظاهر.

فأنا قد لا أعلم حكمة زيد من فعله ، وقد يكون لزيد حكمة بالفعل لكني أجهلها ، أما لو وجدت زيدا يفعل فعلا وأخبرني بسبب فعله وعلمت أن هذا السبب سفه وليس فيه حكمة ، أجزم بعدم حكمته من هذا الفعل بيقين.

فالملحد لم يفرق بين عدم العلم وبين العلم بالعدم.

فأنا قد لا أعلم هل صديقي غير موجود في المنزل أو لا ، وقد أعلم عدم وجوده لو ذهبت إلى منزله فلم أجده وهذا الفرق بين عدم العلم، وبين العلم بالعدم فظهر فساد اعتراضهم بفضل الله.

وظهر لنا فساد رد النصارى على هذا السفه الموجود داخل كتبهم المحرفة.

وإذا قيل لنا : ما حكمة الله من إخفاء بعض حكمته في أفعاله ؟ قلنا أن هذا فيه حكمة أيضا ، حيث أنه أخفى عنا بعض حكمه ، كما أخفى على الملائكة ، حتى نتذكر دائما قصر علمنا ، وحتى نبحث عن حكمة الله بأحكامه وأفعاله ، ونتعلم دائما حتى نموت ، ففي خفايا بعض تفاصيل الحكمة حكمة كذلك .

لذا نرى أن الحكيم لا يخبر بكل شيء بل أحيانا يكون موضع حكمته في الأمر الذي لم يخبر به ، إما ليبحث الطرف الآخر عنه ويجاهد ليسعد بمعرفة حكمة الحكيم من هذا ، أو ليعلم قلة علمه فلا يغتر بنفسه كمثال.

وكنت في إحدى المرات قد ناقشت ملحداً ..

- فقال لي: ما حكمة الله من خلق كوكب ما بعيد عنا؟

= فقلت له: لا أعلم الحكمة , فهل وجب علي معرفة حكمة الله في كل شيء !..

- فإن قال: "نعم" , يلزمه أن الإنسان وجب أن يكون علمه مطلقا ، وإن قال "لا" , فلا شبهة .

وبهذا تبطل شبهتهم وسخريتهم ، وتفصيل هذا له مبحث متعلق بمبحث صحة الرسالة إن شاء الله تعالى.

وبيان براهين إثبات الحكمة لله تعالى من وجوه:

- الوجه الأول : إن الحكمة كمال.

*قال تعالى :

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة ٢٦٩] .

فالحكمة بالضرورة صفة كمال من كل وجه ، ونحن نعلم أن الحكيم أفضل من السفيه ، والسفيه هو الذي لا يضع الشيء في موضعه الصحيح ، وهذه كلها مسائل ضرورية عقلا ، ولأجل ذلك كله حارب الملحد العقل ، لأنه يثبت ما نقول ويرد على شبهاته بفضل الله.

وبما أن بعض العباد يتصفون بالحكمة فخالقهم الذي أثبتنا حتمية وجوده يتصف بالحكمة من باب أولى.

- الوجه الثاني:

= أن نقول: فاقد الشيء لا يعطيه و (٠+٠=٠) فلو كان المسبب الأول معدوم الحكمة لما وجدت الحكمة بالمخلوق ، لأنه لو كانت الحكمة ممتنعة في حق الخالق فكيف تكون كمالا من كل وجه وممتنعة على المسبب الأول الغني عن غيره ، وتكون ممكنة للمخلوق الناقص ، فهذا لا يعقل!..

- الوجه الثالث:

= أن نقول: حكمة الله ظاهرة في كثير من خلقه ، مثل تكامل المادة فترى حاجة الإنسان للحيوان ووجود حيوانات تأكل بعضها بعضا لتحيا هذه الحيوانات لننتفع نحن بها ..إلخ ، بل ووجود الشمس وانتفاع الناس منها ، وغير ذلك مما لا يحصيه إلا رب العباد ، فهذا من دلالة الأثر على المؤثر , فآثار حكمة الله تدل على وجوب اتصافه بالحكمة.

- ثم لو قيل لنا: حكمة الله ظاهره في بعض الأمور ، فلم قلتم إن حكمته في كل شيء علمنا أو لم نعلم؟

= قلنا: لأن الحكمة كمال من كل وجه ، والحكمة المطلقة التي تكون في كل شيء ، هي من صفات الكمال ، فوجب اتصاف الخالق بها ، وإنما قلنا أنه وجب اتصافه بالكمال لأن الكمال لو كان ممتنعا عليه لكان لنقص واجب له ولكان مفتقرا محتاجا إلى غيره ليكمله لأنه ناقص ، فلا يكون هو الغني ، ونحن بينا[1] وجوب اتصافه بالغنى سابقاً.

= ثم نقول: الحكمة المطلقة لو كانت ممتنعة في حقه فهذا معناه أن وضع الشيء موضعه الصحيح ممتنع في حقه ، رغم أن وضع الشيء موضعه الصحيح ممكن عقلا ، فقولنا ممتنعة عقلا وممكنة عقلا ، جمع بين تناقضين ، فوجب عدم امتناعه عليه.

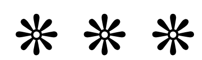
وإن قيل: هي غير ممتنعة عليه وليست واجبة له بل هي ممكنة فقط.

= قلنا: الخالق أزلي ولا خالق معه فلا يوجد مرجح يرجح كفة وجود الحكمة المطلقة من عدمها ، والخالق أزلي ليس قبله شيء فيمتنع وجود مرجح يرجح وجود صفة له أو عدمها.

[1] راجع مبحث الأدلة العقلية على وجود الله، دليل الافتقار

فثبت أنها غير ممكنة وغير ممتنعة عليه ، فوجب أن تكون واجبة ، وهو المطلوب.

وبهذا نعلم وجوب اتصاف الله بالحكمة المطلقة بفضل الله.



مبحث

إثبات صفات الرحمة والمحبة والغضب لله

في إثبات صفة المحبة وكذا الرحمة والغضب كثير من المباحث وهي صفات ثابتة بالنقل والعقل.

*قال تعالى في وصف نفسه بالمحبة:

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة ١٥٩].

*قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة ٢٢٢] .

*وقال تعالى في وصف نفسه بالرحمة:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة ٣٧].

*وقال تعالى في صفة الغضب:

﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة ٦١].

فهذه نصوص تثبت تلك الصفات لله تعالى.

وأما بيان اتصافه بهم عقلا ، ففيه عدة براهين" منها دلالة الأثر على المؤثر.

- وبيان هذا بالوجه الأول:

إن نصره لعباده الصالحين وتثبيتهم دال على رحمته بهم ومحبته لهم وتدمير للمخالفين للدين وعقوبتهم الدنيوية دليل على غضبه عليهم.

- فإن قيل لنا: هذا ينطبق على العكس فكثير ممن يخالف الدين يتركه الله بل قد ينصره وكثير من عباد الله يعاقبهم الله!..

= قلنا: هذا لا يصح ، حيث أن الفعل يدل على سبب.

ومؤكد أن العقوبة إما تدل على الغضب أو على البلاء لرفع الذنوب ليتوب عليك وهذا من رحمته.

فثبت إن عقابه للمؤمن والكافر يدل على رحمته أو غضبه.

وأما نصره للكافر فدال على أن الله يبتلي عباده بنصر الأعداء حتى يعلموا أنما الدنيا دار بلاء ويعملوا ويتمسكوا بدينهم أكثر ، حتى لا يستطيل أعداء الله عليهم .

*قال تعالى :

﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٌ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٌ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران ١٤٠] .

وهذا من تمام حكمته.

فالقصد أن الآثار كلها تدل على صفات الله تعالى.

- ثم يقال في الوجه الثاني:

إن صفة الغضب من الظلم، وصفة الرحمة بالمحسن ومحبته من الكمال.

ألا ترى أن الملحد يقول للمسلم هل تقبل بالسبي؟ والملحد يرى بأن السبي خطأ ..؟

وتفصيل[1] الرد على شبهة السبي وما يماثلها، وبيان أن الملحد لا حجة له فيها، سيأتي في هذا الكتاب.

- فيقول الملحد: هل تقبل به كمسلم؟

فالسبي عند الملحد خطأ وإنكاره والغضب منه وكراهته من الأمور الحسنة فالغضب من المنكر من الكمال..

والرحمة بالمخطئ الذي كثيرا ما أصاب ، وأخطأ بالقليل فقط ، فالرحمة به من الكمال.

[1] سيأتي مبحث منهجية التعامل مع أي شبهة ضد الدين

*كما قال تعالى:

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء ٣١].

فمغفرة الله لصغائر الذنوب من خلقه ماداموا اجتنبوا كبائر الأفعال القبيحة وهذا كله من الكمال عند العقلاء.

وكل كمال غير ممتنع على الخالق فقد وجب اتصاف الخالق به كما سبق بيانه.

ومن الكمال أن العبد إذا عمل خطأ كبير ومع هذا أصاب ببعض الأمور الأخرى أن الله يعفو عن بعض من يخطئ برحمته ويعاقب البعض بعدله لأن عفوه عن البعض يجعلهم يرجون رحمته مهما عظمت ذنوبهم فلا ييأس عباده من رحمته ، فلا يتمادون في المعصية ويجب أن يعاقب البعض حتى لا يستمر الكل بالغلط ، فمن أمن العقاب أساء الأدب.

ألا ترى بأنك لو أن هناك شخص مثلك أخطأ بحقك خطأ كبيرا ، وعفوت عنه كل مرة ، أنه قد يكرر هذا بلا توقف لكثرة شهواته التي تجعله يفعل؟؟

وأما إذا كنت تعفو مرة وتغضب مرة وتعاقبه مرة ، لن يتمادى في غلطه لو اخطأ أول مرة لأنه يطمع في عفوك ، وإذا علم أنك قد لا تعفو فلن يزيد في الغلط إما خوفا على زعلك أو خوفا من عقوبتك.
كما أن الدولة التي تطبق القانون من الصعب أن تجد فيها تفشي السرقة ، لأن السارق إما أن يمتنع عنها كرها في التعدي على القانون ، أو خوفا من العقوبة.
لذا فإن العقل لو عرض عليه خالقا لا يفرق بين الحسن والقبيح ولا بين الحق والباطل ، وأخر يفرق بين الحق والباطل ويحب الحق ويغضب من الباطل ، علمنا كمال الثاني ونقص الأول.
ونحن إن وجدنا مخلوقا لا يؤيد الحق ولا يغضب من الظلم ، ولا يشكر المحسن ، ولا يعيب على المسيء ، جزمنا بنقص هذا المخلوق ، وكل منا يسعى بأن ينزه نفسه عن هذا النقص ، فأن يتنزه عنه الخالق من باب أولى.
فصفات الله كمال ومحبته للمحسن وغضبه من الظلم كمال.
وفعل الله مع أصحاب الكبائر كمال فلا يعذبهم جميعاً فييأسون من رحمته ، ولا يغفر لهم جميعاً دون عذاب فيتمادون في معصيته ،

*قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء ٤٨].

- ثم يقول الملحد: إن عدل الله يناقض رحمته.

= فلو أن عدله مطلق لعذب الناس جميعاً.

ولو أن رحمته مطلقة لغفر للناس جميعاً.

وهذا لعدم فهم الملحد للعدل والرحمة عند المسلمين.

*قال تعالى:

﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة ١٠٥].

فبين أن رحمته مطلقة بمعنى أنه يرحم من يشاء وليس بمعنى أنه من الواجب عليه أن يرحم الكل كما فهم صاحب الشبهة بل أن أعظم رحمة هي التي تتعلق بالمشيئة فيكون قادراً على عقوبتك ومع هذا يرحمك فمن تمام الرحمة أن تتعلق بالإرادة والحكمة.

فاللا-ديني يدعي بأن الخالق لا يصح أن يعاقب خلقه ، مما يستلزم بأنه سيرحم الكل دون إرادة ذلك ، لأن العقوبة منه ممتنعة حسب قول اللا-ديني ، فلا يقدر إلا على الرحمة فقط

ومن المعلوم عند العقلاء بأن الرجل إذا عفى عن رجل أخر وهو مرغم على ذلك لم يكن كاملا كالذي يعفو عن المسيء رغم قدرته على أن يعاقبه ، فالكمال عند هؤلاء الحمقى هو أن لا يقدر على أن يعاقب المسيء ولا يرحمه ويعفو عنه بمشيئته !

فقد جعلوا الكمال عند العقلاء نقصا، وجعلوا النقص عند العقلاء كمالا فتبين أن شبهتهم متهافتة.

*قال تعالى:

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ٢٨٤].

فبين سبحانه أن رحمته ومغفرته متعلقة بإرادته ومن الكمال أن يفعل لحكمة ويشاء لحكمة.

والقصد أن رحمته ليست مطلقة ولا عدله مطلقا لو أن الإطلاق معناه كما فهمه الملحد لأنه وحسب مفهوم الملحد أنه يجب عليه أن يعذب الكل أو أن يرحم الكل وهذا قمة النقص عند التأمل والتحقيق.

والكمال هو نفس ما ثبت بالقرآن أنه يرحم البعض بمشيئته وحكمته ويعذب البعض بمشيئته وحكمته حتى لا ييأس العبد من رحمته فيترك التوبة ولا يطمع في رحمته طمعا زائدا فيترك العمل الصالح تماما.

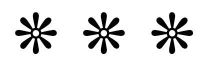
فهذا بيان جامع في أن كل ما جاء في وصف الله عز وجل في القرآن ، فهو ثابت عقلا.

ولو عرضنا على العقل السليم .. رب يرحم المحسن ويحبه ويغضب على أشر الناس ويعاقبه ورب أخر لا يحب المحسن ولا يهتم للمذنب قط سيجزم العقل بكمال الأول ونقص الأخر.

ولو عرضنا على العقل .. رب يرحم ويغفر لمن يخطئ أخطاء بسيطة مادام أنه ترك الأخطاء الكبيرة وآخر يعذب من أخطأ أصغر خطأ.. سيجزم العقل بكمال الأول ونقص الآخر.

ولو عرضنا على العقل .. "خالق يعذب بعض من يأتي بكبائر الذنوب ويأتي أيضا بكثير حسنات ويعفو عن البعض الآخر كما جاء في الإسلام من فعل الله مع أهل الكبائر ، وآخر يعذبهم كلهم أو يعفو عنهم جميعاً سنجد العقل جازما بكمال الأول ونقص الآخر.

فتأملوا هذا ففيه منفعة ومعرفة أن الدين لم يأت إلا بما يوافق العقول ولا يعارض الملحد المسلم بمعارضة إلا والعقل يرد عليه فيها.



مبحث

إثبات صفة الكلام
والرد على النصارى والفرق المخالفة

وفي بيان أدلة إثبات صفة الكلام لله تعالى نصوص كثيرة جداً .

*قال تعالى :

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف ١٤٣] .

وبين سبحانه بأن القرآن كلامه .

*قال تعالى :

﴿وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾

[التوبة ٦].

وبين أن كلامه بصوت .

*قال تعالى :

﴿وَنَـٰدَيۡنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَـٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم ٥٢] .

والنداء -كلغة- لا يكون إلا بصوت ، حيث أن النداء غايته إسماع المنادى ، وهذا لا يكون بلا صوت.

قال بن منظور:

"النداء: الصوت من الدعاء والرغاء , وناداه نداء أي صاح به.

والنداء: ممدود، هو الدعاء برفع الصوت[1] ."

وكلام الله لا يكون إلا بمشيئته سبحانه , فيتكلم بنفسه متى شاء .

*قال تعالى :

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل ٤٠] .

والخلق يكون بقدرة الله وبإرادته وبكلامه .

*قال تعالى :

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة ١١٧].

وإثبات هذا عقلاً أمر ظاهر، فقياس الأولى الذي تم شرحه يثبت أن المتكلم بمشيئته متى شاء أكمل ممن لا يستطيع أن يتكلم أو يتكلم كلاما واحدا لا يتكلم متى شاء بما شاء .

وهذا كله عند العقلاء ظاهر، وقياس الأولى قياس عقلي وشرعي ويثبت ما نقول.

= ثم يقال: صفة الكلام كمال من كل وجه ، وعدمها نقص .

[1] لسان العرب.

*قال تعالى :

﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ [طه ٨٩].

فعدم الكلام نقص عند العقلاء وكما دل عليه النص كذلك.

ثم توجد شبهة للنصارى هنا:

- قالوا: "المسيح هو كلمة الله ، إذن المسيح هو الخالق!.."

= قلت: هذا المعنى مخالف للنص , فإن الله تعالى قال عنه أنه خلقه بالكلمة ولا يعني أنه هو نفس الكلمة .

*قال تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران ٥٩].

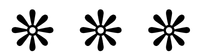
= ثانياً: من الممتنع أن يكون المسيح ذات وكلام بنفس الوقت ، فالكلام صفة ، والنصارى لا يقولون أن المسيح صفة لله بل يقولون هو الله ، والكلمة لا تكون إلا صفة وفعلا للذات ، ولا تكون ذاتا .

وهذا يرد على النصارى ، فإن عقيدتهم تخالف اللغة والعقل قطعاً

حيث أن الكلام عند الناس أجمع صفة للمتكلم وعند هؤلاء هو نفس المتكلم ، وهذا كمن قال علم الله هو نفس الله وليس صفة لله**!..**

وهذا كله ممتنع عند العقلاء مخالف للعقل واللغة والنقل كذلك.

والله الموفق.



مبحث

إضافة الصفة وإضافة التشريف

وهذا الجزء متعلق بالمسلمين وهو نافع إن شاء الله تعالى، حتى يتعلم المسلم عقيدته التي يناقش بها ويفهم ما فيها من دقائق.

وهناك إضافات إلى الذات , مثل أضافة (الصفة إلى الموصوف) و إضافة (التشريف أو الملكية)

وإضافة الصفة إلى الموصوف تكون للشيء القائم بغيره، مثل إضافة السمع للإنسان ، فالسمع صفة ، والإنسان موصوف، وأما إضافة الملكية أو التشريف ..إلخ, تكون للشيء القائم بنفسه.

مثال ذلك:

لو قيل سمع زيد، هنا السمع قائم بنفس زيد، لو قلنا: بيت زيد، هنا البيت قائم بنفسه وليس قائم بنفس زيد ، فالأول يضاف لزيد كصفة لموصوف والآخر يضاف له إضافة ملكية.

وهذا في صفات الله أيضا , فلو قيل هذا بيت الله ، أو ناقة الله ، فهذا كله من إضافة التشريف ، لأن الناقة شيء قائم بنفسه والبيت كذلك، لذا لو قيل: زيد بخيل ، فالبخل لا يكون إلا في ذات قائمة بنفسها كزيد, فيكون البخل صفة له.

أما لو قيل: سيارة زيد، فيمتنع أن تكون صفة فيه، ولو قيل سميع بصير، فتلك إضافة صفة لموصوف، فعندما يقال: روح الله، فنحن علمنا من القرآن أن الروح هو جبريل عليه السلام وهو قائم بنفسه.

*قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء ١٩٢-١٩٣] .

فعندما قال تعالى: ونفخت فيه "من روحي" ، علمنا بالضرورة بأنه ليس صفة لله لأن هذه إضافة شيء قائم بنفسه وهو جبريل عليه السلام إلى الله عز وجل ، وهذا مبحث هام في العقائد كذلك.

وقول النصارى في هذا الباب ممتنع عقلا ولا يرتضيه لنفسه عاقل ، فإنهم يدعون أن الروح القدس هو نفسه المسيح المصلوب ، ويدعون أنه هو الله خالق كل شيء ، وبالرغم من أن حقيقة كل منهم غير حقيقة الأخر ، فقد جعلوهم شيئا واحدا

ولم يفرقوا بين الكامل والناقص ، وجعلوا الكامل هو نفس الناقص ، وهذا أظهر المستحيلات العقلية ، ومناقشة أقوال هؤلاء بتفصيل لها موضع أخر إن شاء الله.

- والملحد هنا يقع بغلط عندما يقول: "لله صفات كصفات خلقه"..!
وهذا لضعف فهمه ، فالصفة المضافة إلى ذات الله الأزلية هي صفة لأزلي والأزلي ليس كمثله شيء لأن كل شيء دونه له بداية، فكذلك صفاته ليس كمثلها شيء.

ومن فهم هذا يبتعد عن شبهات كثيرة جداً ممن حاربوا الوحي من الفلاسفة وأمثالهم من أهل الكلام ، وكذلك الملحدين ، وهو يرد على شبهة النصارى الخاصة بالروح كذلك.

والله أعلم.

* * *

مبحث

بيان صفة العلو وعلاقتها بوجود الله

وعلو الله عز وجل بذاته على عباده من المعلوم بالنقل والعقل والفطرة.

*قال تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه ٥].

قال مجاهد : علا على العرش.[1]

*قال تعالى:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل ٥٠].

وهو سبحانه ليس داخل خلقه بل فوقهم جميعاً.

*قال تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام ١٨].

وعلو الله بنفسه هو الذي عليه عامة الناس ، فهو ثابت بالفطرة ، فالعباد جميعهم يرفعون أيديهم إلى السماء يدعون ربهم لا يقصدون غيره ، بل وفي سجودهم قلبهم يميل لجهة العلو ، فالكل يدعو الله مستيقناً أنه فوق كل خلقه.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه معلقا بصيغة الجزم ١٢٤/٩

وهذا يثبت وجود الله حيث أن العبد عرف صفة علو الله بالفطرة فهو علم ضروري ، فمعرفته لوجود الله من باب أولى.

= أما العقل فيقال: ما من موجودين إلا وأحدهما داخل الآخر ، مثل القلب داخل البدن ، أو خارج الآخر مثل الشمس خارج القمر.

وممتنع أن يكون الله داخل خلقه ، لأنه سيكون داخل القاذورات وغيرها ، وهذا متنزه عنه نقلاً وعقلاً.

= أما نقلاً :

*فلقوله تعالى:

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة ٧٢] .

فلو كان الله تعالى داخل خلقه لكان داخل المسيح بالفعل ، والثابت خلاف هذا.

= أما عقلاً: فكما بينّا أن كل كمال غير ممتنع فهو واجب للخالق , فثبت أن الخالق خارج خلقه.

- فإن قيل: نعم هو خارج عالما ، لكن هل هو في الأعلى أم في الأسفل؟

= قلنا: العلو محمود بالفطرة والسفل مذموم .

*قال تعالى :

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء ١٤٥].

*وقال تعالى:

﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدًا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [الصافات ٩٨].

فالسفل مذموم والعلو محمود ، ولو كان العبد يمكن أن يتصف بالعلو فالخالق من باب أولى ، فثبت أنه بالعقل والنقل وإجماع العقلاء أنه فوق العرش بنفسه ، ولا يوجد كتاب سماوي محرف أو غير محرف إلا ويوافق هذا.

فثبت أن الله بالأعلى وعلوه معلوم بالفطرة علما ضروريا ، فبما أن صفة العلو لله ضرورية فوجوده ضروري من باب أولى.

والقصد أن حجج القرآن العقلية أثبتنا بها أغلب الصفات المعلومة من النقل الصحيح أيضا بفضل الله.

حيث أن العقل الصريح والنقل الصحيح لا يتعارضان كما ثبت بفضل الله.

* * *

مبحث

ختام مبحث الصفات

ومما نستفيد منه من البحث أن وجود الله وصفاته الثابتة بالإسلام توافق العقل ، وأن أدلة القرآن العقلية أثبتنا بها كل الصفات.

وهذا يرد على بعض الفِرَقِ التي ظنت أن القرآن ليس هدى في التوحيد أو في العقائد ، وهذا ليس لنقص بالقرآن بل لنقص بهم هم ، فهم أدنى من أن يفهموا أدلة القرآن.

= ثم نقول: إن الملحد لم يظن شيء في القرآن أنه متناقض إلا كان التناقض في عقله هو لا في الدين ولا في أدلة وجود الله وصفاته ، والثابت أن الله يوصف بصفات الكمال كما تم البيان , وكل صفة ترتبط بالأخرى ، فعلو الله يثبت وجوده ووحدانية الله تثبت إرادته وعلم الله يثبت حكمته وحكمة الله تثبت صحة النبوة كما سيأتي إن شاء الله.

وهذا كله يبين أن الدين كله مترابط ومتماسك ، ولا تجد حجة إلا وهي ثابت أصلها بكلام الله عقلية كانت أو نقلية.

ونجد أن الإلحاد متناقض ولا توجد شبهة عند اللا-ديني إلا وتسقط بين حجج أهل الدين ، وهم يدعون إلى الشك فقط لا منهجية عندهم.

فهذا المبحث، مبحث الصفات هام جداً ، ونحن نثبت ما أثبته الله لنفسه إثباتا بلا تمثيل وننزه الله تنزيها بلا تعطيل.

*قال تعالى :

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١].

وكل ما أثبته لنفسه لا يخالف العقل فكلام الله حجة قوية دائماً ،

* وصدق سبحانه عندما قال :

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ [البقرة ٢١٣].

ومما بيناه أنه لا يصح للمؤمن أن لا يربط بين ما يثبته من صفات وبين النقل ، وما تم إثباته من صفات هو دليل على صحة النبوة كذلك ، لأن الإسلام أتى بكل تلك الصفات الموافقة للعقل.

بجانب الأدلة القطعية القادمة بمبحث صحة الرسالة إن شاء الله تعالى.

ثم وجب على المسلم أن يلتزم بالألفاظ الشرعية في إثباته للصفات ، وهذا دين قيم فتأمل أدلته كلها تجدها قطعية بفضل الله.

وتجد شبهات المخالف ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور ٤٠].

والحق بين والباطل بين ومن لم يتبع الحق ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥].

والحمد لله على اتباع الحق وترك الهوى.

* * *

مبحث

كيفية مناظرة الربوبي

بعد أن أثبتنا الصفات ، يصبح المخالف حينها ربوبيا ، يؤمن برب خالق قدير عليم ولا يعلم أهناك دين أم لا.

وهناك ربوبي يجزم أنه لا يوجد دين ، ونلزمه بهذا ، ومبحث صحة الرسالة قريب نبين فيه هذه المسائل إن شاء الله.

والربوبي إما أن يكون ربوبيا في الأصل أو ربوبيا بعدما كان ملحداً.

والأول وهو الذي في أصله ربوبي ، أي أنه ترك الدين ومازال يؤمن بوجود خالق ،

= فهذا نقول له: ماهي صفات ربك؟

ونتعامل معه على أساس ماسيوافق الحق فيه من إثبات الصفات ، فإن وافقنا ندخل بصحة الرسالة ، وإن لم يوافقنا ، نناقشه فيما نفى من صفات الكمال الثابتة عقلا ونقلا.

وأما الملحد الذي ناقشناه حتى أصبح ربوبيا ننتقل معه إلى بيان صحة الرسالة مباشرة.

ثم لتعلم أنك كمسلم لست مضطرا أن تثبت للملحد كل هذه الصفات التي أثبتناها ، بل يكفي إثبات صفات العلم والحكمة والإرادة كمثال ,

لأن صفة الإرادة كمثال ترد على إشكالات كثيرة للملحد , كمعضلة الشر , بل وبعض الإشكالات حول صحة الرسالة كما سأبينه ،

= حيث أنك تقول للربوبي: هل يمكن لله أن يريد أن يرسل لنا رسلا كما برسالة الإسلام تماماً؟

- فإن قال: "لا"، خالف إرادة الخالق التي أثبتها وجعل الخالق مجبراً.
- وإن قال: "نعم"، أثبت جواز إرسال الرسالة عقلاً ، وهذا له تفصيل قادم إن شاء الله.

وكذلك صفة الحكمة" فيجوز أن يرد بها على معضلة الشر كمثال

= فيقال: أنت أثبت الحكمة لله ، والجهل بالحكمة لا يعني عدمها ، فكل شر بالعالم له حكمة ولكن قد لا نعلم هذه الحكمة ، وأنت وافقت العقل وأقررت وجوب اتصافه بالحكمة ، وهو المطلوب.

والقصد أن كل صفة تم بيان وجوبها لله تعالى إنما تدل على صحة النبوة من باب أن الله هو من دلنا على هذه الأدلة العقلية أو من جهة أنه لا يوجد دليل عقلي إلا ويثبت ما هو بالدين.

ومن جهة أخرى فإن كل صفة قد يرد بها على شبهة ، وهذا كله سيظهر تباعاً في بقية المباحث المتعلقة بالرسالة إن شاء الله.

والربوبي هو من اعتقد يقينا بوجود خالق موصوف بصفات الكمال، غير هذا يبقى ملحدا أو لا-أدريا فتنبهوا لهذا .

- فإن قال لك: أنا أؤمن بشيء أزلي سبب كل شيء .

- ثم قال: هو طاقة ، فهذا ليس ربوبيا قط بل هو ملحد ينكر وجود الخالق الأول الموصوف بصفات الكمال.

وكل مسلم هو ربوبي فكل مسلم يؤمن برب موصوف بصفات الكمال.

فالحاصل أن الربوبي نناقشه في صحة الرسالة مباشرة لو كان ملحدا ثم تحول إلى ربوبي داخل نقاشه معك.

أو نناقشه في صفات ربه إن كنا لا نعلم حاله و لا نعلم ما يثبت من صفات وما ينفي منها ، فهب أنه يقول لك: أنا أؤمن برب يحب كل خلقه مهما فعلوا ! ، فنحن نعلم بأن هذا نقص , حيث أنه من الممتنع أن يحب الخالق ، الظالم من خلقه الذي يظلم الناس ويستضعفهم.

فهذا مبحث هام وجب بيانه قبل الدخول لصحة الرسالة.

* * *



فساد نظرية التطور

مبحث

التعريف بنظرية التطور قبل الرد عليها

تعريف التطور : هو التغير في السمات الوراثية[١].

والتطور نوعان:

تغير في النوع الواحد ، وهذا لا إشكال فيه وهو كمثال: أن البشر كانوا جميعا ذوي بشرة سوداء ثم أصبح كثير منهم ذوي بشرة بيضاء وهذا تغير في النوع الواحد ، ويسمى تكيفا.

وهناك تطور كبروي وهو تطور من نوع إلى نوع كقطة تتحول إلى كلب فهنا نوع تحول إلى نوع أخر.

ولكي نتعمق في القضية أكثر:

أدعياء التطور يدعون أن أصل كل الكائنات الحية كائن حي واحد يسمونه الخلية الأولى (لو كا)[2].

وهذه الخلية تطورت مع مرور الزمن لكائن آخر حتى وصلت لعدة كائنات وهذه الكائنات تنقسم مع مرور الزمن كذلك.

---

[١] أبرز مرجع علمي ذكر هذا التعريف موقع nature.com بعنوان: evolution.

[2] راجع موقع sciencedaily.com العلمي بعنوان: Earth's Original Ancestor Was 'LUCA'

حتى وصل تطور ذرية هذه الخلية إلى أن وصل إلى سلف مشترك بين الإنسان والقرد[١].

لا هو إنسان ولا هو قرد إنما حدثت له طفرة تسببت في وجود الإنسان تارة والقرد أخرى.

وهذا كله عند التطوريين غير مشاهد.

ويعرفونه عن طريق التشابه الجينومي , فبما أن القرد يشبه الإنسان كثيراً يلزم من هذا أن أقرب سلف مشترك كان مع القرد , ونفس هذا السلف المشترك انقرض بسبب ظروف الطبيعة التي يسمونها (الانتخاب الطبيعي).

- قالوا: وهذا متعلق بكل الكائنات الحية التي هي سلف مشترك بين الكائنات الحية الآن ، فالسلف المشترك بين الإنسان والقرد انقرض ، والسلف بين الحوت وسمك القرش انقرض ، والسلف المشترك بين الإنسان والقط انقرض ، لأن كل الكائنات الحية بينهما سلف مشترك ، والأسلاف تنقرض بسبب عدم تكيفها مع

[١] موقع science.com بعنوان: Fossil apes and human evolution 202

الطبيعة ، والكائنات التي تبقى هي الأصلح للبقاء ، لذا يقال عند التطوريين أن "البقاء للأصلح."

= قلت: وهذا كله لا دليل عليه كما سنبينه إن شاء الله.

- قالوا: ومما نعرف به السلف المشترك هو الحفريات

فلو وجدنا حفرية لكائن يشبه الإنسان والقرد فهو السلف المشترك لنا وللقردة , وكذلك في كل الكائنات الحية الأخرى.

فيكون حاصل دعوى التطوريين أنه لا يوجد كائن حي إلا وأصل هذا الكائن من الخلية الحية الأولى "لو كا."

= قلت : وهذه مقدمة لا دليل عليها لكنها تلزمهم وسأبين وجه الملازمة في مبحث الرد إن شاء الله.

وأتباع التطور يقولون أن أمر هذه النظرية بدأ بفرضية وكل فرضية لها تنبؤات لصاحب النظرية كداروين صاحب نظرية التطور , ثم لو ثبتت النبوءات المتعلقة بالفرضية يتحول الأمر لنظرية علمية ، والآن هي حقيقة علمية مجمع على صحتها."

= قلت: وهذا قول مدعي التطور وهو قول خاطئ.

فالنظرية هي أقرب تفسير للحقيقة العلمية وهؤلاء لم يفرقوا بين الحقائق العلمية ، وتفسيرها عقلاً.

مثال هذا أن التشابه بين الإنسان والقرد بل وكل الكائنات الحية ثابت بالفعل وهو حقيقة علمية تم رصدها.

بل والتشابه في الحفريات حقيقي مرصود كذلك ، بغض النظر عن صحة دعوى تزييف بعض هذه الحفريات ، فنحن سنرد على أساس صحتها تنزلا معهم.

فهذه حقائق مرصودة , أما تفسير هذه الحقائق بالتطور فغير مرصود , ومن هنا وقع خطأ كثير من الناس الذين لا يفهمون تعريف النظرية أو الحقيقة العلمية.

والقصد أن التطور يبقى أقرب تفسير للحقائق العلمية حسب المنهج العلمي المتبع الآن , وغايته أنه مجرد تفسير ظني لأن التفسير القطعي يجب فيه الرصد والمشاهدة ، أو استلزام وجود المؤثر عند رصد الأثر.

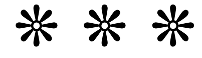
كالجاذبية" أثرها ثابت ووجودها حتمي رغم عدم رصدنا لها

لأن هذا الأثر كسقوط التفاحة ، لا يكون إلا بوجود قوة الجاذبية خلافاً للتطور ، فهناك احتمالات أخرى غير التطور تفسر لنا وجود هذا التشابه.

فعلاقة التلازم الحتمية غير موجودة وبيانه في المبحث القادم فهو مبحث الرد القاصم لهذه النظرية إن شاء الله.

والقصد أن التطور نظرية , بمعنى أنها أقرب تفسير للحقيقة عندهم وليست حقيقة بالفعل.

وهذا كافٍ في إثبات أنه أمر ظني لا يصلح للاحتجاج به علينا وبالله التوفيق.



مبحث

نسف نظرية اللا-ديني حول نظرية التطور

وهذا مبحث هام متعلق بما قبله من إثبات الصفات وما بعده من إثبات صحة الرسالة ، وسأجعله كمناظرة إن شاء الله تعالى بين المسلم واللا-ديني.

- قالوا: التطور نظرية مثبتة علمياً وهي حقيقة علمية مجمع عليها في الوسط العلمي.
- قالوا: وبرهان هذا أن الإنسان والقرد بينهما تشابه جينومي كبير وهناك سلف مشترك بيننا يشبهنا ويشبههم.
- قالوا: وهذه النظرية تثبت عدم وجود خالق وتثبت عدم صحة الدين.
- قالوا: أما عدم وجود خالق فلأن كل هذه الكائنات وجدت من كائن واحد حدث له طفرة عشوائية تسببت بوجود نوع آخر والنوع الآخر حدث به هذا كذلك حتى وصلنا لهذه الكائنات الحية المتواجدة الآن ، فلا حاجة لنا إلى خالق

- قالوا: وأنت كمسلم لو استطعت تفنيد نظرية التطور قدم ورقة علمية واحصل على جائزة نوبل

ويرد على هذا الهذيان من وجوه:

- الوجه الأول:

= أن يقال: الإجماع العلمي ليس بحجة ، لتواتر الأقوال التي تثبت عدم قبول المجتمع العلمي لكل ما يخالف التطور ، ويسمون من يأتي بأي دليل ضد التطور "الخلقيين" ويلغون لهم أي دور في المجتمع العلمي[1] ، وهذا يهدم كل حججك التي طرحتها كتطوري.

- الوجه الثاني:

أن الإجماع انعقد على أن هناك تشابه بين الكائنات الحية فقط ، فلماذا قلتم أنها كلها من خلية أولى؟

- فإن قالوا: التشابه ممتنع أن يحدث إلا لو كانت هناك خلية أولى نتجت عنها كل هذه الكائنات الحية.

---

[1] راجع كمثال، مقال تم نشره من خلال موقع الباحثون المسلمون بعنوان "الإرهاب التطوري يستبعد كل مَن يخرج عن الخط – فضائح يرويها مايكل كريمو"

= قلنا: هذا مردود ، فالطبيعة عندك يجوز أن تنتج خلية أولى ينتج عنها كل هذا ، فلماذا لا يكون الأصل عشرات الخلايا مثلاً؟!

فالطبيعة واحدة وأنت لم ترصد الخلية الأولى هذه ولا يمكن رصد خلية إلا ويجوز أن يكون هناك خلية قبلها نشأ عنها كل شيء حسب نظرية التطور.

والطبيعة التي أنشأت خلية نتج عنها هذه الكائنات ، هي نفسها قادرة على إنشاء عدة خلايا متشابهة وينتج عنها هذه الكائنات المتشابهة ، ولا يكون أصلهم خلية واحدة بل عدة خلايا ، مما يعني إمكانية وجود تشابه مع أن الأصل مختلف ، فتبطل حجتك.

فالطبيعة الواحدة يجوز أن تنتج لنا عدة خلايا ، فيكون التشابه ممكنا ولو كان الأصل مختلفا ، مما يعني جواز التشابه حتى لو كان هناك خلق مباشر لكل الكائنات ، وهو المطلوب.

- فإن قالوا: نعم يجوز وجود أكثر من خلية.

= قلنا: فيجوز أن يكون الإنسان ناتجا عن طريق خلية غير القرد أصلاً ، لأنك كتطوري قد سلمت لنا بجواز أن يكون الأصل خلايا

مختلفة نتج عنها كل هذا ، ومع هذا الاختلاف في الأصل فالتشابه يبقى موجودا!..

فثبت أن التشابه في الحفريات أو في الجينيوم ليسوا بحجة على إثبات التطور، وهو المطلوب.

تدبر هذا أخي المسلم فإنه نافع.. حيث أن التطوري يدعي أن كل الكائنات لها أصل واحد وبدون هذا لا يستطيع الاحتجاج بالتشابه ، لأنه لو قال أن الأصل مختلف والتشابه موجود ، علمنا أن التشابه ليس دليلاً على التطور ، وهو المطلوب.

- الوجه الثالث:

= أن يقال: أنت تدعي وجود سلف مشترك لمجرد تشابهه مع الإنسان والقرد ، وهذا أبطلناه.

= لكن يقال لك: لو أنت ربوبي فيجوز عندك أن يكون الخالق قد خلق كل الكائنات الحية خلقا مباشرا دون تطور وعلى هذا التشابه

الحاصل الآن ، لأنه قادر على خلق المخلوق هذا وقادر على خلق المخلوق الأخر ، فهو كذلك قادر على خلقهم مع هذا التشابه ، فلا يصح أن يحتج أي إنسان ربوبي على صحة التطور بوجود التشابه، لأن الخالق قادر على خلقهم خلقا مباشرا دون تطور مع وجود هذا التشابه بينهم أيضا.

ولو أنت "لا-أدري" فيجوز وجود خالق عندك، أي أنه يبقى احتمال وجود خالق ممكنا ، فيكون وجود خالق خلق مخلوقاته متشابهة بخلق مباشر كذلك ممكنا ، فيكون غلط نظرية التطور أمر محتمل عندك لأن وجود خالق قادر على خلق الكائنات الحية بخلق مباشر دون تطور هو أمر أنت لا_أدري فيه ، فيبقى أمرا محتملا عندك، فغلط نظرية التطور هو أمر ممكن عندك بهذا الاعتبار، وهو المطلوب.

فتأمل هذا فهم بنوا نظريتهم على وجوب عدم وجود خالق ، ويمتنع أن يثبتوا هذا كما بينا[1] سابقاً.

[1] راجع مباحث الأدلة على حتمية وجود الله

- وبيان هذه الحجة في الوجه الرابع:

فالتطوري يدعي أن التطور عشوائي وليس بقصد قاصد ، وهذا مجرد افتراض لأنه لا يوجد دليل علمي واحد ينفي وجود خالق ، حيث أن العلم يعتمد على المشاهدة والتجربة ، وعدم مشاهدة شيء لا يعني عدم وجود الشيء ، فعدم مشاهدة وجود خالق لا يعني عدم وجوده ، فيمتنع علمياً نفي وجود خالق ، والتطور العشوائي يمتنع إثباته إلا لو أثبتنا عدم وجود الخالق ، فتأمل هذا تنتفع فهو قاصم لهم.

- وبيانه بالوجه الخامس:

= فيقال: إن التطور الموجه عن طريق خالق لا يوجد دليل علمي واحد ينفيه ، فيبقى التطور العشوائي مجرد افتراض ، فتبقى حجتهم على نفي وجود خالق بناء على نظرية التطور حجة ضعيفة كضعف عقيدتهم.

= ثم يقال: لو جاز للخالق أن يخلق عن طريق التطور ، ويخلق كل هذه الكائنات من خلية واحدة ، فيجوز له أن يخلق بخلق مباشر كما خلق الخلية الأولى من خلق مباشر.

- فلو قالوا: أنت لم تثبت وجود الله بعد.

= قلت: قد فعلت بحمد الله ، ثم هب أني لم أثبت وجوده وأنت لم تنفِ وجوده علمياً فيبقى الأمر احتماليا ، وحجتك أن التطور حقيقة لا تصح إلا لو أثبت عدم وجود خالق علمياً وأنّا لكم هذا!..

(أ) لو كان وجود خالق ممكنا علمياً بنسبة ٥٠%

(ب) ويجوز لو أن هناك خالق أن يخلق خلقا مباشرا دون تطور بنسبة٥٠%

(نتيجة) فتبقى نظرية التطور احتمالية فقط حتى مع فرض عدم إثبات وجود خالق , فما بالك وقد أثبتنا وجوده بالفعل؟

= ثم يقال: لو أنك أثبت علمياً عدم وجود إله ، وهذا لا قدرة لك كملحد عليه.

- بالوجه السادس:

= يقال: يجوز أن يكون هناك سبب طبيعي لا نعرفه هو مسبب وجود الكائنات بشكل مباشر دون تطور ، وهذا تفسير قريب من تفسيرهم ، حيث أنهم اتفقوا على وجود أعضاء بالكائنات لا عمل لها ، وهذا ولو كنا كمسلمين لا نوافق عليه .. لكن هذا يجعل الطبيعة كما أوجدت خلية أولى نتج عنها كل شيء عشوائياً عند هؤلاء الحمقى ، فيجوز لها أي "الطبيعة" أن تسبب وجود هذه الكائنات الحية مباشرة بهذا التشابه عشوائياً.

فلا يكون التشابه دليلاً على التطور حتى لو أثبتنا عدم وجود خالق فتأمل هداك الله!..

وهذا رد جامع مانع فلا يوجد اعتقاد إلحادي يمكنه إثبات أن التطور حقيقة علمية .

وحجتهم بالإجماع منقوضة ، لأن العلماء أجمعوا على أن التطور تفسير للتشابه بين الكائنات الحية ، ولم يجمعوا على أنه التفسير الوحيد ..

ثم نلزم الملحد واللا-أدري بقولهم "لا توجد حقيقة مطلقة."

فيلزم من هذا أن التطور يمكن أن يكون خطأ ، والملحد يدعي "أن التناقض ممكن" ، فيلزمه أن يجوز أن يكون التطور صوابا وخطأ معاً، فيبقى التطور احتماليا بكل حال ، وهو المطلوب..

أما شبهات مهزلة التطور ومخالفته للدين فهذا كله بالمبحث القادم إن شاء الله تعالى ، فالمراد هنا هو بيان أن التطور مجرد فرضية ، والملحد لهشاشة عقيدته لا يحتج إلا بالفرضيات .

*قال تعالى:

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [النجم ٢٨] .

* * *

مبحث

مخالفة نظرية التطور للإسلام

والتطور مخالف للإسلام من عدة أوجه أهمها أن التطور يدعي العشوائية.

- قالوا: هناك كائن حي يحدث له طفرة عشوائية تنتج كائنا آخر أكثر تعايشا مع الطبيعة ، ثم أن الكائن السابق ينقرض لأنه لم يعد قابلا للتأقلم مع الطبيعة في كوكب الأرض.

- قالوا: وهذا هو الانتخاب الطبيعي أو الانتقاء الطبيعي ، فالطبيعة تنتج لنا كائنا حيا يحدث له طفرة , كما يدعون أن هناك كائنات مائية خلال مرحلة معينة أصبحت تتنفس في الماء بصعوبة ، ثم حدثت لها طفرة أنتجت لنا كائنا قادرا على التنفس خارج الماء ، ثم أن الكائن الأول انقرض لأنه أصبح غير قادر على التأقلم مع التغيرات الطبيعية.

= قلت: أما دعوى انقراض بعض الكائنات ليس بيننا وبينهم فيها خلاف كبير ، إنما دعوى أن هناك طفرة عشوائية تخالف الدين جملة وتفصيلاً.

*قال تعالى:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر ٤٩] .

فبين أنه يعلم كل ما خلقه وقصد خلقه , وتبين بهذا مخالفة نظرية التطور للدين ، وهذا يرد على أصحاب فكرة التطور الموجه.

*وقال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ﴾ [البقرة: ٣٠].

فبين سبحانه بأنه خلق آدم وكان قاصدا لخلقه ، وليس خلقا عشوائيا كما يفتري هؤلاء.

= وهذا يرد عليهم فيه فيقال: لا يوجد دليل علمي واحد على أن هذه الطفرات حدثت عشوائياً وليست بفعل خالق ، ودعواكم مبنية على نفي وجود خالق للكائنات الحية فوجب التدليل على دعواكم علمياً ، وهذا ممتنع عليهم إثباته.

= ثم يقال: عدم العلم بالشيء ليس علماً بالعدم ، فعدم علمك بوجود خالق للكائنات الحية ليس علماً بعدم وجوده ، كما أن عدم علمي بوجود كوكب ما ليس علماً بعدم وجوده , فيبقى أن قوله افتراض

دون دليل ، والعلماء التطوريون أجمعوا على التطور العشوائي ، فلو أتى مسلم يدعي أنه موافق على التطور الموجه الذي وجهه خالق ، قل له: ما دليلك؟

- فلو قال: إجماع العلماء التطوريين.

= قلنا له: هم أجمعوا على تطور عشوائي وهو كفر عندنا وعندك ، فأي إجماع اتبعته أنت؟

= ثم يقال: أن التطور الموجه يخالف الدين أيضا ، لأن التطوريين قالوا أن الإنسان أتى من كائن آخر أقل تطوراً .

*والله تعالى قال:

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة ٧].

*وقال تعالى:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن ١٤].

فهذه مخالفة صريحة , والله تعالى خلق آدم من طين وليس من كائن آخر، والتحريف لكلام الله لأجل نظرية التطور يحدث ممن لم يتشرب النقل ولم يعطي لكلام الله قدرا.

- الوجه الأول :

= هذا الادعاء غير ثابت علمياً , فهب أن التطور صحيح في عامة الكائنات الحية ، فما الدليل على أن الإنسان لم يخلق بخلق مباشر؟

فأنت لم تر تطور الإنسان من كائن قبله بل علمت أن هناك كائنا انقرض قبل الإنسان ((فافترضت)) أن الإنسان نتج عن طفرة لهذا الكائن ، والدليل لا محل له من الإعراب.

- الوجه الثاني :

= لنفترض عدم وجود خالق ، فما دليلك على أن الطبيعة لم تشكل ظروفا ما أنتجت لنا إنسانا أولا دون تطور؟

وعدم معرفتك للدليل ليس دليلاً على عدم وجود المدلول ، فعدم معرفتك لدليل وجود الإنسان بشكل مباشر لا تدل على عدم وجوده بشكل مباشر ، بل تدل على عدم معرفتك فقط.

فثبت أن مع فرض عدم وجود خالق لا يمكن إثبات عدم وجود إنسان أول بشكل مباشر دون تطور عن كائن آخر حدثت له طفرة.

- الوجه الثالث :

= الملحد واللا-أدري يحاولون إثبات جواز اجتماع النقيضين وأنه لا توجد حقيقة مطلقة.

= فيقال لهم: هب أن التطور صحيح وأن الإنسان الأول أتى عن طريق كائن آخر ، فما المانع أنه أتى عن طريق كائن آخر وأتى عن طريق الخلق المباشر كذلك؟

- فإن قالوا: هذا تناقض.

= قلنا: والتناقض عندك ممكن ، فحتى لو ثبتت نظرية التطور وثبت صحتها لن تستطع إثبات غلط القول بالخلق المباشر.

= قلت: والمنفعة كل المنفعة أن تفهم عقيدة مخالفك وتلزمه بها حتى لا يجد مهربا إلا أن يتبرأ من كل ما كان يعتقده من السفسطات.

وبهذا نعلم أن التطور لا يمكن إثباته بيقين ، ثم نعلم بأن الخلق المباشر لا يمكن نفيه ، وهو المطلوب.

- ولهم شبهة يقولون فيها: أنت لا تستطيع إثبات الخلق المباشر.

= فيرد عليهم فيقال: عند إثبات صدق النبي ﷺ وعصمته من الكذب، يثبت صحة كل ما أخبر به، فيبقى أن لو أثبتنا صحة الرسالة سننفي صحة التطور للإنسان بشكل قاطع ، وسنثبت الخلق المباشر، وهو المطلوب.

وإن لم نثبت صحة الرسالة سيبقى ادعاء التطوري مجرد افتراض والحمد لله.

- ولهم شبهة هنا فقد قالوا: هناك حفريات تثبت وجود إنسان قبل ما يزيد عن ٢٠٠ ألف سنة ، وآدم عمره في الأرض من تسع ألاف سنة فقط.

فيرد عليهم من وجهين:

= إما أن يقال: أن هذه الحفريات خبر لم أره بنفسي وأنت كملحد

تنكر حجية الخبر ، فهنا إلزام له بمنهجه.

= أو يقال: أنا أشك بصحة علم الحفريات ولا أقول بأنه صحيح ١٠٠٪ بل أقول قد يخطئ أحياناً كما نقل كثير من الناس التزوير في الحفريات لإثبات التطور.

وهذا كذلك يجعل حجتهم افتراضا حتى يثبتوا صحة هذا العلم وكل خبر يتناقل عنه ١٠٠%.

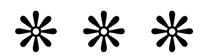
= ثم يقال: أنه لا وجود لأي دليل إسلامي يثبت أن الله خلق آدم عليه السلام قبل عشرة ألاف سنة أو قبل مليون سنة ، ولو عندك دليل فهات به ولن تجد .

فها هي الكتب الإسلامية أمامك لن تجد متى خلق الله أدم بالنسبة للنبي ﷺ.

وهذا لأن النصارى عندهم مكتوب عمر أدم بالنسبة لما بعده فهذا يلزم النصارى ولا يلزم المسلمين.

وهذا بيان جامع لشبهات لهم ليس لهم فيها حجة بل هي عليهم كما رأينا.

والحمد لله رب العالمين.



مبحث

الحكمة من وجود الشر وعلاقته بالإسلام

*قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء ٣٥].

وقد تكلمنا عن امتناع وجود شر بدون خالق ، واللا-ديني له شبهات كثيرة حول وجود الشر ، وكلها مردودة.

- وإن سأل سائل: ما الحكمة من وجود الشر؟

= يكفينا أن نقول: لأنه دليل قاطع على وجود خالق كما بينا سابقاً في مبحث أدلة وجود خالق.

ولك كمسلم أن ترى هذا المثال:

عندنا مسلم وعندنا لا-ديني ، المسلم وجد عصابة فأتت الشرطة لتأخذهم قبل أن تؤذيه العصابة ، فقال: الحمد لله كفاني شرهم ، ومرة أخرى سرقته هذه العصابة فقال: الحمد لله لم يقتلوني ، ومرة

ثالثة قتلوه فقال الأهل: الحمد لله على السراء والضراء والله سيعوضه خيراً عن دنياه.

= قلت: وهذا في كل حال فائز ، فعنْ أَبي سَعيدٍ وأَبي هُرَيْرة رضيَ اللَّه عَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَن وَلاَ أَذًى وَلاَ غمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُها إِلاَّ كفَّر اللَّه بهَا مِنْ خطَايَاه"، متفقٌ عَلَيهِ.

فتبين أن المسلم على كل حال فائز بفضل الله ولو خسر فالصبر على البلاء نعمة ، والخسارة القليلة تهون أمام المكسب الكبير ، ألا ترى أنك قد تعمل بالساعات لتحصل مالا ، فأنت ترى أن تعبك هذا يهون أمام ما ستحصل عليه من مقابل.

*وقال تعالى:

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة ١٥٥].

أما اللا-ديني ففي كل حال خاسر ، الموقف الأول يصاب بالخوف والموقف الثاني يخسر ماله والثالث يخسر حياته .

فتبين بهذا أن المادية اللا-دينية هي أعظم شر ، ولك في هذا مثال مشتهر عندهم.

- قالوا: لماذا يخلق الله طفلا صغيرا يتعب ويمرض ثم يموت؟

= فإن قيل لهم: "بلاء لأهله ."

- قالوا لنا: "وما ذنبه"؟

وعلى هذا عدة ردود من عدة أوجه:

- الوجه الأول :

= أن هذا الطفل لم يستحق الصحة ولا الحياة لذاته ولم يعمل خيرا يستحقهم به ، فلو نزعها الله منه ولو لم يكن مذنبا لا يكون الله ظالماً له.

وفي هذا أصل عظيم ، فمرض الطفل قد يكون شر في نفسه وخير لغيره ، وما يترتب عليه من خير لا يكون إلا بوجود هذا الشر ، فبدون وجود تعب الأطفال الذي يؤدي للموت تارة وللحياة أخرى ، لما اعتادت الأم على الخوف على ابنها ، والخوف يسبب وجود الحنان والرحمة ، وهذا من الخير الكثير المطلوب لذاته ، ولولا

مرض الطفل المؤدي إلى الموت ما ظهر الفرق بين من يهتم بابنه ومن لا يهتم ، وبين الطبيب الذي يرحم الطفل فيعالجه ، والطبيب الأخر المقصر ، فهذا من البلاء الذي لا يكون إلا بهذا ، وكذلك بعد الأبوين عن الدين ، فموت ابن من الأبناء قد يكون سببا في أن يذكرهم بالله أكثر ليرجون رحمته ويخافون عذابه فالموت أخذ الصغير فهو من الكبير أقرب ، وغير هذا من الخير الذي لا يكون إلا بوجود هذا الشر النسبي ، فلولا الفقر لما وجد خير الصدقة ، ولما ظهر شر من

- الوجه الثاني :

= أن يقال: الظلم هو أن يحكم الحاكم في ملك غيره والله يملك كل شيء فلا يكون ظالماً.

= قلت: وهذه حجة خاطئة وهي مخالفة للفطرة بجانب مخالفتها للنقل ، ولكنها تنفع من جهة إن أثبت اللا-ديني الحكمة لله لكان عدم علم اللا-ديني بالحكمة ليس دليلاً على عدم وجودها ، فثبت حكمته بموت الطفل على كل حال.

= وإن لم يثبت الحكمة المطلقة لله فيقال: فعلها بمحض إرادته ، ومن فعل ما يريد فيما يملك لم يكن ظالماً.

فبكل حال لا حجة لأي لا-ديني سواء أثبت الحكمة أو لا.

فإذا كان اللا_ديني يثبت الحكمة بطلت شبهته ، ولو كان لا يثبتها ، بطلت شبهته.

- الوجه الثالث :

= أن يقال: الحكمة من هذا أنه لو كان الطفل لا يموت ولا يمرض لكان أقوى من الكبير ، والله يظهر للإنسان ضعف الأطفال سواء بقوا أحياء أو لا ، حتى يرى كيف كان صغيراً محتاجاً فلا يتكبر على الخلق بعد أن آواه الله.

*قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ضَعۡفًا وَشَيۡبَةً يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾ [الروم ٥٤].

وهناك حكمة يمتنع وجودها من دون وجود شر ، والحكمة أعظم من هذا الشر

فيمتنع وجود هذه الحكمة أي أن العبد يرى كيف كان ضعيفاً ، فلا ينسى أصله ويتكبر على العباد ، ويمتنع هذا دون وجود هذا الأصل.

- الوجه الرابع :

= أن يقال: هذا ليتعلم الطبيب وينتفع ، كذلك وليظهَر خوف الآباء على الأبناء ، فلو كان الطفل لا يموت ولا يمرض لما أبدع الطبيب ولما حزنت الأم وبان عطفها على ابنها لعدم خوفها عليه من مرض أو موت ، فتنعدم رحمة الأبناء عندما يكبرون لعدم رحمة الآباء عليهم.

*لذا قال تعالى:

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء ٢٤].

*وقال تعالى:

﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِى مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِى ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفًاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَىَّۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [لقمان ١٥].

والأب والأم بل والأهل لن يربوا أبناءهم تمام التربية دون أن يخافوا عليهم ، فيقوي هذا رحمتهم بهم ، فيرد هذا الخير إليهم عندما يكبرون ، ورحمة الأباء بالأبناء ورحمة الأبناء بالأباء من أعظم الخير ، لذا فموت بعض الأطفال فيه حكمة.

= ثم يقال: الدنيا دار بلاء ، وكلما زاد البلاء مع الصبر زاد الجزاء، ولولا المعصية لما وجدت المغفرة ، فمغفرة الله لعبادة من الأشياء التي يحبها الله عز وجل

لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم[١]"

فالله يحب أن يغفر لعباده ، ولولا المعصية ما وجدت المغفرة ، والله يحب أن يعاقب من يستحق ، ولولا تيسير وجود المعصية لما فعلها

أحد ، والعبد يستحق المدح اذا اختار بين الحق والباطل فاختار الحق ، فالله أحب أن يثيب هذا المختار للحق ، وهذا لا يكون دون شر ، ولولا وجود الباطل لما اختار الفاسد اتباع الباطل مع علمه بالحق ، فيستحق العقاب ، وهذا لا يكون دون وجود شر.

وأن الله يعاقب المفسد بعدله ويثيب المحسن بلطفه هو من الخير الكثير ، لذا فلو أن هناك رجلا قتل رجلا ، يجب أن يتم القصاص منه ، مع أن عقوبة هذا القاتل فيها من الشر النسبي بالنسبة له ، ولكن هذا الشر بفضله يوجد خير أعظم وهو تحقيق العدل

فتأمل هذا فنحن نتعامل به ونعلمه بفطرتنا ، ومنع الطفل من السكريات الكثيرة قد يحزنه وهذا شر نسبي لكنه يقوي صحة هذا الطفل ، وهو خير أعظم ، ولولا وجود البلاء لما وجد مخلوق يجاهد الباطل ويسعى للخير مع قدرته على فعل ضد ذلك ، فهذا من الخير الذي لن يوجد دون هذا الشر.

وفي هذا تأصيل هام" فإن دعوى القائل بأن وجود الشر ينفي وجود الحكمة' دعوى مردودة من وجوه كثيرة ومتنوعة.

فإن العقل قد دل على أن من يغفر للتائب أكمل ممن لا يقدر على أن يغفر للتائب ، والمعصية شر ، ولو كان مستحيلا أن يسمح الله بترك المعاصي كالظلم والقتل وغير ذلك ، لكانت صفة المغفرة ممتنعة عليه ، كيف والمخلوق يجوز أن يتصف بها ! فالخالق من باب أولى

فثبت بهذا غلط من قال أن المغفرة صفة ممتنعة على الله ، فلو قالوا: المغفرة لا تكون إلا بأن يسمح الله بوجود المعاصي وسماحه بهذا ممكن عقلا لكنه يخالف الحكمة!

قلنا: بل أن العقل قد دل على اتصافه بالحكمة كما قد دل على جواز أن يخلق عبادا فيذنبون فيعفر لهم ، فالعقل دل على هذا وذاك.

فلو تركت العقل الصريح هنا فستتركه في كل شيء ، ولو تركت العقل في كل شيء فلن تستطيع أن تثبت أن الظلم خطأ أصلا..! وهذا لازم لهم لازم ، فلو اتبعوا الحجج العقلية ، بطلت شبهتهم ، ولو لم يتبعوا العقل ، بطلت شبهتهم.

وهذا لا محيد لهم عنه بفضل الله.

لذا فإن قدرة الله على خلق العباد مع ترك المعصية ، لا يعارض صفة الحكمة بحال ، بل قد تجد كثير من الخير لا يكون دون شر.

وفي هذا أصل أخر ، فلو قيل: هل الله قادر على خلق هذا الخير دون وجود هذا الشر؟

قلنا: هناك خير يمكن وجوده دون شر وهناك خير لا يمكن وجوده دون بعض الشر ، مثل المغفرة ، فالمغفرة خير ويمتنع وجودها دون خطأ ، ولا يقال بأن الله قادر على أن يغفر دون أن يعصي العبد ، لأن المغفرة هي العفو على العاصي عند القدرة على عقابه ، فيمتنع أن توجد مغفرة دون معصية ، ووجود مغفرة دون معصية هو اجتماع بين نقيضين ، واجتماع النقيضين ليس بشيء فلا تتعلق قدرة الله به.

لذا فإن أهل السنة يقولون بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد يخطئ

*وقد قال تعالى:

﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح ٢].

فإن الخطأ من النبي صلى الله عليه وسلم جائز ، ولذا فإن الله وعده بأن يغفر له ، ولو كان لا يخطئ قط لما غفر الله له ، فإن المغفرة لا تكون إلا لمن يخطئ.

ولكنه معصوم من الخطأ في تبليغ الرسالة ومن الكبائر ، وكذلك معصوم من فعل الصغائر التي تقدح في المروءة.

والقصد هنا أن نبين بأن شبهتهم حول عدم وجود المغفرة أو تعارض صفة المغفرة مع الحكمة ، شبهة مردودة عقلا .

- الوجه الختامي وهو الأهم في هذا الباب:

=أن يقال: الطفل في الدين لو مات سيدخل الجنة.

*قال تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ [الروم ٣٠] .

وقال النبي ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة[1]."

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ : التَّوْبَةُ | بَابٌ : سُقُوطُ الذُّنُوبِ بِالِاسْتِغْفَارِ تَوْبَةً

فلو عرضنا على هذا الطفل الصغير أنه سيموت ويدخل الجنة ، وعرضنا عليه قول اللا-ديني ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ [المؤمنون ٣٧]، فسيختار الطفل قول المسلم قطعاً.

لذا فالشر معضلة عند اللا-ديني، وهو فرقان بين الدين واللا-دين ، فكل شر مع الدين فيه خير ، أما جل الشر مع اللا-دين لا منفعة فيه لا لصغير ولا لكبير لا للآباء ولا للأبناء .

(فبالإسلام هذه دار بلاء لا دار جزاء) ، لذا فمن حكمته لخلق الشر أن يقال لكل لاديني ، هل تريد عالما بلا شر؟

- إن قال: لا، فلا شبهة.

- إن قال: نعم، فهذا يجده بجنة الأديان لا بمادية اللا-دينية ، فمن أعظم حكم الله أن يجعل من داخل شبهة اللا-ديني إرادة من اللا_ديني لشيء في الدين وغير موجود في اللا_دينية.

= فيقال له :

إرادة عالم بلا شر أمر فطري مغروز بنا ، فالفطرة تنفر من المادية اللا-دينية وتريد جنة الدين ، وشبهة الملحد تصل بك لهذه النفرة من اللا-دين وإرادة جنة الدين فتسعى لها سعيها.

= ثم يقال: أن اللا-دينية تقوم على النسبية ، فلا يوجد عندهم شيء أخلاقي ١٠٠٪ أو شيء لا أخلاقي١٠٠٪ ، فلو أن الشر يعتبر ظلما ، فحسب أصلهم الفاسد هذا لا يستطيعون إثبات أن الظلم خطأ أصلا ، ولو لم يثبتوا بأن الظلم خطأ فكيف يثبتون بأن الحكيم لا يمكن أن يكون ظالما؟

فلو قالوا بل الظلم قبيح وهذا نعلمه بالفطرة ، قلنا لهم واتصاف الخالق بالحكمة أمر نعلمه بالفطرة ، وقياس الأولى الذي يثبت صفة الحكمة عقلا هو قياس فطري بدهي ، ولا فرق في فطرة العباد بين هذا وذاك ، وهذا يعلمه من نفسه كل من يقرأ كلامي هذا ، فلما تبين لنا إثبات الحكمة المطلقة للخالق رغم وجود الشر ، فالشر هكذا لن يكون نافيا لصفة الحكمة ، وهو المطلوب.

فبطلت شبهتهم عقلا ومن أصول أهل الدين بل ومن أصول اللا-دينية كذلك، وتبين لنا بأن الشر ووجوده حجة للدين على اللا-دينية.

تنبيه:

لا يجوز أن يقال "الله شرير" -سبحانه وتعالى- فالطبيب يعطي العلاج للمريض ولو أتعبه ، لحكمة أعظم.

فلا يقال عنه شرير ، ولله المثل الأعلى.

* * *

مبحث

الإنسان مجبر أم مختار بين الدين واللا-دين

ومن الضرورة معرفة أن كثيرا من المنكرين للنبوات قديما وحديثا احتجوا بالقدر وقالوا أن الإنسان مجبر.

-قالوا كما أخبر الله عنهم:

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام ١٤٨].

فهم مكذبون بالرسل وسؤالهم للتكذيب وليس للفهم ، وقد تكلم عن هذا كثير من أئمتنا[1] ، والقصد هنا أن هذا اعتراض لا معنى له , لأنه لو كان مصدقاً بصدق النبوة لكان اتبعها بالفعل ، ولو كان

[1] تكلم ابن تيمية -رحمه الله- عن هذا مطولا في كتاب منهاج السنة الجزئين الثالث والرابع ، والطبري تكلم عن هذا مختصرا في كتاب التبصير ، كما نقل ابن القيم اعتراضات إبليس السبعة ورد عليهم بكتاب الصواعق المرسلة ، وصنف ابن القيم كتابا كاملا لبيان مسألة القدر وسماه "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"

مكذباً بها فسؤاله غايته التكذيب فقط ، ولم يقم أي حجة على خطأ الرسالة بحال بل هو أثبت أنه يكذبها فقط.

والحق عندنا أن الله يعلم كل شيء فنحن كمسلمون لا ننكر علم الله بكل شيء وأن الله خالق كل شيء بقدر

*قال تعالى:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَ ٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد ٢٢]

*وقال تعالى:

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر ٤٩].

ومع هذا فالعبد مختار في بعض الأمور وغير مختار في بعض ولا يحاسب إلا على ما يختاره فهو لا يختار من أبيه ولا من أمه ولا يحاسب على هذا لأنه ليس من اختياره

*قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة ٢٨٦].

فالعبد لا يقدر على أن يختار أبويه فلا يلام على اختيارهم لعدم قدرته على ذلك إنما يحاسب على ما اختاره هو.

ودعوى أن الإنسان غير مختار مطلقًا دعوى فاسدة تمامًا شرعياً وعقلياً وحسياً.

فنحن نعلم بالضرورة بأن هناك فرق بين الرعشة التي هي في الجسم وبين تحريكك ليدك بإرادتك ، ونعلم الفرق بين ما نقوله بإرادتنا وبين الهلاوس التي قد يقولها المريض بعد خروجه من غرفة العمليات.

فالتفرقة بين الأمور المجبرين عليها والأمور التي نختارها تفرقة ضرورية.

*وأما شرعا فقد قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [].

فبين الله أن للعبد فجور وتقوى

*وقال تعالى:

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [].

والنجدين هم الخير والشر

قال الطبري في تفسيره للآية : حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: الخير والشرّ.

والله تعالى فرق بين من فعل بإرادته ومن لا يفعل بإرادته.

*قال تعالى:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ [].

ففرق سبحانه بين من يقتل عمدًا ومن لا يقتل عمدًا لأن من لا يقتل بإرادته ثم مات مباشرة لا يحاسب على هذا ولا إثم عليه خلافًا للقاتل المتعمد.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات[1])

فأنت تحاسب على عملك على حسب إرادتك ونيتك

كما لو ذهب الرجل وألقى بنفسه قاصدا أمام سيارة ثم مات.

[1] أخرجه البخاري بَابٌ : كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟
وفي سنن أبي داود | كِتَابٌ : الطَّلَاقُ | بَابٌ : فِيمَا عُنِيَ بِهِ الطَّلَاقُ وَالنِّيَاتُ

فهذا منتحرا مرتكبا للكبيرة

وأما من دهسته سيارة دون قصد فهذا لا إثم عليه قط.

فالشرع يفرق بين ما اختاره العبد وبين مالم يختاره ، وعلى هذا الأصل يحاسب الله العباد ، لذا قال سبحانه" مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

فعلم الله بما ستفعل لا يعني عدم اختيارك ، فالله يعلم اختيارك وعندما كتب في اللوح المحفوظ كتب اختيارك

فلا يقال أن الله يعلم ما أجبرك عليه ، بل يقال بأن الله يعلم ماخيرك فيه وما اخترته أنت أما إضلال الله للعباد ، فهذا خاص بالفاسقين

*قال تعالى"

}وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلَاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ{

فهو يضل به الفاسقين الذين لا يتناهون عن المنكر ولا يأتمرون بمعروف والذين لو عملوا صالحًا اغتروا به

*قال تعالى"

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾

فكلما تكبرت أبعدك الله عنه

*وقال تعالى"

﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ المائدة ١٦

فمن اتبع رضوان الله يهديه الله

وفي الحديث القدسي

)يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلَّا من هديتُه ، فاستهدوني أهدِكُم[١](

فعليك باتباع سبيل الهدى وقبول الحق دون تكبر تهتدي .

فالإنسان ناقص لا يكتمل إلا باتباع الهدى عندما يجده.

فعلم الله سابق لفعلك باختيارك ، ولكنه من رحمته لا يعاملك بعلمه.

---

[١] أخرجه مسلم في الصحيح | كِتَابٌ : الْبِرُّ وَالصِّلَةُ وَالْآدَابُ | بَابٌ : تَحْرِيمُ الظُّلْمِ

بل على حسب عملك وإرادتك التي بها عملت ماعملت.

مع التنبيه أن أغلب من يعترض على القدر هم أهل معصية فلو أطاعوا الله لن تجدهم يتكلمون في هذا وستجدهم يوافقون العقل والوحي

فالعقل والنقل يردون على أي شبهة في هذا بفضل الله.

فمن كمال الله أن يعلم كل ما ستفعل ، ومن حكمته أن لا يعاقب العباد إلا على اختيارهم ، ومن حكمته أن لا يكلف نفساً إلا وسعها.

ومن المهم هنا أن نبين أن اللا-دينية جبرية.

وبيان أن مذهب اللا-دينية جبري يظهر من وجوه:

الوجه الأول:

=أن يقال: أنت تدعي أنك جئت عن طريق التطور والتطور عشوائي فأفعالك نتاج عشوائية ، والعشوائية مجبرة بالطبيعة والطبيعة لا إرادة لها .. فأفعالك نتاج عشوائية مجبرة فلا تكون مختاراً ، وهو المطلوب.

-فإن قالوا: يصح أن تخرج لنا العشوائية إرادة حرة.

فيرد عليهم بالوجه الثاني:

=أن يقال: العدم مع العدم يعطوننا عدما غير موجود ، وعدم الإرادة بالعشوائية لن تعطينا كائنا له إرادة ، حيث العدم لا يعطي وجودا ، فهذا بيان أن الإرادة لو كانت صحيحة فهناك خالق خلق البشر بخلق غير عشوائي ، ولو كانت خاطئة فاللا-دينية جبرية ، وهو المطلوب.

الوجه الثالث:

=أن يقال: ما دليلك كلا-ديني أن ما وصلت إليه بعقلك صواب؟ فتحليلك للأشياء ناتج عن مادة لا تفهم شيئا وعن عشوائية كذلك حسب مذهبك ، فما أدراك أن هذه المادة أنتجت لنا عقلا يحلل بشكل صحيح!..

وهذا يلزمهم فالدماغ عندهم عبارة عن تفاعلات بين الخلايا وهي عشوائية ، فأين الإرادة هنا؟ وهي ناتجة عن أمر عشوائي؟.!

-فإن قالوا: بل عمل الخلايا غير عشوائي ومنظم.

=قلنا لهم: ومن نظمه؟ وهل من نظمه له منظم أم لا؟ حتى يضطر إلى العودة للطبيعة العشوائية.

فحاصل قولهم أن اللا-نظام أنتج نظاما بلا سبب , وهذا لا يقوله من يفهم ما يقول.

=ثم نقول لهم: عند التنازع بيني وبينك كلا-ديني ، من المصيب؟ وهل المادة يمكن ينتج عنها معرفة مطلقة؟

-فإن قال: نعم، سألناه: معرفتي أم معرفتك وما الضابط؟

ولا يجدوا ردا هنا ، لأن المادة المحضة عشوائية فلا يمكن الوثوق بنتائجها ، خلافاً لمن يدعي وجود إله خلق البشر.

=قلت: لذا أغلبهم يلتزمون هذا ويقولون بأنه "لا توجد حقيقة مطلقة ."

وهذا يثبت الجبر عندهم ، حيث أن المادية لن تنتج معرفة مطلقة ، لذا هم شكوا بكل معارفهم ، وهذا حال كل من أنكر وجود الله ، لأن

العشوائية لا تنتج إنسانا يعرف حقائق مطلقة ، فكذلك لن تنتج إنسانا له إرادة حرة.

-فإن قيل لنا: وما فائدة هذا؟

=قلنا: فائدته إلزام اللا-ديني بالجبر ، وإثبات أنه لا يصح حسب مذهبه أن نذم السارق والقاتل لأنه مجبر على فعله ، بل ولا يصح أن نذم المسلم واليهودي حسب منهج اللا-ديني!..

وهذا مرادهم, أن يجعلوا الأخلاق بلا قيمة بل ووجهات النظر ، ويساووا بين الصواب والخطأ.

وهذا يرفضه كل عاقل.

*والله تعالى قال:

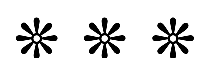
﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة ١٠٠].

فبان الفرق بين المنهجين ، وحسب أصول اللا-ديني المادية فلا يمكنه إثبات صحة منهجه ولا غلط منهج خصمه مهما كان ادعاء خصمه.

بل لا يستطيع مطالبة خصمه بالدليل ، لأن احتياج دعوى خصمه للدليل مبنية على أنه يعتقد بإطلاق أن دعوى المسلم تحتاج دليلا.

وهذا لأن اللا-ديني يرى بأن المسلم يجب عليه الدليل ، ولكن كما بينا فهو مجبر على ظنه هذا وليس حقيقة مطلقة عنده فلا يمكنه إثبات احتياج صحة الرسالة إلى دليل أصلا.

فتأمل هذا كيف أن منهجهم متهافت والمادية تذهب بنا إلى فوات العقل والحمد لله الذي عافانا من هذا الهذيان كله.





براهين إبطال معتقد النصارى
في ألوهية المسيح

مبحث

مناقشة النصارى
في ألوهية المسيح عليه السلام في العهد الجديد

وأردت أن أبين بطلان مذهب النصارى بعدما بينت فساد مذهب اللا-دينية، وأن أبين بطلان مذهبهم تفصيلا قبل الشروع في إثبات صحة الرسالة، وهذا لأن النصارى كثيرون في زمننا الحالي، فأردت أن أنوه على بطلان مذهبهم باختصار، لأن خلال بيان صحة الإسلام، سنتطرق إلى شبهات اللا-دينية والنصرانية معا، فكما أبطلنا مذهب اللا-دينية بالبرهان، سنبطل مذهب المسيحية بالبرهان القاطع أيضا إن شاء الله تعالى، ثم نبين صحة الرسالة الإسلامية بالأدلة القطعية بتوفيق الله.

*قال تعالى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة ٨٢].

فعسى الله أن ييسر لنا ويهدي بهذا المبحث من ضل من النصارى وييسر الله لنا بيان الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة.

ثم سأبين خلال هذا المبحث بعض الدلائل التي ترد على أهل الإلحاد خلال مناقشتي للنصارى.

- قالت النصارى: المسيح هو الكلمة ، كلمة الله ، وهو أقنوم والأب أقنوم والروح القدس أقنوم، وكلاهما إله واحد.

فالمسيح عندهم هو نفسه الله الذي في السماء.

وهو ابن الأب الذي في السماء، والأب والابن شيء واحد.

وإنما المسيح هو الناسوت والرب الذي في السماء هو اللاهوت، وكلاهما شيء واحد.

*قال تعالى:

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠﴾ [مريم ٨٨-٩٠]

*قال تعالى:

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة ٧٢].

فقد برأ الله المسيح عليه السلام من هذه الدعوى الباطلة والتي هي من أفسد الدعاوي التي قابلت العقول والله المستعان.

= وناقشت أحدهم مرة، فقلت له: ما دليلك عقلا على إثبات ألوهية المسيح!

- فقال: الإنسان مؤلف من روح ونفس وجسد، فكذلك الثالوث.

= فقلت له: إن أثبت لك أن الإنسان مركب من أربعة أقانيم، لن تثبت هذا في إلهك، وأنت غايتك من هذا المثال أن تقول بأن الثالوث يمكن تصوره عقلا كما تصورناه في البشر، وهذا وإن كان باطلا لكنه لا يثبت دعواك عقلا، فليس كل ما يصح تصوره يصح وجوده.

فأنا أتصور وجود إنسان بخيل، ولا يليق بالله أن يكون كذلك**!** فليس كل ما يتصور في الإنسان يصح إثباته في الخالق، إلا لو دل الدليل على ذلك، فما دليلك؟

فأعطى مثالا مشابها فعلمت أنه قليل فهم، فلم يفرق بين ما يجيزه العقل وما يوجبه العقل، فهم قالوا بأن الثالوث واجب وأنا إنما

سألته عن دليله على إثبات وجوب الثالوث، فأتى لي بدليل باطل يدل على إمكانه فقط! وهذا من العجب العجاب ويتكرر في مناظراتهم ليل نهار.

فما الفرق بين دعواك بوجود ثلاثة أقانيم ودعوى غيرك بأنه أقنوم واحد؟

فلو تنزلنا مع مثالك سيكون غايتك بعدها أن العقل يجيز الأقانيم الثلاثة كما يجيز أقنوما واحداً ، فكيف فرقت عقلا بين وجود ذات مؤلفة من ثلاثة أقانيم ، وذات أخرى مؤلفة من أقنوم واحد؟

وهذا يظهر لنا أنهم لا يفرقون بين الوجوب العقلي والإمكان العقلي! وهذا من شدة ضلالهم والله المستعان.

= فرددت على دعواه، وقلت له أن الأقانيم إما أن تكون ذواتا متعددة أو صفات لذات واحدة، فإن كان كل أقنوم عبارة عن ذات غير الأخر واتحدوا، فهذا باطل، لأنه يستلزم افتقار كل ذات للذات الأخرى، فلو كانت ذات الابن مفتقرة إلى ذات الآب، والعكس صحيح، فهذا يدل على أن كل منهما ناقصا وحده، فيكون

كمال أقنوم الابن متوقفا على وجود أقنوم الأب قبله، والعكس صحيح، وبالتالي لا يوجد كمال لهذا ولا لذاك.

= قلت له هذا يصح لو قلت بأنهم صفات، لأن العقل يتصور وجود الذات دون وجود الذات الأخرى، ولا يتصور وجود الذات من دون الصفات، بل الصفات شرط للذات والذات شرط للصفات، فيكونوا معا، خلافا للذات فالعقل يتصور وجود ذات اللاهوت دون ذات الناسوت، فظهر الفرق.

وهذا الرد مختصر حتى لا نطيل ففساد هذا معلوم بالضرورة.

- فلما فقد الأمل قال إن هذه الأقانيم صفات، فقلت له: إذن هم أربعة أقانيم وليسوا ثلاثة، لأن ربك موصوف بالمحبة كما تدندنون ليلا نهارا! فلماذا جعلتموه ثالوثا فقط؟

فبهت.

ولما امتنع عليهم إثبات ألوهية المسيح عقلا، احتجوا على دعواهم بعدة أدلة من كتابهم سأذكر أبرزها ثم أرد عليها إن شاء الله.

"النقل الأول"

إنجيل يوحنا ١٠: ٣٠

أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»

ادعوا بأن هذا يثبت ألوهية المسيح، لأنه جعل نفسه هو والأب شيئا واحداً.

والرد عليهم من وجوه:

- الوجه الأول:

المسيح كان مقهورا عند النصارى وتم ضربه وقتله، والأب لم يكن كذلك، ولا يصح عقلا أن يقال أن القاهر والمقهور شيئا واحدا.

- الوجه الثاني:

المسيح عندكم كان لا يعلم متى الساعة، أما الأب فكان يعلم متى الساعة

"وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ." (مر ١٣: ٣٢).

فإن كان المسيح صادقا، فقد بطل القول بأن المسيح هو والآب واحد، كيف واحد والأول يعلم والثاني يجهل؟ بل أن المسيح ساوى نفسه بالخلق فقال في نفس الإصحاح بعد العدد الفائت:

"اُنْظُرُوا! اِسْهَرُوا وَصَلُّوا، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ." (مر ١٣: ٣٣).

فبين بأنه لا يعلم مثلما هم لا يعلمون، فكان لقلة علم المخلوقات أقرب.

ولو كان المسيح كاذبا وعلمه مثل علم الأب، امتنع علينا تصديقه في أي نص أخر.

فلو كان صادقاً، بطل مذهبكم، ولو كان كاذباً، بطل مذهبكم.

وهو المطلوب.

تنبيه:

يمكن أن يحمل قول المسيح "أنا والآب واحد"

على أن أمره وأمر الله واحد، وهذا ظاهر من السياق بالعودة إلى سياق الإصحاح.

قال المسيح:

26 وَلكِنَّكُمْ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ خِرَافِي، كَمَا قُلْتُ لَكُمْ.

27 خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي.

28 وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي.

29 أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي.

30 أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ.«

فبين لهم وجوب اتباعهم له، ثم بين لهم أن هذه المعجزات ليست من "نفسه" بل من الله، ثم أظهر لهم بأن أمر الله وأمره واحد.

فهذا التفسير أقرب للعقل وللسياق من تفسيركم.

وهذا تمام الرد على حجتهم الأولى، وتبين لنا أنها حجة كافية في إبطال مذهبهم خلافا لما كانوا يذهبون إليه.

النقل الثاني:

احتجوا بما جاء في إنجيل يوحنا ١٤: ١٠

"أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ".

- قالوا: هذا يدل على أن الأب هو الابن، لأنه حال فيه.

والرد على هذه الحجة يسير، وعلينا مراعاة السياق داخل هذا الإصحاح فاحتجاجهم به من أعجب ما يكون!

لذا سأنقل السياق بتمامه.

جاء في إنجيل يوحنا ١٠:

»لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي.

2 فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا،»

3 وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا،»

4 وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ.»

5 قَالَ لَهُ تُومَا: «يَا سَيِّدُ، لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟»

6 قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» .

7 لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا. وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ.»

8 قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ: «يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا.»

9 قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟»

10 «أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ«.

11 «صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا« .

12 «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي« .

13 «وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ« .

14 «إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ« .

15 «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ،«

16 «وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ،«

17 «رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ« .

18 «لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ« .

19 «بَعْدَ قَلِيل لاَ يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ« .

20 «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ« .

21 «اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي.«

22 «قَالَ لَهُ يَهُوذَا لَيْسَ الإِسْخَرْيُوطِيَّ: «يَا سَيِّدُ، مَاذَا حَدَثَ حَتَّى إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاتَكَ لَنَا وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ؟«

23 «أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا« .

24 «اَلَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كَلاَمِي. وَالْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي« .

والنصارى احتجوا بقول يسوع: أنا في الأب والأب في، وحجتهم متناقضة كما سنبينه في الوجه الأول:

فكما نلحظ في العدد ٢٠ أن الابن يقول: "أنا في أبي وأنا فيكم"، فبين المسيح بأن وجود الأب فيه من جنس وجود الابن في تلامذته، فحسب منهج النصارى الفاسد إن المسيح وتلامذته شيء واحد!

ولو كان المسيح وتلامذته واحدا، كما أن الله والمسيح واحد، فسيكون الله وتلامذة يسوع واحدا كذلك، فيكون عندنا ما يزيد عن عشرة أقانيم فتأمل فساد هذا!

فإن كان الله وتلامذة المسيح واحدا، بطل مذهبكم، ولو كانوا متعددين، بطل تفسيركم للنص، وهو المطلوب.

- الوجه الثاني:

في العدد ١٠ الذي يحتجون به، قال المسيح فيه بأن هذا الكلام ليس من نفسه بل من كلام الأب، فتبين لنا بأن نفس المسيح ليست هي نفس الأب، وهذا يبطل مذهبكم لو تأملتم فيه.

بل هذا يرد على احتجاجهم بقوله أنا والأب واحد، كيف واحد ونفس المسيح غير نفس رب المسيح؟

لذا قال في العدد ١١ أن دليله أنه هو في الأب والأب فيه، هو أن الأعمال نفسها!..

ثم قال أن من يؤمن به فالأعمال التي يعملها يعملها هو أيضا، فظهر لنا بأن أعمال الرب هي أوامره وكلامه الذي يبلغه المسيح، ومن يؤمن بالمسيح فسيعمل مثل المسيح كذلك ويتبع أوامر الرب ويبلغ كلام وأوامر الرب.

وأما على حسب فهم النصارى، فإن النصارى يدعون بأن الله هو المسيح ودليل ذلك هو أن الأعمال التي يعملها المسيح يعملها الله كذلك.

= يقال لهم: قد أثبت المسيح بأن نفس هذه الأعمال قد يعملها تلامذته، فهل يقال أن تلامذته هم الرب كذلك؟

- فإن قالوا نعم، جعلوا كل الناس مثل المسيح!
- وإن قالوا لا، علمنا فساد تفسيرهم وصحة التفسير الذي أظهرته بالأعلى.

- الوجه الثالث:

في العدد ٢٤ يظهر لنا المسيح صحة ما فسرنا كلامه به، قال بأن هذا الكلام ليس كلامه بل هو كلام الرب الذي أرسله.

وهنا فائدتان:

١)- الأولى: أن المسيح بين لنا أن الأعمال التي يعملها هي تبليغه لكلام الله.

٢)- والثانية: أن المسيح خاطب عقول هؤلاء حتى لا يظنوا بأنه هو الله فبين لهم بأنه رسول الله ولا يتكلم بهذا الكلام من نفسه بل هو مبلغ لكلام ربه فقط، وهذا موافق للحق الذي جاءنا في القرآن.

* قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة ١١٦]

فجاء الإسلام بما يوافق العقول بفضل الله.

النقل الثالث:

احتج النصارى بقيامة الابن وقالوا أن هذا يثبت ألوهيته!..

وهذا القول فاسد بالضرورة، فالنصارى يتفقون بأن الله سيقيم كل البشر من الموت يوم القيامة، فهو كذلك قادر على أن يقيم المسيح من الموت في الدنيا، فأي حجة في هذا لا أدري!

لكن فقر الأدلة يجعل صاحب الدعوى الفاسدة يحتج بمثل هذه الحجة الضعيفة، وهذا تصديق لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت ٤١].

ولكني أنقل حجتهم هذه لأبين أنها حجة عليهم وتبطل مذهبهم عند العقلاء.

جاء في إنجيل لوقا ٢٤: ٤٦

وَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ«.

وفي رسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ١٨

«فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ«.

وعند هؤلاء أن المسيح تألم وتعذب لكي يقرب الناس إلى الله، الذي هو نفسه المسيح!..

فهل يعقل عند عاقل أن المسيح تألم لكي يقربنا لنفسه؟

= رد عليهم العقلاء، فقالوا لهم : إن كان الإنسان منكم لن يعذب نفسه حتى يسامح غيره، وأنتم تنزهون أنفسكم على فعل عبثي مثل هذا، فأن تنزهوا الله عن هذا العبث من باب أولى.

- والعجب من أنهم قالوا: المسيح جعل نفسه ملعونا لأجل مغفرة الخطية!..

"اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»." (غل ٣: ١٣).

= فقال لهم العقلاء : كما أن العقل يقر بأن الشيطان شرير ولا يكون إلها، فكذلك العقل يقر بأن الملعون لا يكون إلها.

ثم إن الملعون ناقص، وكما أن الرب يمتنع عليه أن يكون شريرا ظالما كاذبا، لأن الشر والظلم والكذب نقص، ويمتنع أن يريد النقص لنفسه.

فكذلك يمتنع عليه أن يريد الله أن يكون ملعونا فتأملوا هذا الدليل فهو قاطع في بطلان مذهبكم.

وقد اكتفيت بنقل هذه الأمثلة لأنها أبرز ما يحتجون به في إثبات ألوهية المسيح، ومع هذا فإن الأوامر المنسوبة إلى السيد المسيح عليه السلام في العهد الجديد كفيلة في إبطال ألوهيته أصلا، بل هي أوامر لا يقولها عاقل فضلا عن أن يقولها رب العالمين! وفيها تكليف ما لا يطاق دون حكمة.

وقد جاء في (إنجيل لوقا ٦: ٢٩)

"مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا. ".

وهذا وغيره من أوامره في هذا الإصحاح لا تعقل ولا ينفذها أي أحد، سواء آمن بألوهية المسيح أو لم يفعل.

فهذا الأمر المنسوب إلى المسيح عليه السلام يستلزم منا أن نترك الظالم يزيد في ظلمه مع القدرة على منعه!

وهذا لا يفعله أحد من هؤلاء، فالقدرة على منع الظلم مع تركه هو قمة في الذل والخذلان الذي لا يأمر الله أتباعه به.

لذا فإن عامة النصارى لا يفعلون هذا وفطرتهم لا تقبل هذا، بل إن الظلم قبيح، ولا يجوز تركه إلا لمنع مفسدة أعظم ، مثل أن تترك الرجل يضربك لأنك لو منعته قد يقتلك! وهذا قد يحدث.

أما أنك تساعد الذي يضربك على أن يزيد في ضربك فهذا كأن الرب يأمر الناس بأنهم كلما وجدوا ظلما أعانوا عليه!

ومنع الظلم من الخير المعلوم بالضرورة ، فترك الظلم مع القدرة على منعه هو قمة النقص، فما بالك بأن تساعد الظالم على التمادي في ظلمه!!

فلا يأمر بهذا إلا رجل يجهل ما فطر عليه العباد، وهذا ظاهر.

ومع هذا فإن المسيح ناقض نفسه في هذا فقد جاء في العهد القديم:

١) سفر الخروج ٢١: ٢٤

"وَعَيْنًا بِعَيْنٍ، وَسِنًّا بِسِنٍّ، وَيَدًا بِيَدٍ، وَرِجْلًا بِرِجْل،"

2) سفر اللاويين ٢٤: ٢٠

"كَسْرٌ بِكَسْرٍ، وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ، وَسِنٌّ بِسِنٍّ. كَمَا أَحْدَثَ عَيْبًا فِي الإِنْسَانِ كَذلِكَ يُحْدَثُ فِيهِ".

فالنصوص في العهد القديم صريحة في موافقة ما يوافق فطرة العباد وهو أن من أخطأ في حقك وكان ظالما متجبرا، فإن لك بأن ترد عليه بمثل ما فعل معك.

* قال تعالى:

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة ١٩٤].

ثم إن المسيح في العهد الجديد قال في إنجيل متى الاصحاح ٥ العدد ١٧: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ.

فقال بأنه لا يخالف العهد القديم ، ثم أعقب هذا في نفس الإصحاح قائلا:

38 سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ.

39 وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا.

40 وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا.

وهذا الأمر الصريح في مخالفة العقل والفطرة وكل شيء جاء اعترافا منه بمناقضته للعهد القديم، وهذا يثبت لنا تناقض هذا الكتاب المحرف بشكل ظاهر.

* قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢].

* * *

مبحث

الرد على دعوى النصارى
"ألوهية المسيح من القرآن الكريم"

من الجدير بالذكر أن النصارى لما فقدوا الأمل في إثبات ألوهية المسيح عقلا أو من كتابهم، قالوا إن القرآن أثبت ألوهية المسيح عليه السلام.

وهذا لو دل فيدل على فقر أدلتهم والحمد لله فالقرآن مليء بإبطال هذه الدعوى.

* قال تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

فساوى الله بين رهبانهم وبين عيسى عليه السلام، وذمهم على عبادتهم لهم من دون الله.

* وقال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فقد تبرأ المسيح عليه السلام من هذه الدعوى الفاسدة.

* وقال تعالى:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة ١٧].

فهذه نصوص ظاهرة في إبطال دعواهم بألوهية المسيح

وقد أبطل القرآن دعواهم بأن المسيح ابن الله.

* قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [التوبة ٣٠].

* وقال تعالى:

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤-٣٥].

ثم إن القرآن قد دل على أن الله ليس هو المسيح عليه السلام بشواهد أخرى

حيث أن القرآن أثبت أن الله حكيم، والمسيح ليس كذلك.

والله قادر على كل شيء، أما المسيح فلم يقدر على الذين صلبوه.

وجاء القرآن بما يوافق العقول في إبطاله لألوهية المسيح عليه السلام كما سيأتي في المبحث القادم..

واحتج النصارى بعدة آيات يدعون فيها أنها تثبت ألوهية المسيح عليه السلام، وهي حجج تدل على أن هؤلاء يبحثون عن أي شيء يحفظون به عقائدهم، فبحثوا عن تحريف القرآن كما فعلوا مع كتابهم المقدس.

فاحتجوا بقوله:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف ٨٤].

- قالوا: وهذا النص يثبت أن هناك رب في السماء ورب في الأرض.

= قلت: إله تعني المعبود، ولا إله إلا الله تعني لا معبود بحق إلا الله.

هكذا في لغة العرب وهكذا هي لغة القرآن الكريم[1]

فمعنى الآية أن الله معبود في السماء وكذا في الأرض.

قال الطبري في تفسيره للآية:

[1] إله [مفرد]: جمع آلِهة، مؤنث إلهة وإلاهة، ج مؤ آلِهة: كلّ ما اتُّخذ معبودًا بحقّ أو بغير حقّ _ معجم اللغة العربية المعاصرة ١/١١٣

يقول تعالى ذكره: والله الذي له الألوهة في السماء معبود، وفي الأرض معبود كما هو في السماء معبود، لا شيء سواه تصلح عبادته؛ يقول تعالى ذكره: فأفردوا لمن هذه صفته العبادة، ولا تشركوا به شيئا غيره.

فتبين أن استدلالهم يدل على جهلهم باللغة العربية.

واحتجوا بقوله تعالى:

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ٤٩].

- قالوا: هذا يدل على أن المسيح يحيي ويميت ويعلم ما يأكلون وهذه من خصائص الربوبية لا يعملها إلا الله.

= فيقال لهؤلاء الضالين:

الذي من خصائص الربوبية الكمال المطلق، وألا يقدر المسيح على أن يحيي ويميت إلا بإذن الله، فهذا يدل على نقص قدرته، وهو المطلوب.

ثم إن الآيات كاملة تنقض مطلوبكم بشكل ظاهر:

* قال تعالى:

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران ٤٨-٥١].

فبين الله بأنه أرسل المسيح، والمرسِل غير المرسَل! وقد جعل النصارى الفتحة والكسرة شيئا واحدا فتأمل جهل هؤلاء.

ثم أن المولى سبحانه بين لنا بأن هذه الآيات المعجزة التي أجراها الله على يد المسيح إنما جاءت لتثبت تأييد الله للمسيح عليه السلام ، وهذه من سنة الله مع جميع رسله.

ثم إن المسيح عليه السلام قرن بين ربوبية الله على المسيح وربوبيته على بقية الخلق فإن من يحتجون بمثل هذا على إثبات ألوهية المسيح هم أكثر الخلق تحريفا للحق وتزييفا له.

وقد صدق رب العباد حيث قال بأنهم يقولون ما ليس لهم به علم

* قال تعالى:

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

* * *

مبحث

الأدلة العقلية على نفي ألوهية المسيح

بعد أن تبين لنا تناقض معتقد النصارى وأنهم أكثر الناس تناقضا بل وأكثرهم استدلالا بما يخالف معتقدهم عند التحقيق.

فقد دل العقل على بطلان ألوهية المسيح بأدلة كثيرة جداً.

- البرهان الأول:

أن الخالق يجب له الكمال المطلق كما بيناه سابقاً، والمسيح ليس كاملاً.

وثبت بالعقل الصريح أن العلم من الكمال، والجهل من النقص.

ولو لم يكن الجهل نقصا لما سعى الإنسان إلى أن يرفع الجهل عن نفسه.

وأثبتنا عدم علم المسيح بموعد قيام الساعة.

كما قد جاء في الإنجيل المحرف بقول المسيح يوم الصلب:

"إلهي إلهي لماذا تركتني؟!" (متى٢٧:٤٦)

وهذا السؤال إما أن يكون استخباريا أو استنكاريا، فلو كان استخباريا فهذا يدل على قلة العلم، وأنه يريد أن يسأل الأب عن حكمته التي يجهلها المسيح، لكي يرفع الجهل عن نفسه، وهذا نقص.

وإن كان استنكاريا، فإما أنه يستنكر فعلا خاطئا أو يستنكر فعلاً صحيحا.

فلو كان الأب مخطئا في هذا الفعل فإن الأب قد أخطأ والخطأ نقص، ولو كان مصيبا، فإن استنكار الابن لشيء صحيح هو غاية في النقص.

فثبت نقص المسيح على كل حال، فلا يكون إلها، وهو المطلوب.

ومن المعلوم أن المنادى غير المنادي، وهؤلاء جعلوا صاحب نداء لماذا تركتني، هو نفس المنادى عليه! وهذا ممتنع عند من له ذرة عقل.

- البرهان الثاني:

إن الألم نقص، لذا يسعى الإنسان أن يذهبه عن نفسه.

وقد ثبت عندهم التألم في حق المسيح عليه السلام.

وهذا يدل على أنه لم يكن إنسانا كاملا كما يدعون، ومن الممتنع أن يسعى المخلوق إلى الابتعاد عن الألم لأن الألم نقص، ثم ننسب هذا الألم إلى الخالق! فسبحان المعبود على ما نسبوه إليه!

وهذا يصح أيضا لنفي ألوهية إله اليهود وهو الأب عند النصارى

جاء في سفر إشعياء ٢١: ٣

"لِذلِكَ امْتَلأَتْ حَقْوَايَ وَجَعًا، وَأَخَذَنِي مَخَاضٌ كَمَخَاضِ الْوَالِدَةِ. تَلَوَّيْتُ حَتَّى لاَ أَسْمَعُ. انْدَهَشْتُ حَتَّى لاَ أَنْظُرُ".

فهذا نقص ظاهر، يبطل معتقد اليهود والنصارى.

- البرهان الثالث:

العقل إما أن يكون حجة أو لا يكون حجة، فإن كان حجة فقد أوجب تنزيه الخالق عن أي نقص، وقد ثبت النقص بالمسيح كما تبين.

وإن لم يكن العقل حجة، فأنتم تحتجون أن معجزات المسيح تدل على ربوبيته، وهذه الدلالة تدعون أنها دلالة عقلية.

فإن كان العقل حجة بطل مذهبكم وإن لم يكن حجة بطل دليلكم الوحيد على مذهبكم، وهو المطلوب.

- البرهان الرابع:

إن دل النقل عندكم على ألوهية المسيح، فهناك نقل آخر ينفي ألوهيته.

وكتابكم يوافق النقل الآخر أكثر من موافقته لنقلكم، بل لعل ما تستشهدون به ينفي ألوهيته عند التحقيق.

فإن كان النقل حجة بطل مذهبكم وإن لم يكن حجة بطل مذهبكم.

- البرهان الخامس:

من المعلوم بأن الحاجة نقص، لذا يتنزه ربنا عن الطعام لأن الطعام لا يكون إلا لحاجة سد الجوع.

وعند هؤلاء فإن المسيح كان يأكل لأنه كان يجوع!..

فقد جاء في إنجيل متى ٤:

2 فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا

وجاء في إنجيل لوقا اصحاح ٢٤:

41 وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِين مِنَ الْفَرَحِ، وَمُتَعَجِّبُونَ، قَالَ لَهُمْ: «أَعِنْدَكُمْ ههُنَا طَعَامٌ؟»

42 فَنَاوَلُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدِ عَسَل.

43 فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ.

وقد بين الله تعالى أن هذا ينفي ألوهية المسيح بشكل ظاهر.

* قال تعالى:

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المائدة ٧٥].

فالله عز وجل يعلم إقرار النصارى بأن المسيح كان يأكل الطعام، فجعل هذا حجة ظاهرة عليهم، فإن أكل الطعام هو حاجة له، فكيف يحتاج الخالق إلى المخلوق!

ولو عرضنا على العقل وجود رب غني عن الطعام، ورب آخر مفتقر إليه.

فسيجزم العقل بكمال الأول ونقص الثاني!

وهذه الحجة القرآنية كافية في إبطال معتقد النصارى في ألوهية المسيح عليه السلام.

- البرهان السادس:

إن من النقص في الإنسان خروج فضلات الطعام منه، ولذا يستحيي الإنسان أن يتكلم عن هذا أمام الناس بالرغم من أن الكل يقع منه هذا.

وهذه الفضلات خروجها لازم لتناول الطعام، وقد بين الله سبحانه بأن المسيح كان يأكل الطعام، ومن المعلوم بأن أكل الطعام له لوازم عند الإنسان في الدنيا.

فإن كان المسيح عليه السلام يأكل ويجوع فإنه بالضرورة تخرج منه هذه الفضلات القذرة كذلك.

فكيف يصح بمن نسبوه إلى الألوهية أن يخرج منه مثل هذا!

لذا فإن الحجة القرآنية البرهانية جاءت لتبين أن الحاجة إلى الطعام نقص، وأن لازم تناول الطعام من خروج القاذورات كذلك هو أشد النقص.

فكان تناول الطعام ولازمه من النقص المعلوم عند العقلاء، فكيف يثبت الألوهية لمثل هذا من يثبت لله الكمال؟؟

- البرهان السابع:

جاء في إنجيل يوحنا ١٩:

28 بَعْدَ هذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ: «أَنَا عَطْشَانُ.»

29 وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعًا مَمْلُوًّا خَلًّا، فَمَلأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الْخَلِّ، وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ.

30 فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ.

فإن كان الرب مريدا للشراب ثم لم يستطع أن يشرب قبل أن يموت، فمثل هذا لا يستطيع جلب النفع لنفسه عندما أراد، فكيف له أن يجلب النفع لغيره إذا أراد! فضلا عن أن يقال هو خالق كل شيء!

- وليتبين هذا أكثر نوضحه في البرهان الثامن:

المسيح إما أنه أراد أن يشرب أو لم يرد ذلك.

فلو أراد هذا فإن الناس منعوه من تحقيق إرادته، فيكون المخلوق عند هؤلاء مانعا للخالق من تحقيق مراده.

وإن لم يرد أن يشرب فإن قوله "أنا عطشان" مع أنه لا يريد أن يشرب، من الكلام العبثي الذي لا يقوله إنسان عاقل، فضلا عن أن ينسب هذا القول لرب العالمين!

- البرهان التاسع:

إما أن يكون اجتماع النقيضين ممكنا أو مستحيلاً

فإن كان مستحيلاً فإن دعواكم بأن المسيح كامل رغم ما ثبت له من النقص هي دعوى اجتماع بين نقيضين.

فيكون قولكم مستحيلا، وهو المطلوب.

وإن كان اجتماع النقيضين ممكناً لكان القول بأن المسيح إله، لا ينفي قول العقلاء بأن المسيح ليس إلها، لجواز اجتماع النقيضين، فيكون إلها وليس إلها بنفس الوقت، وهذا عجب!..

- البرهان العاشر:

إن المسيح كان عابدا لله، والعابد غير المعبود.

فإن قيل بأنه يعبد نفسه، فإن العبادة هي الطاعة مع التعظيم، فكيف يطيع نفسه! فيكون الآمر هو نفس المأمور!

فتأملوا هذه الأوجه يتبين لكم فساد قول هؤلاء.

وكنت أنوي إبطال ألوهية المسيح عليه السلام من خمسمائة وجه، لكن ما بينته فيه الكفاية.

وقد كتب ابن القيم رحمه الله أبياتا رائعة في إبطال ألوهية المسيح:[1]

أعُبّادَ المَسِيــحِ لَنا سُـــؤالٌ

نُرِيدُ جَــوابَهُ مَّمِــن وعـاهُ

إذا ماتَ الإلهُ بِصُـــنْع قومٍ

أمــاتُوهُ فَمــا هــذا الإلــهُ؟

وهَلْ أرضاه ما نالُوهُ مِنهُ؟

فبُشْراهمْ إذا نالُــوا رِضـاهُ

وإنْ سَخِطَ الّذِى فَعَلُوهُ فيه

فَقُوَّتُــــهُمْ إذًا أوْهَتْ قُــواهُ

وهَلْ بَقِى الوُجُودُ بِلاَ إلــهٍ

سَمِيعٍ يَسْتَجِيبُ لَمِن دَعاهُ؟

وهَلْ خَلَتِ الطِّباقُ السَّبْعُ لَمّا

ثَوى تَحتَ التُّرابِ، وقَدْ عَلاَهُ

[1] [إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج٢ ص٢٩٠ ط مكتبة المعارف]

وهَلْ خَلَتِ العَوالُمِ مِن إلــهٍ

يُدَبِّرها، وقَدْ سُمِرَتْ يَداهُ؟

وكَيْفَ تَخَلْتِ الأمْلاَكُ عَنْـهُ

بِنَصْرِهِمُ، وقَدْ سَمِعُوا بُكاهُ؟

وكيف أطاقت الخشبات حمل الـ

إلــه الحــق مشدودا قفــاه؟

وكيْفَ دَنا الحَدِيدُ إلَيْهِ حَتّــــى

يُخالِطَــهُ، ويَلْحَقَــهُ أذاهُ؟

وكيْفَ تَمكْنَتْ أيْدِى عِــــداهُ

وطالتْ حَيْثُ قَدْ صَفَعُوا قَفاهُ؟

وهَلْ عادَ المَسِيحُ إلى حَيــاةٍ

أمَ المُحْيــــى لَهُ رَب سِــواهُ؟

ويا عَجَبًــا لِقَبْرٍ ضَمَّ رَبــــا

وأعْجَــبُ مِنهُ بَطْــنٌ قَدْ حَواهُ

أقامَ هُناكَ تِسْعًا مِن شُهُـــورٍ
لَدى الظُّلُماتِ مِن حَيْضٍ غِذاهُ

وشَقَّ الفَرْجَ مَوْلُودًا صَغِيـرًا
ضَعِيفًـــا، فاتِحًـــا لِلثَّدْى فـــاهُ

ويَأْكُلُ، ثمَّ يَشْرَبُ، ثمَّ يَأْتِـــى
بِـلاَزِمِ ذاكَ، هَلْ هـــــذا إلهُ؟

تَعالى اللهُ عَنْ إفْكِ النَّصــارى
سَيُســــــألُ كُلُّهُمْ عَمّـــا افْتراهُ

أعُبّادَ الصَّلِيبِ، لأى مَعْنًـــــى
يُعَظـــمُ أوْ يُقَبَّحُ مَن رَمــــاهُ؟

وهَلْ تَقْضِى العقولُ بِغَيْرِ كَسْرٍ
وإحْراقٍ لَـــهُ، ولَمِــن بَغـــاهُ؟

إذا رَكِبَ الإلــهُ عَلَيْـهِ كُرْهًـــــا
وقَدْ شُـــدَّتْ لِتَسْــمِيــرٍ يَــداهُ

فَذاكَ المَرْكَبُ المَلْعُونُ حَقــا
فَدُسْـــهُ، لا تَبُسْـــهُ إذْ تَـراهُ

يُهانُ عَلَيْــهِ رَبُّ الخَلـقِ طُـرا
وتَعْبُـــدُهُ؟ فَإنّــكَ مِن عِداهُ

فإنْ عَظِّمْتَــهُ مِن أجْلِ أنْ قَـدْ
حَـوى رَبَّ العِبادِ، وقَدْ عَلاَهُ

وقَدْ فُقِدَ الصَّلِيبُ، فإنْ رَأيْنــا
لَهُ شَكْـــلًا تَذَكَّـــرْنا سَنـــاهُ

فَهَلاّ للقبـــورِ سَجَدْتَ طُـــرا
لَضِمّ القبـــرِ رَبّكَ فى حَشاهُ؟

فَيـــا عَبْدَ المِسيحِ أفِـقْ، فَهَذا
بِدايَتُـــهُ، وهـــذا مُنْتَهـــاهُ.

*قال تعالى مبينا للكمال الذي يليق به:

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص].

* * *

مبحث

مناظرة بين النصارى واللا-دينيين وتعليق المسلم على المناظرة

وبعد أن انتهينا من نسف كل ما يعتقده النصراني، وقبلها تم هدم كل ما يعتقده اللا-ديني.

فقد حان الوقت هنا بأن أنقل إلزام كل منهما للآخر، من باب هدم الباطل بالباطل، ثم أضع رد المسلم عليهم.

وسأنقل حجج هؤلاء ورد هؤلاء على شكل مناظرة.

- قال اللا-ديني : أنتم كنصارى تدعون أن يسوع قادر على كل شيء، فكيف يكون قادرا على كل شيء ثم يقدر عليه بعض من خلقه من اليهود؟ فإن كان قادرا ولم يمنعهم فقد أعان الظالم على نفسه حتى تسبب الظالم إليه بالآلام والأوجاع، وهذا نقص، ولو كان غير قادر، فهذا نقص، فلا يكون إلها على كل حال.
- فرد عليهم النصراني فقال: أنتم تدعون بأنه لا توجد حقيقة مطلقة بل وتدعون أن النقيضين قد يجتمعان ، فإن كان قولكم حقا، جاز

أن يكون المسيح ناقصا وكاملا بنفس الوقت، وإن كان قولكم باطلا، فأخبرونا حتى نبين لكم عدم التناقض في مذهبنا.

- فقال اللا-ديني: أنت لم تقم على استحالة اجتماع النقيضين أي دليل، فلو كان اجتماع النقيضين ممكنا، لجاز أن يكون معتقدك حقا وباطلا في نفس الوقت، وأنتم لا تقولون بهذا، ولو كان اجتماع النقيضين ممتنعا بطل مذهبكم، وهو المطلوب.

= ثم علق المسلم قائلا:

لو كان التناقض ممكنا لما أمكن للملحد أن يهدم معتقد النصارى ولا أمكن للمسيحي أن ينفي بطلان معتقده، ولو كان التناقض مستحيلا كما يقول العقلاء قاطبة، فسيكون معتقد النصارى باطلا بشكل ظاهر، وسيكون ترك اللا-ديني للعقل عندما قال بإمكان اجتماع النقيضين أظهر وأظهر.

- قال اللا-ديني للنصراني: قد اتفقت معك على امتناع اجتماع النقيضين كما يقول العقلاء، وأن البديهيات العقلية من الحقائق المطلقة التي لا يشكك فيها إلا أحمق (يتحدث عن حاله السابق)، لكن كيف تثبت لي أن المسيح هو الله؟

- فرد المسيحي بالرد القاهر الذي يحسم به النصارى عامة مناظراتهم فقال: المسيح يحبك ومات لأجلك!..
- فرد اللا-ديني فقال: دعك من هذا الجنون، فإن كان ربك يحب من يكفر به فلا حاجة لي بالإيمان به، لأنه يحب الكفر كما يحب الإيمان، فلا فرق.

ولو كان يحب من يؤمن به فقط، فهو لا يحتاج أن يموت حتى يغفر لمن يؤمن به، فهذا ننزه عنه المخلوق فما بالك برب العالمين؟

فعلى كل حال ثبت نقصان إلهك.

فعجز النصراني على الرد..

= فعلق المسلم قائلا لهذا الملحد:

كيف تدعي بأن الخالق لا يجب أن يكون ناقصا؟ فلو علمت هذا بالفطرة فقد ظهر لنا بأن الفطرة تثبت وجود خالق يجب أن يكون متصفا بالكمال! فظهر غلطك في نفي وجود الخالق، فإن شككت في الفطرة فشكك بها في نفيك ألوهية المسيح لأنه اتصف بصفات

النقص، ولو وثقت بالفطرة فعليك أن تؤمن بخالق متصف بصفات الكمال، وأما لو كان علمك بامتناع اتصاف الخالق بالنقص هو شيء علمته عن طريق العقل، فإن العقل قد دل على وجوب وجود خالق كما دل على وجوب اتصافه بالكمال، فكل هذا يهدم مذهبك ويثبت قول المؤمن أن الله موجود.

- ثم قال الملحد للمسلم: لا تعلق فإني كدت أن أنتصر على النصراني حتى تدخلت أنت!

= فعلق المسلم قائلا: كلكم في ﴿ظُلُمَـٰتٌۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾.

- فقال الملحد للنصراني: كيف بإله عاجز عن حماية نفسه، يقدر على خلق العالم؟

- فقال المسيحي: لأنه يحبنا ومات لأجلنا.

= فعلق المسلم ساخرا فقال:

سؤال الملحد صحيح، فإن العاجز عن حماية نفسه هو أعجز من أن يخلق كل هذا، لكن العجب من الملحد فإنه يستغرب كيف أن العاجز على حماية نفسه أن يخلق غيره، ثم أن الملحد يقول بأن الصدفة

أنتجت كل شيء**!** وهناك شيء أزلي إما الكون أو المادة أو الطاقة أو كل ذلك، وهم بلا إرادة ولا علم، ثم مع هذا صنعوا كل شيء**!**

فإن كان المسيح مع قدرته المحدودة لا يستطيع عندك كملحد أن يخلق كل شيء، فإن الصدفة والعشوائية معدومة الإرادة والعلم والقدرة، فهي ليست مسببا لوجود كل هذه المخلوقات من باب أولى.

فاقتنع الملحد وصار ربوبيا.

- ثم قال اللا-ديني الربوبي للمسيحي: إن العقل قد دل على وجود خالق متصف بصفات الكمال، وهذا لا يكون في المسيح عليه السلام، فبطلت ألوهيته.

وإنما قلنا بأن المسيح ناقص لفساد كثير من أوامره والتي لا يقولها إنسان عاقل فضلا عن أن يقولها رب العالمين، مثل أمره لأتباعه أن من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر.

- فقال المسيحي: وما دليلك على أن أمر كهذا نقص؟

= فعلق المسلم بضحكة مطولة.

- فقال الربوبي للمسيحي: إن هذا الأمر قبيح لأنه يلزم منه أنه يأمر المظلوم بأن يعين الظالم على ظلمه!

= فقال المسلم للربوبي متعجبا: يا سبحان الله! إن كان المسيحي يؤمن برب يعين الظالم على المظلوم، فأنت تؤمن برب لا يفرق بين حسن وقبيح ولا يأخذ حق المظلوم من الظالم ولا يهتم للظلم أصلا! بل إنك تؤمن برب ترك كل أصحاب الأديان ينسبون أنفسهم إليه، فلا يعاقب من كذب عليه، ولا يثيب المؤمن به منكم!

فإن كان أمر يسوع بإعانة المظلوم للظالم على ظلمه نقصا، فإن ربا لا يفرق بين الحق والباطل أشد نقصا فتأمل.

- ثم قال المسيحي للربوبي: إن للمسيح معجزات تثبت ألوهيته.

- فقال الربوبي للمسيحي: ما قولكم في قدرة الله؟ هل هو قادر على كل شيء؟

- فقال المسيحي في سره: الله يستر.. لعل هذا السؤال فخ، ثم قال: نعم هو قادر على كل شيء.

فقال له الربوبي: فإن كان الله قادرا على كل شيء، فإنه قادر على أن يؤيد رسوله بمعجزة إحياء الموتى أو بقية المعجزات التي فعلها المسيح.

فإن كان الرب قادرا على أن يؤيد رسوله بمثل هذا، فإن العقل قد دل على أن هذه المعجزات قد تحدث من رسول الله، فدليلك الوحيد على ألوهية المسيح يصح أن يحدث من المسيح لو كان رسولاً وليس ربا للعالمين..! فلا يبقى لكم دليل على إثبات ألوهيته بحال من الأحوال.

- فقال المسيحي: وأين أنت من النبوة؟ هل تثبتها أصلا!

= فعلق المسلم قائلاً: بهت الله المسيحي على يد الجاهل الأخر، فقد عجز النصراني عن الرد، فلا للحق نصروا ولا للباطل كسروا.

- فقال الربوبي: أنا أنفي النبوة لأن الرب لا يصح منه أن يرسل الرسل بهذه الطريقة.

= فغضب المسلم وقال له: يا سبحان المعبود! أين قال لك ربك بأنه لا يصح منه أن يرسل الرسل! فإن لم يخبرك بهذا فكيف علمت؟

= إن علمت هذا بالعقل فالعقل يثبت أن الرب الذي يفرق بين الحق والباطل أكمل ممن لا يفرق بين الحق والباطل، فإله يرسل الرسل برسالة تفرق بين الحق والباطل أكمل عند كل عاقل من إله لا يفرق بين الحق والباطل لا برسالة ولا بشيء..!

* قال تعالى:

﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُۗ﴾ [فاطر ١٩].

فسبحان الذي ضرب أهل الباطل بأهل الباطل.

فالعقلاء يرفضون أقوال هؤلاء وأقوال هؤلاء.

ولولا فساد معتقد هؤلاء لكان كسر معتقد الآخر يسير! وأقصى ما يصل إليه النصراني في مناظرة اللا-ديني أن يثبت بأن كلا المعتقدين على ضلال، معتقد اللا-ديني ومعتقده.

ولعل المسلم يلحظ من هذا بأن الله قد نصب للحق دليلا، ونصب لكسر الباطل دليلاً.

والحمد لله.

*** قال تعالى:**

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة ٢١٣].

* * *



أدلة صحة الرسالة الإسلامية

مبحث

مقدمة في بيان إثبات صحة دين الإسلام

هذا آخر المباحث المفصلة التي سأتكلم عنها إن شاء الله تعالى, وهو مبحث هام وله عدة أبواب سأذكرها تباعاً.

وسأذكر كل ما أعرف من اعتراضات مشهورة للمخالفين فأبين فسادها كلها، وأدلة صحة دين الإسلام ظاهرة جداً لكنها مع هذا قد تخفى على من لم يتدبر دلائل القرآن.

والنبوة لأهل الدين فيها أقوال:

منهم من قال: بأنها واجبة لأن حكمة الله توجب إرسال الرسالة.

ومنهم من قال: أنها ممكنة ولا يجب على الله شيء.

قالوا: فكما أنه لا يجب عليه إرسال رسل فلا يجب عليه عدم إرسال رسل، فتبقى الرسالة ممكنة عقلاً.

= قلت: ولبيان صحة الرسالة الإسلامية وجب ذكر شروط النبوة، وكيفية التفرقة بين دين الله ودين البشر، مع ذكر كيفية محاورة المخالف من البداية للنهاية في بيان صحة الرسالة.

وهذا مدار بحثنا القادم إن شاء الله تعالى.

* * *

مبحث

الرد على شبهة
"ما الدين الحق من بين ٤٢٠٠ دينا؟"

وهذه شبهة سخيفة جدا لكننا أوردناها في هذا المبحث حتى نبين بعض الفرقان بين الدين واللا_دين ، وكيف أن هذه حجة لإثبات النبوة بشكل عام.

وسأضع شبهتهم بنصها:

- قال اللا-ديني: أنت كمسلم تدعي صحة عقيدتك.

- قال: ونحن نرى بأن هناك ٤٢٠٠ دينا وكل منهم يدعي أنه على حق، فلماذا أعتقد بعقيدتك وأترك العقائد الأخرى.

- قال: فبهذا نعلم أن كل هذه أديان خاطئة.

= قلت: وهذا طرحهم وغايتهم منه أن يجعلوا المسلم يفكر ، لماذا أنا على حق دون غيري؟

ويرد على هذه الشبهة من وجوه:

- الوجه الأول:

= أن يقال :

أنتم تدعون أن عدد الأديان ٤٢٠٠ وهذا العدد لا دليل عليه ، بل عامة أسماء الأديان بالقائمة المشهورة التي تدعي بأن هناك هذا العدد من الأديان ، يعرف الإنسان فسادها بالضرورة ، بل عامتها أديان بشرية أصحابها يعترفون بهذا ، فلا يصح قولهم ولا معهم دليل على كل حال.

- الوجه الثاني:

= أن يقال:

وافقناكم على أن هذا العدد موجود بالفعل ، لكن لم قلتم أن كثرة الأديان أمر دال على عدم صدق أي منهم؟

= قلت: وهذه مغالطة القاضي الفاشل ، فاللا-ديني مثل قاضٍ علم أن هناك سارقا فأتوا له بألف متهم فقال كلهم براءة**!!** بل كثرة عدد المتهمين يثبت أن السارق لا يخرج منهم أصلا ، والقاضي لفشله قلد اللا-ديني ، فأخرجهم جميعا من محل الاتهام وقال بأن السارق غيرهم وهذا بعينه ينطبق على اللا-ديني.

- ويبينه الوجه الثالث:

فالحق موجود لا محالة ، وكلما زاد عدد من ادعى الحق ، كلما كان أجدر أن نظن أن الحق لا يخرج عنهم ، وهو المطلوب.

وبيان وجه دلالة هذا بالوجه الرابع:

= فنلزم الملحد فنقول :

هناك ٤٢٠٠ دينا كلهم يدعي وجود خالق ، وأنتم الفرقة الوحيدة التي تشك بوجوده أو تدعي عدم وجوده.

فالصواب لو كان جائزا أن يكون معك كملحد .. فهو جائز أن يكون في الـ ٤٢٠٠ دينا من باب أولى وأظهر بكثير بغض النظر عن أن الدليل يوافقهم بالفعل.

- الوجه الخامس :

أنت كلا-ديني تدعي صحة اللا_دينية ، وأما عدد من يدّعون وجود دين يجب اتباع واحد منهم هم ٤٢٠٠ فرقة، فهؤلاء كلهم رغم اختلافهم يرون أن هناك دين على حق ، وأنت كلا-ديني خالفتهم جميعاً، فلو كان اختلافهم حجة على ضياع الحق، فاتفاق الـ ٤٢٠٠

دينا على وجود دين صحيح إنما هو حجة على أن الحق مع من يدعي وجود دين يجب اتباعه، وهو عين المطلوب.

- الوجه السادس:

كثرة من يدعي وجود الحق ليس دليلاً على عدم وجود الحق بينهم، بل هو دليل على كثرة الأهواء فقط، حيث أن الحق موجود يقينا، ومخالفة الباطل للحق لا تغير من كونه حقا, لذا حتى في سؤالهم هذا سفسطوا .

وبيان سفسطتهم بالوجه السابع:

فهم يدعون أن كثرة من يدعي الحق دليل على عدم وجود الحق، وهم ادعوا عدم صحة الأديان ثم مع هذا يدعون بأن هذا هو الحق! ، و٤٢٠٠ فرقة ادعوا صحة الأديان، فهنا كل فرقة ادعت أنها على حق ، سواء المتدين أو اللا_ديني ، وكثرة الدعوى عند الملحد تثبت غلط الكل .

مما يستلزم أن وجود دين حق باطل وعدم وجود دين حق أيضا باطل..! وهذا رفع للنقيضين .

بل هم ادعوا أن الله غير موجود ونحن ادعينا خلاف هذا، فكل منا يختلف مع الآخر في الدعوى، فلو كان كل منا على خطأ، لكان الله موجودا وغير موجود في ذات الوقت، وهذا هذيان وسفسطة من اللا-ديني وكلام ننزه أطفال المسلمين أن يتحدثوا به.

- الوجه الثامن :

= أن يقال: أن كل دين منهم يدعي الحق، فلماذا لا يقال أن كلهم على حق؟

- سيقول اللا-ديني: لأن كل دين منهم يناقض الآخر.

= قلت: وعند عامة اللا-دينيين التناقض ممكن أصلا، فلا يكون عندهم شبهة أصلا حسب أصلهم الفاسد، وهو قولهم بعدم معرفة حقيقة مطلقة وإمكان اجتماع النقيضين.

- فإن قالوا: نحن عقلنا وفهمنا وتركنا ما كنا عليه من جهل وعلمنا أن اجتماع النقيضين مستحيل، فتبقى الشبهة قائمة وهي أن الأديان كل دين منها يناقض الآخر، فيلزم من هذا أن تخبرنا كمسلم كيف نعلم منهم الصواب من الخطأ؟

- فيرد عليهم بالوجه التاسع:

= فيقال :

لو تم إثبات صحة الإسلام فما ثبت صحته امتنع نقيضه، فبما أن الإسلام حق وأثبتنا صحته، امتنع صحة أي شيء يناقض الإسلام، سواء علمنا ما هذا الدين المناقض للإسلام أم لم نعلمه، وهو المطلوب.

وبيان هذا أني لو علمت أن زيدا نجح في الامتحان، امتنع أن يكون رسب في الامتحان، سواء قال لي أحد أنه رسب أم لم يقل ، فقوله مردود على كل حال ، لأن رسوبه بعد التثبت من نجاحه تناقض يستحيل اجتماعه عقلا.

كذلك مسألتنا, فلو ثبتت صحة الإسلام، امتنع صحة ما يناقضه، فإثبات صحة الإسلام كافية لإبطال كل ما يخالفه من أديان.

- الوجه العاشر :

الدين الحق يوافق الفطرة ولا يوجد فيه شيء يعلم الإنسان بفطرته أنه غلط ١٠٠٪، ومعلوم أن الفطرة تتقبل الحق الظاهر، وترفض

الباطل الظاهر، ولو كثر أتباعه فهم يعلمون أن فطرتهم ترفض هذا القول ولو كانوا يصدقون بهذا المعتقد، كما يقول النصارى أن الثالوث لا يمكن أن نعقله وهو لا يعقل قط، ومع هذا نحن نصدقه.

وهذا يثبت أن الفطرة السليمة تعرف الحق وتميز بينه وبين الباطل، كمن يعلم بفطرته أن القتل ظلما غلط ومع هذا يقتل.

فثبت أن حجتهم متهافتة من عشرة أوجه، وأنا إنما أوردتها لأبين أن القول بأن هناك دين قول معظم البشر رغم اختلافهم، فقد اتفقوا على أن يخالفوا اللا-دينيين، وهذا وليتعلم المسلم أن في مبحث صحة الرسالة هذا لا توجد شبهة لمخالف إلا وهي حجة لنا كما ظهر وسيظهر إن شاء الله تعالى.

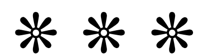
- تنبيه:

بعد أن تبين لنا سابقاً بالأدلة القطعية وجوب الوحدانية للخالق ، علمنا بطلان كل الأديان الشركية.

ومع هذا فإن تعدد من ادعى الحق لا ينفي وجود الحق وإلا لنفينا صحة الشيء ونقيضه ، وهي دعوى متناقضة لا تخرج إلا من لا-ديني.

ثم أنها دعوى تبطل اللا-دينية كذلك لأنهم يدعون بأن بطلان الأديان حق ! فلو كانت شبهتهم صحيحة ، بطل مذهبهم ، ولو كانت باطلة ، تبين لنا سخافة شبهتهم.

لذا يقال بأن كل شبهة لهم هي حجة عليهم والحمد لله.



مبحث

التأصيل في إثبات صحة الرسالة

التأصيل يكون كالآتي:

= وكبداية تلزم اللا-ديني فتقول له: هل الدين بنفس كيفية الرسالة بالدين الإسلامي من إرسال الرسالات ومواقيت إرسال الرسل، ممكن عقلاً أم ممتنع عقلاً؟

- إن قال: ممكن.

إذن, يجوز عنده إرسال الله للرسل وينهي الرسالات بخاتم الرسل قبل ١٤٠٠ سنة ويزيد.

- وإن قال: ممتنع.. فعليه أن يعطي دليلاً على أن هذا مستحيل على الله، و لن يجد سبيلاً لذلك.

ثم تلزمه بأنه أقر معك بإتصاف الخالق بالإرادة، فكيف يدعي أن الله تعالى يمتنع عليه أن يريد إرسال الرسل بهذه الكيفية؟ أو كيف يقال بأنه لن يقدر على إرسال الرسل بهذه الكيفية ؟

وهذا بغض النظر عن تفاصيل هذه الرسالة.

ونحن قد بينّا وجوب اتصاف الخالق بالقدرة والإرادة المطلقة، مما يرد على كل شبهة ممكنة لهم بهذا الباب.

- تنبيه:

لا تقل للمخالف: هل الدين ممكن عقلاً؟

بل قل له: هل الدين بنفس الكيفية الإسلامية من مواقيت إرسال الرسل، وانتهاء بعث الرسل وإرسالهم من البشر بكتب من السماء تتنزل عليهم، ممكن عقلاً؟

فهنا تُحكِم عليه السؤال أكثر وتقرب محاورك للإسلام أكثر، ولو أنه أنكر إمكان هذا عقلاً ، فعليك أن تضع عليه عبء دليل قوله أن هذا ممتنع عقلاً، ولن تجد كمسلم أيسر من الرد على شبهاته وقتها حول إثبات امتناع وجود الدين.

- وأعلى شبهة لهم هو قولهم: لماذا لم يرسل الله نبياً بزمننا هذا؟

= ورد شبهتهم هذه قادم إن شاء الله تعالى بموضعه فسأترك له مبحثا كاملاً إن شاء الله.

ثم نبدأ داخل المناظرة:

فأنت كمسلم مخير أن تناظر محاورك بأن تعطي له أدلة النبوة التي تحفظها، لكن بلا تحريف ولا تغيير معنى آية لتثبت إعجازا علميا مثلاً والنص ظاهر في عدم إرادة هذا المعنى الذي بنيت عليه دليلك، فلا يصح أن تحتج على محاورك بدليل خاطئ وتحرف دلالة النص لأجل إقناعه، فلو أنت لست أهلاً لتثبت صحة الرسالة بكيفية صحيحة دع الأمر حتى تتعلم، وهذا من الأمانة العلمية ومن التدين الذي يأمر به الله عز وجل.

والخيار الثاني: أن تسمع منه أكبر شبهة أو شبهتين عنده قبل إرفاق الأدلة.

والخيار الأول أنفع لمن يحفظ الكثير من الأدلة ولا يجيد رد الشبهات

والخيار الثاني أفضل لمن يجيد إخراج دليل النبوة من كل شبهة,

وهذا كمن يخرج من شبهة السيدة صفية -رضي الله عنها- دليلا على صحة النبوة، أن النبي ﷺ خيرها بينه وبين قومها فاختارته رغم معاداة أبيها وأخيها له، فشهادتها له بالنبوة حجة قوية كما سأبين لاحقاً إن شاء الله تعالى بهذه المباحث.

فمن يستطع استخراج الدليل من الشبهات يتعامل بالخيار الذي يكون بأن تسمع شبهة من المخالف وترد عليها ولعلك تخرج منها دليل نبوة، ثم تعطيه الأدلة بعد أن ترد أقوى شبهاته.

ثانياً: حال محاورك.

فلو كان المخالف لك من أصحاب الشبهات الكثيرة ولا يناقش الأصول ويناقش الفروع فقط، فقل له: سأجيب أقوى سؤال لك وبعدها ستسلم؟

- سيقول: لا, لأن رد الشبهة لا يثبت صحة الدين.

= فقل له: إذن نثبت صحة الدين أولاً ثم نرد على شبهاتك.

فتأصيل الأمر مع مثل هذا أفضل من الانزلاق معه .

ثم اعلم عزيزي المسلم أنه من غير الجائز أن تناقش صحة الرسالة وعلمك قليل بالعقيدة، فمجرد شبهة تجعلك تحرف معنى نص بالقرآن فقط لترضي المخالف، وأنت لقلة علمك برد الشبهة تحرف النص، فإن لم تعظم النص فما قيمة نقاشك لغيرك؟ ومن قلة علمك قد يشتبه عليك شيء فلا تعرف رده فتتشكك أنت!

أتريد أن تكون طريقاً للناس إلى الجنة فيدخلوها وتدخل إلى النار أنت؟

والسلف كانوا يتعلمون العلم لأنفسهم لا للناس، ثم علموه للناس لعدم جواز إخفاء العلم وهم زاهدون في دعوة الناس حتى يزكوا أنفسهم، فاسعَ لتعلم كل ما كتبتُ وأكتب، لنفسك أولاً.

ثم إن وجدت نفسك أهلاً للنقاش فافعل بعد تعلم العقيدة.

ثالثاً: لا يجوز أن تأمن على نفسك الفتنة.

*قال تعالى:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت ٢].

والصحابة لم يأمنوا على أنفسهم الفتنة فما بالك بنا؟

رابعاً: أن تلتزم بأدب الحوار.

ولا تشخصن إلا مع من يستحق، مثل من يتعالى ويغتر، أو من

شعرت منه بعناد وكنت بموقف يصعب عليك فيه اعتزال نقاشه.

وأما في الأصل فلا تناقش إلا من تشعر أنه باحث عن الحق، ولا تنس أن الدين عظيم يجب أن يسعى المخالف إليه لا أن تهين نفسك ودينك حتى يقبل نقاشك!..

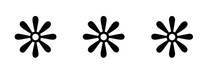
ولا تنزل لمستوى من لا يستحق النقاش ممن يسب ويسخر، فمن كان مسلما ثم وافق أن يناقش مخالف يسخر من دين الإسلام، فهذا داعية سوء.

واجعل نيتك خالصة لله وتمنى هداية محاورك، فإن لم تر منه طلبا للهداية وكنت تناقشه أمام جمع، فاسعَ لهداية من يثق به فتكسر شوكته وتثبت حجتك وتبين ضعفه أمام من يثق به للنفع العام. وإن كان لا يوجد من يقرأ وكنت تناقشه نقاش خاص - فاعتزل نقاشه فصلاة ركعتين أولى لآخرتك من نقاش أمثال هذا.

ولا تترك صلاتك لأجل نقاش، واستعن بالله دائماً.

واعلم أن ما لم تعلم جوابه فجوابه موجود, فالعيب بقلة علمك لا

بضعف حجج الدين فهي قوية لا يمكن ردها كما سنبين لكل منصف فيتبع الحق ، وغير منصف فتقام عليه الحجة أكثر بعون الله.



مبحث

الرد على شبهة
"وجود الشبهات في الدين دليل على بطلانه"

وفي مقدمة هذا المبحث نبين معنى الشبهة:

فالشبهة هي كل أمر اشتبه على الناس، فيلتبس عليهم معرفة الصواب فيه من الخطأ ، إما لقلة ظهور صوابه من خطأه أو لقلة علم المتلقي.

وكثيراً ما نرى اللا-دينيين عندما يجدون المسلم يرد على كل شبهة لهم ويبين بطلانها، فيجد اللا-ديني في نفسه أنه ترك الدين بغير علم ولا هدى، فيبرر فشله لنفسه بأن يقول: لو كان الدين حقا لكان ظاهراً ولما كان فيه شبهات، ثم يُظهرون طرحهم الساذج هذا على مسامع العقلاء ليلا نهارا، وسأنقل قولهم بحروفه ثم أجيب عليه بتفصيل إن شاء الله.

- قالوا: لو كان الدين من عند الله لكان أظهر من أن توجد فيه شبهات.

- قالوا: ووجود شبهة يدل على أن هذا الدين بشري.

= قلت: وهذه شبهتهم بحروفها وبسخافتها كذلك.

ويرد على هذه الشبهة من ألف وجه نختصرهم في عشرة أوجه:

- الوجه الأول:

= نقول لهم: دعواكم بأن وجود الشبهات في المعتقد تدل على بطلانه ،إنما هي دعوى بلا دليل والادعاء بدون دليل يرد بلا دليل، وهكذا يجب أن يرد المسلم على كل شبهة لهم طرحوها بدون دليل عليها ، فلا يصح أن ترد لمجرد الرد بل يجب أن تلزمه بأن يثبت كلامه بأدلة.

- وبيان هذا في الوجه الثاني:

= فيقال: هل قولكم أن الدين الحق لا يكون حوله شبهات عرفته بالبديهة أم بالاستدلال بمعنى أنك عرفت هذا بعد بحثك عن الدليل وإيجادك له؟

- إن قال: بالبديهة.

= قلنا: هذا كذب, ولا نرى أن كل الناس يجدون في أنفسهم علما ضروريا أن الدين الحق يمتنع أن يوجد شبهات حوله، فالشبهة قد تظهر من صاحب هوى يستغل قلة علم الناس.

وهذا معلوم بالضرورة، فالبديهة تثبت خلاف قولهم.

- وإن قالوا: علمنا هذا بالاستدلال.

= قلنا لهم: وأين دليلكم؟ ولا يوجد دليل واحد لهم على هذا بل لديهم شبهة أخرى وحيدة.

- قالوا: الله قادر على كل شيء فهو قادر على أن يرسل كتابا لا شبهات فيه.

= قلت: وهذا حجة عليك فالله قادر على كل شيء فهو كذلك قادر على أن يرسل دينا صحيحا وفيه شبهات.

وهذا يدل على أن دليلك الوحيد يرد عليك، وهو المطلوب.

- الوجه الثالث:

= يقال لهم: أنت الآن ربوبي لذا تناظرني بصحة الإسلام.

= فيقال لك" إن وجود الرب قضية توجد شبهات كثيرة حولها، ثم مع هذا فأنت لا تقول بأن وجوده مستحيل، فأنت وافقت على أن

وجوده حق ولو اشتبه على بعض الناس ذلك، ثم ترفض هذا في الدين..!

وهذا لو دل فيدل على أن اللا-ديني متناقض بل لولا تناقضه لما وجدت شبهة كهذه، فالعيب به لا بالدين.

- الوجه الرابع:

= هل المعتقد الحق يجب أن يكون خالٍ من الشبهات أو لا يجب؟

- فإن قال: لا يجب، انتفت شبهته.

- وإن قال: يجب.

= قلنا له: اللا-دينية عليها شبهات بل براهين كثيرة تثبت بطلانها، فإن كان الدين عليه شبهات واللا-دين عليه شبهات وكلاهما خطأ فأنت بهذا رفعت النقيضين فجعلت الدين خطأ لأن حوله شبهات وعدم الدين خطأ لأن حوله شبهات.

= قلتُ: وهذا يثبت صحة قول المسلم أن كل شبهة يطرحها اللا-ديني إن ألزمناه بها سيصل إلى أقوال ممتنعة عقلا كما بينتُ هنا.

* الوجه الخامس:

- يقول اللا-ديني: ما الحكمة من وجود شبهات؟

= فيقال له: الحكمة من وجودها أن تبحث عنها، فكل صاحب معتقد يحاول إثبات صحة معتقده ببيان بطلان معتقد الآخر، فيبحث المسلم عن شبهات المعتقدات الأخرى فيتيقن من بطلان كل ما خالف الإسلام، ويبحث غير المسلم في الإسلام فيتيقن من صحته، فأول ما يبحث عنه الشبهات, فإن وجد من داخل كل شبهة دليلا يثبت صحة الدين سيتبع هذا الدين، وهو المطلوب.

مثال ذلك شبهاتهم أن الصحابة تقاتلوا، وأن هناك فرقا كثيرة في الدين.

فهذه الشبهة ضدهم -كما سأفصل[1] لاحقاً إن شاء الله- فهي تثبت التواتر لاستحالة اجتماع من تقاتلوا في فهم معاني القرآن على تحريف ألفاظ القرآن، فهذا يثبت ثبوت القرآن عن قائله، مما يثبت كل معجزة فيه، ووجه تفصيل دلالة هذا لاحقاً إن شاء الله تعالى.

[1] سيأتي مبحث إثبات تواتر القرآن

ثانياً: هذا فرقان بين أهل الحق وأهل الباطل فكل شبهة لأهل الباطل يتم الرد عليها من الدين نفسه، وكل برهان ضد أهل الباطل نجد دينهم أو مذهبهم فيه هشا يستسلم عند كل إلزام، كما بينا هشاشة اللا-دينية كثيراً وهشاشة كل شبهة لهم حول وجود خالق أو حول صفاته، وبينا قوة كل شبهة وبرهان ضد اللا-دينية، وهذا من أعظم الحكم البالغة.

- الوجه السادس:

من الحكمة من وجود شبهات سعي طالب العلم للتعمق في معرفة الدين، وهذا لأنه قد يشتبه عليه مسائل في العقيدة فيبحث عن ردودها فيرى ردود الدين وقوته في رد أي شبهة فيزداد يقينه به.

*قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ﴾ [الفتح ٤].

- الوجه السابع:

من الحكمة من وجود شبهات، الحافز على تعلم العلم الشرعي، ونحن لم نقل أن كل الناس عندها شبهات كثيرة بل قلنا أن كل من يتصف بقلة العلم الشرعي قد يكون عنده شبهات كثيرة، فيكون هذا فرقانا بين الذي يتعلم الدين وبين الذين يتبعون الشهوات، ولو لم توجد شبهات لما كان هناك فرقاً بين العالم والجاهل وبين الساعي لطلب العلم الشرعي والساعي لطلب شهواته ولذاته.

*قال تعالى:

﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر ٩].

وهذا ليس بين أهل الدين الواحد فقط، بل بين المؤمن واللا-ديني، فلو كان الدين كله ظاهراً حتى في فروعه ، دون طلب العلم والسعي لمعرفة الحق، لما ظهر الفرق بين علم المؤمن وجهل اللا-ديني، فوجود هذه الشبهات تبين جهلهم وتظهر علم المؤمن بفضل الله، وهو من أعظم الفرقان بيننا وبينهم.

- الوجه الثامن:

وجود الشبهات يبين فضل أهل العلم فتبقى سيرة العالم وتذهب سيرة اتباع الشهوات، وعلم العلماء وبيانهم للعلم وردهم على الشبهات بإظهارهم للحق بتفاصيله يبقى صدقة جارية لهم ويظهر حاجة قليل العلم لأهل العلم، مما يثبت أن العلم بالدين يرفع درجة صاحبه، فإن العلم بالأديان الباطلة يرفع من شأن هذا العالم ، فما بالك بالعلم بدين الحق؟؟

وهذا بحد ذاته دال على عظمة هذا العلم، ولو كان الناس جميعاً على علم لما ظهر لنا علو قدر العالم على قليل العلم، وهذا كله يثبت الحكمة من وجود شبهات.

- الوجه التاسع:

وجود شبهات وردها يشغل طالب العلم في تعلم علوم الدين التي بها يعلم رد الشبهات بل ويعلم العقيدة الحق، فنحن لا نقول أن الصواب تعلم رد الشبهات بل الصواب تعلم العلم نفسه ، فلو وجدت شبهة بالعقيدة تعلم العقيدة نفسها وباللزوم وقتها لن تجد شبهة، فالأصل هو تعلم العلم الشرعي لا تعلم الرد على شبهة هنا وشبهة

هناك، واشتغال الإنسان بالعلم الشرعي يرفع درجته ويجعله أبعد عن الشهوات والشبهات، فالانشغال بالدين خير من الانشغال بالدنيا.

- الوجه العاشر:

لو كانت شبهتهم أنه لا يوجد حكمة من وجود شبهات فقد بينا خلاف هذا، ولو كانت شبهتهم أن الحق يمتنع وجود شبهات حوله فقد أظهرنا فساد هذا، ولو كان اعتراضهم لمجرد الهوى فهنا يقال لهم:

اعتراضك مبني على حجة عقلية؟ فالعقل أثبت أن الحكمة في خلاف شبهتك, ولو كان مبنيا على حجة حسية مشاهدة حولنا فالحس يثبت أن هناك حقائق كثيرة وحولها شبهات.

كما أن معظم الحقائق العلمية في الطب والفيزياء على سبيل المثال حولها شبهات كثيرة لقلة علم الناس بهذه العلوم، فهذا يعني أن العيب ليس في العلم نفسه بل فيمن هاجم هذا العلم بغير علم.

- وإن قال دليله على هذا "وجهة نظره"، فوجهة نظر اللا-ديني كأجراس الكنيسة، ونحن مسلمون لا نهتم لها.

ومما يجب أن يعلمه كل مسلم أن الشبهة تظهر عند قلة العلم، لذا إن كنت أنت لست عالما باللغة فأتاك شخص وقال لك القرآن به أخطاء لغوية، لن تعلم رد الشبهة، لكنك لو عرضتها على أي متخصص سيعرف ردها، وهذا نراه يومياً بفضل الله.

كذلك من ادعى غلط الدين لأنه خالف نظرية التطور، فالمعلوم من الدين بوضوح أن الإنسان تم خلقه دون تطور الداروينية، لكنه مع هذا قد يكون غير عالماً بنظرية التطور فلا يعلم بطلانها، فيشتبه عليه.

أو كاللا-ديني الذي يشكك بالدين فيقول الدين يدعي الحقيقة المطلقة، والعلم أثبت أن القطة تكون حية وميتة بنفس الوقت وهذا يثبت أن بديهيات العقل خطأ.

= قلتُ: وكنتُ قد رددتُ على هذا سابقاً[1] وبينت غلطهم فيه

[1] راجع مبحث الرد على شبهة أن فيزياء الكم تثبت اجماع النقيضين

ولكن القصد هنا أن المسلم قد يسمع الشبهة هذه فيشتبه عليه لعدم علمه بفيزياء الكم.

لذا فحتى وجود الشبهة بالدين يجعلنا نتعلم بعض العلوم النافعة الأخرى لبيان تدليس اللا-ديني حولها، فالشبهة في الدين الباطل تكون لقوة الحق الذي أظهر شبهة أهل الباطل، فوقتها تكون الشبهة سليمة صحيحة، والشبهة في الدين الحق تكون لضعف أهل الباطل وعدم تحققهم من الحق بشكل صحيح.

فالشبهة تظهر قلة العلم عند أهل الباطل وعظمة دين الحق والعالمين به.

فتأمل هذه الأوجه وانظر لسخافة شبهة اللا-ديني من كل وجه.. والحمد لله رب العالمين.

* * *

مبحث

مناظرة اليهود والنصارى في النبوات

*قال تعالى:

﴿قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران ٦٤].

وبهذه الآية نفتتح ونتعلم كيف نثبت لليهود والنصارى نبوة النبي محمد ﷺ وهذا أمر مبني على أساسيات عظيمة.

فمن عادة النصارى البدء بالشبهات بكثرة, فوجب ضبط أصل النزاع معهم وبدء المناظرة من أصل النزاع .

= فيقال لأهل الكتاب: هل عندكم نبوة؟

- سيقولون: اللهم نعم.

= فيقال لهم: وما أدلتكم على صدقها؟

- فإن قالوا: عرفنا صدقها تقليدا.

= فيقال لهم: لو كان التقليد مصححا للمعتقد لكان تقليد المسلم مصححا لمعتقده فيلزم من هذا صحة الإسلام خاصة لموافقته للفطرة

وهو المطلوب.

- فإن قالوا: علمنا صحة معتقدنا بسبب المعجزات فيه.

= قلنا: والمعجزة أنت لم ترها فكيف علمت صدق من نقلها لك؟

= رد أخر أن يقال: وهذا أدعى لإثبات صحة الإسلام.

فالقرآن مليء بذكر معجزات الرسل, بل هو في نفسه معجزة لغوية باتفاق أهل اللغة, وهذه معجزة مستمرة حتى يومنا هذا فبهذا يجب الإيمان بصحة الإسلام. وهو المطلوب.

-فإن قالوا: علمنا صدق وجود المعجزات بالتواتر وهو نقل جمع لأمر يعود إلى أمر محسوس عن جمع جرت العادة على عدم اجتماعهم على الكذب.

= قلنا لهم: وهذا أكبر وأظهر في الإسلام فالنبي ﷺ أقرب إلينا من المسيح ومتى ولوقا ومرقس ويوحنا للنصارى ومن أنبياء بني إسرائيل لليهود.

فتواتر معجزات النبي ﷺ إلينا أقرب, ونحن لا ننكر نبوات بني إسرائيل بل أنتم من آمن بالبعيد دون القريب فعليكم ببرهان يفرق بين ما آمنتم به رغم خفائه وما كفرتم به رغم ظهوره.

= ثم يقال: نحن نعلم أن تواتر الإسلام أظهر من تواتر أي معتقد آخر فمن آمن في زمن النبي ﷺ يزيدون عن مائة ألف, فيمتنع اجتماعهم على الكذب خاصة رغم تقاتلهم فقد تقاتل الصحابة -رضي الله عنهم- مع أخرين ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، فهم تقاتلوا على الزكاة ومع هذا لم ينكروا آية واحدة ولم يحرفوا حرفا واحدا في القرآن وهذا لا نجده عند أهل الكتاب.

فهذا يبين أن دليلكم الوحيد على إثبات ثبوت المعجزة عندكم ، فهو في الإسلام أظهر بكثير مما أنتم عليه, فإما أن تؤمن بالإسلام أو تكفر بما أنت عليه من اعتقاد.

أما تركك للأظهر لتتبع الأخفى فهو ظلم, وقد حرم الله تعالى الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً[1].

- فلو قالوا: اتفقنا معكم على أن النبوة تثبتها المعجزة, لكن ليست المعجزة الشرط الوحيد للنبوة بل يجب أن يوجد الصدق في هذا النبي.

= فيقال لهم: ما الدليل الذي تعرفون به صدق الرسول من كذبه؟

= قلت وهذا سؤال هام في التدرج معهم, فافهم ما يعتقدونه ثم ألزمهم به, فأهل الكتاب من أكثر الناس مخالفة لبعضهم البعض وكل منهم له معتقد غير الآخر, فألزمه بقوله ثم ناقشه على الأصل الذي ارتضاه لنفسه لعل الله يهديه.

- فإن قال؛ صدقه (أي الرسول) مبني على شهادة الناس له.

= قلنا: وهذا موجود بقوة في الإسلام وبكتاب صحيح البخاري بكتاب "بدء الوحي" ما يثبت هذا يقيناً, من نسبة الصدق للرسول

[1] جاء هذا القول بمعناه في صحيح مسلم | كِتَابٌ : الْبِرُّ وَالصِّلَةُ وَالْآدَابُ | بَابٌ : تَحْرِيمُ الظُّلْمِ.

الكريم من أبي سفيان -رضي الله عنه- رغم كفر أبا سفيان وقتها, ويدل عليه أيضا تركِ الناس أماناتهم عنده فهو الصادق الأمين, بل ولذلك تزوجته خديجة رضي الله عنها ، وتواتر اشتهاره بالصادق الأمين أعظم من تواتر كتب اليهود والنصارى أصلا، فهذا الشرط الذي قلتم عليه يثبت النبوة عندنا كذلك، فلماذا لا تسلمون؟!

*قال تعالى:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة ١٠٩].

وكنت قد ناظرت أحدهم مرة في النبوة وكان يهوديا فقال لي: النبوة لها شرطان:

الشرط الأول: التصديق بما كان قبله, فلا يخالف حقيقة الدين الحق الذي جاءت به بقية الرسل الذين سبقوه.

والشرط الثاني: أن يتنبأ به نبي قبله.

والرد على هذا من وجوه:

- الوجه الأول:

إن شرطكم الأول صواب فيجب أن يؤمن الرسول الحق بكل كتب الله وهذا موجود عندنا.

*قال تعالى:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ [البقرة ٢٨٥].

فنحن نؤمن بكل كتاب أنزله الله تعالى من قبل .

أما إن كان القصد من التصديق أنه يأتي بنفس الشريعة ولا يغير فيها شيئا فمبني على أصلين كلاهما غير متحقق:

الأصل الأول: أن الرب لا يغير شرائعه.

وهذا التغيير عند اليهود موجود, فالشريعة قبل موسى ليست هي نفسها شريعة موسى وعند النصارى كذلك, فالنصارى شريعتهم تخالف العهد القديم كثيراً.

والأصل الثاني: أن عدم جواز تغيير الشريعة من المفترض أن يكون منصوصا عليه في التوراة والإنجيل، وهذا غير حاصل.

ثم أن هذا لو حصل في كتبهم المحرفة فهذا مبني على أن التوراة والإنجيل لم يصبهم تحريف قط وأن دينه وصله كاملاً.

وهذا لا دليل عليه وإلا فليثبت أن دينه كله متواتر لم يحرف .

نعم التواتر موجود في نقل المعجزات وبعض النبوات, أما أن يقال أنه كله متواتر ، فهذا لا يمكنهم إثباته.

فيكون على الكتابي أن يثبت بنص من كتابه أن الشريعة هذه هي الخاتمة ولا يجوز أن تتغير ثم بعد ذلك يثبت عدم تحريف هذا النص بدليل التواتر.

فنحن بالإسلام عندنا الصلوات الخمس في كل يوم, نصليها من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ونقرأ في هذه الصلوات من القرآن ، من كتابنا الذي نقرأ منه الآن وندعي بأنه وحي من السماء ، والصلاة بالقرآن من الأمور التي حفظ الله بها كتابه، لقوة تواتره.

فما الدليل على حفظ الله لكتبكم كاملة إلى وقتنا هذا ؟

وعندما لا يجد ردا نعود به إلى أن تواتر القرآن أعظم من نقل العهدين القديم والجديد.

فإن صدق التواتر في أحدهما ، أي إما أن يكون التواتر ثابتا في حق العهدين فقط أو ثابتا في حق القرآن فقط، فهو صادق في القرآن لثبوت تواتره بيقين، وهذا لا يثبت بنفس اليقين في العهدين وهذا لا محيد لهم عنه يلزمهم يلزمهم.

-وأما قولهم أن كل نبي يجب أن يتنبأ به نبي قبله فهذا ينفي النبوة بالكلية لأنه يستلزم أن أول نبي يجب أن يتنبأ به نبي قبله

وهو لا نبي قبله أصلا!..

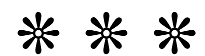
فشرطهم هذا ينفي النبوة بالكلية من حيث يدرون ولا يدرون

فهم أجحد الناس ولا يوجد أجحد للحق منهم فأنكروا في الإسلام ما آمنوا به في معتقدهم.

=ثم يقال لهم: النبوءات بالنبي محمد ﷺ موجودة في كتبكم بالفعل

ولو سلمنا جدلاً عدم وجودها فأنتم لم تثبتوا أن دينكم محفوظ على كل حال.

وبهذا نثبت النبوة معهم وهذه الطريقة فصل فيها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه "الجواب الصحيح على من بدل دين المسيح" فراجعوه.



مبحث

الحجج القطعية على إثبات تواتر القرآن

ومن أهم المباحث على الإطلاق مبحث التواتر والذي قضيته إثبات ثبوت القول عن قائله، كإثبات أن القرآن الكريم قاله النبي ﷺ حقاً أو أن هناك نبيا يسمى محمد حقا.

والتواتر هو نقل جمع عن جمع من أوله إلى منتهاه جرت العادة على عدم تواطئهم على الكذب، أو لنقل جرت العادة على عدم اجتماعهم على الكذب[1].

وقولنا من أوله إلى منتهاه نعني به من أول من نسبنا إليه المقالة إلى وقتنا هذا ، ويعود التواتر إلى أمر محسوس ، مثل أن يجتمع جمع كبير على نقل خبر يعود إلى شيء مسموع أو مرئي من جمع كبير. "مثاله" القرآن، فالقرآن منذ أن قرأه النبي ﷺ آخر مرة إلى وقتنا هذا فهو متواتر، نقله جماعة يمتنع اجتماعهم على الكذب جيلاً بعد جيل طبقة عن طبقة ، ويعود نقلهم إلى شيء محسوس ، وهو سماعهم القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم.

[1] فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ١٥/٤ ـــ "السخاوي"

وبيان تواتر القرآن من وجوه كثيرة بعون الله نبينها إن شاء الله، لكن لنفهم أن عدم الاجتماع على الكذب له ضوابط منها اختلاف أحوالهم وطبائعهم ومصالحهم، فنحن نرى مئات الآلاف الآن قد يجتمعون على الكذب في نقل مقالة، فالجمع ليس هو التواتر بل أحوال الجمع مع اختلاف مصالحهم هو الذي حدد صحة ثبوت تواتر هذا النقل.

مثاله, لو أن هناك أب متوفي وله عشرة أبناء ، وأتاني خبر من العشرة أن واحدا منهم فقط هو من يستحق أن يأخذ المال من الوالد لأن الوالد وهبه المال قبل موته، وهذا الأخ عدو لهم لا مصلحة لهم في إنصافه، ولا هو ظالم لهم قادر على إجبارهم على الكذب، فيمتنع بالضرورة أن يجتمع أمثال هؤلاء على الكذب، هذا هو التواتر، وتواتر القرآن تواتر طبقي أعلى مراتب التواتر كما سيتبين إن شاء الله تعالى.

= فيقال: قد ثبت يقينا نقل العدو قبل الموافق لنا أن جيوش المسلمين كانت كثيرة جداً حتى فتحت البلاد في زمن النبي ﷺ وبعده، وأنهم مع هذا تقاتلوا فيما بينهم بعد موت النبي ﷺ ففرقة قالت أن الزكاة

كانت مفروضة في زمن النبي ﷺ فقط، وفرقة قالت بل مفروضة دائماً، وكانوا ألوفاً كثيرة كما ثبت تاريخياً، ورغم تقاتلهم لأجل دلالة معاني ألفاظ القرآن الكريم إلا أنهم كانوا مقرين على أن هناك خمس صلوات يصلى فيهم بالقرآن.

فلو اختلفوا في الصلاة وتقاتلوا عليها لنُقل ذلك لنا كما نُقل لنا تقاتلهم على الزكاة، وإنما قلنا أنه كان يجب نقل ذلك لنا لأن ذكر الصلاة أكثر وتعلق المخاطبين بها أكثر، فكل الفروض قد تسقط إلا الصلاة، فإذا ثبت أن الناس لم يتقاتلوا في وجوب الصلاة التي نصلي فيها بالقرآن، علمنا يقينا أن القرآن الكريم محفوظ متواتر لأن الأعداء المتقاتلين على معنى آيات الزكاة اجتمعوا على الصلاة بنفس هذا القرآن.

وممتنع اجتماع أمثالهم على الكذب, لأن من تقاتل على معنى آية كقتال الصحابة لمن منع الزكاة ، فالصحابة أنفسهم قاتلوا أهل الردة لتحريفهم لبعض معاني الآيات فقط،

فأمثال هؤلاء أي الصحابة لن يقبلوا بتحريف ألفاظ الآيات بالزيادة بالنقصان من باب أولى، وهو المطلوب.

* الوجه الثاني:

= أن يقال: هؤلاء الصحابة أنفسهم -رضوان الله عليهم- تقاتلوا بسبب دلالة بعض الآيات، فقاتل معاوية -رضي الله عنه- بمن معه مستدلا بقوله تعالى:

﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّى ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا﴾ [الإسراء ٣٣] .

فمعاوية -رضي الله عنه- استدل بهذا على أن له سلطانا في القصاص لدم عثمان -رضي الله عنه- لأن معاوية هو ولي دمه، رضوان الله عليهم .

وعلي -كرم الله وجهه- إنما خاف أن يقتل من قتل عثمان مباشرة لعدم ظهور أدلة ظاهرة لقبائل القاتلين أنهم هم من قتلوا عثمان بالفعل ، وكانت الأمة في حالة عدم انتظام السياسة وقتها ، ولكي لا

تنفر القبائل ضده، حتى لا تكون فتنة، ولأن أغلبهم كانوا بالمدينة وعثمان رفض قتالهم بالمدينة حتى قتلوه فلم يحب علي أن يخالف ما كان عليه عثمان -رضي الله عنه- في كراهة أن يكون أول قتال بين المسلمين بمدينة رسول الله.

وبغض النظر عن تفاصيل الواقعة فالثابت أن الصحابة تقاتلوا بسبب دلالة آية أو أكثر، وهم مع ذلك مؤمنون لم يكفر صحابي الآخر.

ويجوز أن يتقاتل المؤمنون كما قال تعالى :

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ﴾ [الحجرات ٩].

والصحابة خلاف الفرق الأخرى المبتدعة, فالصحابة عقيدتهم واحدة ولو اختلفوا في مسائل فقهية فهم مع ذلك مؤمنون لم يكفروا أو يبدعوا بعضهم واللذين اختلفوا منهم في معنى آية وتقاتلوا على أثرها يمتنع أن يجتمعوا على الكذب في نقل آية زورا وبهتاناً على الله, فثبت عدم تواطئهم على الكذب، وهو المطلوب.

* وبيان هذا بالوجه الثالث:

- فالمخالف يقول: التاريخ يكتبه المنتصر دائماً .

لكن هذا حجة عليه فأقوال المخالفين لنا بل والفرق المخالفة لنا موجودة أيضا منذ زمن الصحابة إلى وقتنا هذا.

فالخوارج متواجدون من وقتها إلى الآن، بل وفي زمن الصحابة إلى القرن الثالث الهجري كان لهم أثر قوي.

حتى ظهرت فرق أخرى ترد عليهم في القرون الثلاثة الأولى وبعد ذلك كذلك، فالخوارج كفروا الصحابة وقتلوا عثمان وعليا وغيرهم واحتجوا بقوله تعالى:

﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤].فقالوا : لا حكم إلا لله.

قال علي -رضي الله عنه- عن قولهم بعد الاحتجاج بهذه الآية عندما احتج بها الخوارج، قال: "كلمة حق أريد بها باطل".[1]

[1] رواه مسلم في صحيح مسلم | كِتَابٌ : الزَّكَاةُ. | بَابٌ : التَّحْرِيضُ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ حديث رقم ١٠٦٦.

وهؤلاء رغم تكفيرهم للصحابة وتبديع الصحابة لهم، حتى قيل أن الخوارج قتلاهم في النار وأنهم كلاب أهل النار[١]، فمع هذا فإنهم والصحابة اختلفوا في دلالة نصوص قليلة جدا، وكلهم أجمعوا على أن ألفاظ القرآن لم تحرف، فمن قاتل وكفر الآخر بسبب معنى آية، يمتنع أن يقبل تحريف لفظ آية من آيات القرآن، لأن اللفظ يدل على المعنى فالذين تقاتلوا لاختلافهم في معنى آية لن يجتمعوا على تحريف لفظ ومعنى آية دون أن يعارض هذا معارض منهم!، بل لاستغلت كل فرقة تحريف القرآن من خصمهم لكي يجدوا حجة قوية في تكفير الفرقة الأخرى.

- فإن قالوا: هذا حدث بالفعل لكنه لم ينقل لنا.

= قلنا: يمتنع أن يُنقل لنا تقاتلهم على معنى آية ولا ينقل لنا تقاتلهم في تحريف لفظ ومعنى آية، فقد نختلف في معنى قوله تعالى: ﴿ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾، ومع هذا نتفق جميعاً على أن هذا اللفظ ثابت ومن أنكر

[١] ذكر الرواية ابن ماجه في سنن ابن ماجه | الْمُقَدِّمَةُ | بَابٌ : فِي ذِكْرِ الْخَوَارِجِ. حديث رقم ١٧٦.

ثبوته كافر، ولولا ثبوت هذا اللفظ لما وجد معنى نختلف حوله، فيمتنع نقل خلافهم وتقاتلهم في معاني القرآن، وعدم نقل خلافهم في ألفاظه، وهذا من باب قياس الأولى كما شرحته بموضعه.

- الوجه الرابع:

أن الشيعة قد ظهروا في زمن الصحابة وغلوا في علي -رضي الله عنه- ثم ظهرت فرقة خالفت الخوارج تسمى "المرجئة"، وقالوا: "من لم يحكم بما أنزل الله وهو مؤمن بقلبه ناطق بلسانه بالإيمان فهو مؤمن كإيمان جبريل وميكائيل عليهما السلام."

وكل هؤلاء احتجوا بمعاني بعض النصوص، ولم تتهم فرقة الأخرى بالتحريف في ألفاظ القرآن بل بتحريف معناه فقط، فكما نُقل لنا خلافهم في بعض معاني القرآن، نُقل لنا اتفاقهم على ألفاظ القرآن، وكما امتنع اجتماعهم على الكذب في نقل اختلافهم وتكفير وتبديع كل فرقة للأخرى، فنحن نعلم علما ضروريا أن الصحابة تقاتلوا حتى أن الملحد يعتبر أن هذه شبهة**!** فهو يقر بوقوع هذا ،

ونعلم علما ضروريا من النقل بأن المرجئة يبدعون الخوارج والخوارج يكفرون الصحابة وبالطبع المرجئة، فكذلك يمتنع اجتماعهم على الكذب في أنهم لم يختلفوا في حفظ ألفاظ القرآن رغم عداء كل فرقة للأخرى، بل قد جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه نفس هذا القرآن ، والشيعة مع تكفيرهم لعثمان فلم يشككوا في هذا القرآن الذي جمعه عثمان ، وهذا لتواتر القرآن ، فلم يمكنهم تكفيرهم لعثمان من التشكيك في ثبوت هذا القرآن ، فثبت التواتر لامتناع اجتماع أمثالهم على الكذب، خاصة وفرقة مثل الخوارج تعتبر الكذب على رسول الله ﷺ من الكبائر، وهم يكفرون أصحاب الكبائر فما بالنا بالكذب على الله!..

و ظهر بعد ذلك فرق كـ"الجهمية" أوّلوا آيات الصفات، وظهرت "الكراميّة" وظهرت فرق المشبّهة من "الشّيعة" كل هؤلاء مع وجود أهل السنة، ولم يتهم فريق الآخر بتحريف نصا واحداً، فكان الجهمية ينفون علو الله على خلقه ويثبتون الألفاظ فقط.

والكراميّة يقولون أن الله جسم، وأتت بعدهم فرق ضالة كثيرة

كالأشاعرة والماتريدية، وكل منهم له مقالات تخالف صريح القرآن، وكثرت الفرق وكل منهم يحرف دلالة آية حتى توافق بدعته، ولم يتجرأ فريق واحد على أن يضيف لفظ آية على هذا القرآن لتوافق بدعته، بل تواتر في الكتب الكثيرة للفرق المختلفة، وكل فرقة ترد على الأخرى بنفس هذا القرآن بلا زيادة لفظ ولا نقصان.

ورغم أننا نقول بظهور حجج أهل السنة على كل الفرق المبتدعة, ولكن القصد هنا بيان أن كثرة الفرق المبتدعة دالة على امتناع اجتماعهم على الكذب مع أهل السنة في نقل هذا القرآن.

وهذا يثبت تواتر القرآن.

= ثم يقال: قد ثبت تاريخيا أن الدولة العباسية كان كثير من أُمرائها معتزلة وكانوا يعذبون أهل السنة، ولم يتهم فريق منهم أهل السنة بتحريف آية، ولا العكس أيضا، بل ثبت أن أحد هؤلاء المبتدعة قال: وددتُ أن أغير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١].

وهذا لأن الجهمية ينفون معنى السمع والبصر، ومع هذا لم يتم تحريف الآية لا هي ولا غيرها فمقولة "التاريخ يكتبه المنتصر" خاطئة لأن التاريخ نقل لنا كتب كل هذه الفرق وكل منهم يكفرون أو يبدعون المخالف لهم في العقائد.

- وهناك حجة أخرى في هذا بالوجه الخامس:

فهذه الفرق كلها أجمعت على وجوب الصلاة، واختلفوا في حكم تاركها، فقال عامة أهل السنة أن تاركها بالكلية كافر، وقال بعض أهل السنة أن تارك صلاة واحدة بلا عذر بعد أن يدعى من الإمام كافر، وقالت فرقة كالمرجئة أن تاركها إن كان قلبه مطمئنا بالإيمان ونطق بلسانه فهو مؤمن حتى لو لم يصم أو يصل مرة واحدة في عمره ولو عاش تسعين سنة، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن إيمانه صحيح ولكنه ناقص الإيمان وعدم الصلاة ينقص من كمال الإيمان والصلاة من كمال الإيمان.

وهذه كلها أقوال اختلفوا وبدعوا بعضهم بعضا عليها، وكل منهم يحتج بنصوص أظهرها وأعلاها بالحق هي حجج أهل السنة

بالنصوص فهي نور وسط ظلمات بعضها فوق بعض، ومع هذا فقد أجمعوا على أن الصلوات لا تصح إلا بهذا القرآن ومن ادعى الصلاة بغير هذا القرآن فهو كافر عندهم جميعاً.

فكانت كل فرقة تكفر أو تبدع الأخرى ومع هذا يصلون بنفس هذا القرآن، فهذه الفرق موجودة إلى وقتنا هذا وتناقلوا قرآنهم جيلا عن جيل ولا يوجد اختلاف قط.

وهذا ظاهر في تواتر هذا القرآن لامتناع اجتماع هؤلاء على الكذب وهم ملايين ومختلفة مصالحهم، وهذا ليتضح لك الأمر بالأمثلة:

*المثال الأول:

قد كثر احتلال النصارى للمسلمين ومع هذا لم يتغير القرآن بين الدولة المحتلة والدولة الإسلامية غير المحتلة، فثبت أن المنتصر لا يستطيع تحريف القرآن لتعلق وتمسك المسلمين به.

*المثال الثاني:

نحن نعيش في زمن يتقاتل المسلمون فيه لأجل المال ولا يصلون إلا قلة منهم تصلي وتزكي وتتبع الهدى، ومع قلة اهتمامهم بالدين

وقلة تمسكهم به، يبقى هذا القرآن محفوظا يقرأ به المتدين والمنحرف والفرق المختلفة، فما بالك بزمن الصحابة رضوان الله عليهم وما

بعد زمنهم فقد كانوا يوالون لله ويعادون لله ويقاتلون لله ويختلفون لله، فلو امتنع تحريف القرآن في زمننا هذا لامتنع تحريف القرآن في زمنهم من باب أولى، وهو المطلوب.

-فإن قالوا: القرآن لم يكن منقطا في زمن النبي ﷺ ولا يوجد عندنا نسخة واحدة مكتوبة مخطوطة من زمن النبي ﷺ.

= قلنا: هذا حجة عليكم لأن القرآن في البداية كان المسلمون يحفظونه عن طريق السماع ، والكتاب الذي يحفظه أهله بالسماع وهم مئات الألوف، يمتنع عليهم أن يقبلوا تحريفه لقوة تمسكهم به وبحفظه.

*قال تعالى:

﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت ٤٩] .

وقد تواتر عن العرب نقلهم لأشعارهم بالحفظ الشفهي، فمن باب أولى يحفظون القرآن الذي آمنوا أنه من عند الله تعالى، وعندما اختلط العرب بالعجم الذين يصعب عليهم الحفظ السمعي جمعت المصاحف في مصحف واحد كما جرى مع عثمان رضي الله عنه، مع أنه جمع نفس القرآن الذي كان متداولا متواترا في الناس ، ولذلك لم يشكك في مصحف عثمان مشكك ، وهذا لعلم الكل بصحة ما فيه ، مثل لو خرج علينا قائل الآن وقال بأن هناك دولة اسمها الهند! فنحن نعلم صدق قوله بالضرورة لتواتر ما قال.

نعم كانت الآيات مكتوبة في زمن النبي ﷺ لكن الاهتمام بها مكتوبة كان أقل بكثير من الحفظ عن طريق السماع، والقصد أن هؤلاء من جهلهم لم يعلموا عظمة هذا، فالمخطوطة لا نعرف من كتبها فضلا عن أن نعرف صدقه من كذبه، أما النقل الشفهي يجعلك تعرف من القائل، سيرته وأدبه وعلمه، كما هو حاصل مع رواة الأحاديث كمثال.

والإجازات موجودة دائماً وتعود الإجازات كلها إلى النبي ﷺ إلى

جبريل إلى رب العزة جل وعلا، وهي بالملايين وهي تثبت حفظ القرآن الكريم، وقضية القراءات لها مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

ومن المعلوم بالضرورة اهتمام الناس باختلافات الصحابة في كثير من المسائل الفقهية ، واختلاف من بعدهم كذلك ، فإن وجد خلافا في ألفاظ القرآن لنقل لنا من باب أولى!

خاصة وتعلق الناس به ضروري.

ثم أن الصلاة التي يصليها الكبير والصغير والرجال والنساء ، تصلى بهذا القرآن ، فلا يمكن تحريفه مع ذلك ، ثم أن الناس اختلفوا في ثبوت أن البسملة في سورة الفاتحة من القرآن ، نعم قد أجمع الناس على أنه قد ثبت ثبوت البسملة في القرآن الكريم، لكن اختلفوا في ثبوتها في سورة الفاتحة تحديدا ، فلو وجد اختلاف في آيات أخرى لنقل لنا بالضرورة!

= ثم يقال: نحن نعلم بالضرورة أن هذا القرآن الذي نتلوه هو نفس

القرآن المتلو قبل مائة سنة ، وهو نفس القرآن الذي يصلى به وقتها، فهذا يعلمه الكل علما ضرورياً ، وهذا لامتناع اجتماع الناس من مائة سنة على الكذب في نقلهم للقرآن ، وهذا رغم قلة تدين الناس في أخر قرن وقلة تمسكهم بالدين ، فكيف يظن التحريف من الصدر الأول من الصحابة وغيرهم رغم ما تواتر من شدة تمسكهم بالوحي!

وبهذه الأوجه وغيرها يتم إثبات ثبوت القرآن عن من بلغه لنا وهو النبي ﷺ ودلالة هذا على صحة النبوة وعلى أن النبي ﷺ صادق دلالة عظيمة أبينها بأبواب مستقلة.

* * *

مبحث

شروط النبوة والتفرقة
بين النبي والولي والساحر

ومدعي النبوة رجل من رجلين, إما أن يكون أصدق الناس أو أكذب الناس.

أما الأول: فلأنه لو كان صادقا فقد اجتباه الله لهذا وهو موكل بنقل خبر الله مهما كان ويمتنع عليه أن لا ينقله كما أمره الله.

وهذا معلوم بالفطرة والضرورة فالله عز وجل لن يختار رجلا لرسالته إلا وهو أصدق الصادقين.

أما أنه قد يكون أكذب الناس فلأنه لو كان كاذباً على المخلوق فهو كاذب فما بالك أنه كذب على كل الخلق وهذا أمر عظيم, فما بالك أنه كذب في نقله عن الله وقال يوحى إلي وهو كاذب في هذا؟

فالمدعي للنبوة الكاذب قد كذب على الله وعلى الرسل من قبله في قوله أنهم من مثله في نبوته، حيث ادعى أشرف الرتب بين الخلق وهو أدنى من يستحق هذه الرتبة.

وكيفية معرفة صدقه تكون أولا بمعرفة حاله وشهادة أهل عصره له ممن شاهدوه أو وصلهم خبره بيقين وشهادة أعدائه حجة له.

ثانياً: أن يكون كلامه غير متناقض، أو الرسالة التي بلغها لا يوجد فيها تناقض، لذا قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢].

- فإن قيل: قد تجد كتبا في الفيزياء أو غيرها وهي خالية من التناقض.

= قلنا: الله تكلم عن لو كان نبي يفتري على الله لوجدوا فيما افترى عليه اختلافاً كثيراً، وهذا صواب ولا يوجد كتاب ينسبه صاحبه إلى الله زورا إلا وهو متناقض في نفسه ظاهر التناقض، وهذا لأن الله من حكمته أنه إذا ادعى أحد النبوة بين كذبه للناس وهذا من مقتضى حكمته التي أثبتناها سابقاً[١].

وهذا لأن الله لا يلبس على خلقه فمن الممتنع أن لا يعطي لهم أي سبيل لبيان ومعرفة النبي الكاذب، فهذا ننزه المخلوق عنه فما بالنا بالله؟

[١] راجع مبحث إثبات صفة الحكمة لله

وبالمجمل فإن التفرقة بين أكذب الناس مطلقاً وبين أصدق الناس مطلقاً، من المسائل الظاهرة عند العقلاء.

ومن شروط النبوة ادعاء النبوة بعد معرفة النبي أنه مرسل من الله، فقد توجد معجزات خارقة للعادة لرجال صادقين وهم مع هذا أولياء لا أنبياء، لأن الولي لا يدعي النبوة والنبي يدعيها وخرق العادة، مثل عدم إحراق النار له أو مثل المشي على الماء، هذا كله جائز في حق النبي والولي والساحر، لكن الساحر فاسق .

*قال تعالى:

﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ۝﴾ [الشعراء ٢٢١-٢٢٣].

لذا فالسحرة قليلا ما يأمرون بمعروف وينهون عن منكر وأكثرهم كاذبون مهما فعلوا أشياء خارقة للعادة، فهم (أي السحرة) يخيلون للناس أشياء لا يستطيع الإنسان العادي فعلها.

*قال تعالى:

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ۝ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ۝﴾ [طه ٦٥-٦٦].

وهم مع هذا من أكذب الناس, يعلم الناس أنهم ليسوا بأنبياء سواء ادعوا النبوة أم لا، بل لو ادعوها لعلمنا بالضرورة كذبهم

لأنهم يأمرون بالمنكر والفحشاء ومشهورون بالكذب، أما النبي الصادق فقد تكون له دلائل نبوة لا تكون إلا للأنبياء كخاتم النبوة وغيره وهو دليل موجود وصحيح، وقبل أن يدعي النبوة.

وخرق العادة للصالحين هو دليل على النبوة مطلقاً كذلك

لكنه يدل على نبوة الرجل نفسه أو نبوة النبي الذي يتبعه هذا الرجل الصالح، فلو أن النبي خرق الله له العادة كانشقاق القمر لنبينا الكريم ﷺ، فهو نبي مرسل من الله وخرق العادة دليل على تأييد الله له عليه الصلاة والسلام.

ولو كان خرق العادة للولي وهو الرجل الصالح الذي يتبع النبي ﷺ أو الصالحين قبل النبي حينما كانوا يتبعون عيسى عليه السلام وهكذا، فخرق العادة له، دليل على النبوة كذلك، لأن الله خرق العادة للرجل الصالح لاتباعه للنبي ﷺ, كالرجل الذي يقسمه الدجال كما بالرواية المشهورة ثم يقول للدجال أنت أكذب الخلق ثم أن هذا الرجل يبطل الله بدعائه سحر الدجال[١]، فهذا الرجل ليس نبياً.

وكذلك تكليم الشجرة للناس في آخر حرب للمسلمين ضد اليهود في آخر الزمان عندما يتكلم الحجر فيقول للمسلم أن هنا يهودي تعال فاقتله[٢]، وهذا كله خرق للعادة لكنه يثبت نبوة النبي ﷺ لأن الله ما خرق لهؤلاء عادة الناس إلا لاتباعهم للنبي الكريم ﷺ.

= قلتُ: وهذا فرقان عظيم وهذه مباحث من أعظم ما أظهر الله لعباده.

[١] صحيح مسلم | كِتَابٌ: الْفِتَنُ، وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ | بَابٌ: فِي صِفَةِ الدَّجَّالِ، حديث رقم٢٩٣٨.

[٢] أخرجه البخاري بمعناه في صحيح البخاري | كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ | بَابُ قِتَالِ الْيَهُودِ حديث رقم ٢٩٢٦.

= ثم يقال: إن خرق العادة منه ما يصح أن يكون لمدعي النبوة وللولي وللساحر، ونعلم أن الصالح صادق كالنبي والولي، وخرق العادة له تأييد لصدقه فإن من ادعى النبوة فخرق العادة له دليل على نبوته، وإن لم يدّعِ النبوة وكان متبعا للرسول فالمعجزة له دالة على صدق من يتبعه وصدق اتباعه، وأما المبتدع الذي يدعي التدين ثم يخالف الدين ببدع كثيرة ككثير من المتصوفة وغيرهم من اليهود والنصارى فهؤلاء خرق العادة لهم من جنس تضليل الشياطين.

دعواه متناقضة في نفسها فالابتداع في الدين تحريف لأصل الدين وهو فسق ظاهر، والفاسق خرق العادة له يدل على كثرة الشياطين حوله وللشياطين من جنس خرق العادات التي أعطاها الله لهم ليضل بهم من يستحق الضلالة من عباده.

وهذا ليس من باب التلبيس على الخلق فالناس تعلم بالضرورة أن الفاسق لو خرقت له العادة يبقى فاسقا كخرق العادة للدجال وهو كافر .

فمجرد خرق العادة لبعض المشايخ لا يدل على صلاحهم بل صلاحهم هو الذي نعرف به هل خرق العادة لهم لشدة اتباعهم للنبي ﷺ أم لقوة ابتداعهم في الدين، حتى أظهر الله بدعتهم للناس وأظهر لهم الخرق للعادة كذلك.

فيعلم الناس أن خرق العادة يكون للمبطل كذلك، والله يظهر عدم اتباعه للسنة ليعلم الناس أن خرقه للعادة للمبتدع لا يدل على صدقه، والنبي ﷺ بين ضلال من ابتدع في الدين، فلو حدث له خرق للعادة لا يغير من حقيقة قول الرسول وإلا للزم أن معجزة الرسول دالة على صدقه وكذبه معا, صدقه من حيث أنها معجزة أيده الله بها,

وكذبه حيث أنه أثبت ضلال المبتدع رغم أنه غير ضال.

وهذا كله باطل كما بيَّنا، لأن خرق العادة لا يستلزم بالضرورة عدم ضلال الذي خرقت له العادة.

لذا لو أتانا رجل يمشي على الماء ويقول أنا مسلم وصلاة المغرب خمس ركعات، فهو أكذب الناس وخرق العادة له ليفتتن به الفساق مثله لا غير .

وممن تخرق لهم العادة، السحرة والكهان، وكذب هؤلاء ظاهر يأمرون بالمنكر والفحشاء.

*قال تعالى:

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف ٢٨].

فالله لا يأمر بالفحشاء, وكذب السحرة وفحشهم يثبت عدم صحة قولهم حتى لو ادعوا النبوة أو خرقت لهم ألف عادة، وقد يحدث خرق العادة للكافر كمدعي الألوهية كالدجال، وخرق العادة له هو دليل على صحة النبوة أصلا، فالنبي ﷺ تنبأ به، لذا فالرجل الصالح وقتها يقول أنه ازداد يقينه لأن النبي تنبأ به.

وهناك خرق للعادة لا يكون إلا للأنبياء ويمتنع أن يوجد للساحر وللرجل الصالح وللمدعي للنبوة بالكذب، كالقرآن فالنبي ﷺ تحدى به، والقرآن معجز سواء تحدى به النبي الكفار أو لم يفعل.

وقد قال بعض الناس: أن النبوة لا تصح إلا بالتحدي بالمعجزة والتحدي بها من أعظم الأدلة على صدقها.

= قلتُ: وهذا صواب من جهة وباطل من جهة.

صواب من جهة أن التحدي بالمعجزة دليل قوي على صدق النبوة، وهذا لأن من حكمة الله أن لا يعطي للكاذب معجزة ولا يظهر كذبه ولا يمكّن أحدا من خلقه على الإتيان بمثل هذه المعجزة، ولكن مع هذا فالقرآن معجز وهو دال على صدق النبي ﷺ من قبل أن يتحدى به.

وهناك من جهل هذا ككثير من أهل الكلام، وادعوا أن الله تحدى الكافرين أن يأتوا بمثله ليثبت صحته، وهذا خاطئ، بل تحداهم الله بأن يأتوا بمثله لأن هؤلاء الكفار ادعوا أنهم قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فتحداهم الله ليثبت كذبهم لأنفسهم ولمن يتبعهم في تكذيبهم للرسول، وأما دلالة إعجاز القرآن على صدق النبي ﷺ فكانت قبل التحدي .

والقرآن معجز لغوياً لفطاحل اللغة, ومن بيان هذا الأصل الذي نتكلم فيه، معجزة موسى عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝﴾ [طه ٦٩-٧٠].

فعلم السحرة أن ما فعل موسى عليه السلام خارج عن مقدورهم ولا يؤيد الله به إلا نبيا، فسجدوا وآمنوا، وكذلك الآيات التي نزلت على موسى كانت خارج مقدور السحرة، وقد علم فرعون هذا عندما أنزل الله التسع آيات لموسى عليه السلام، لذا قال موسى لفرعون كما ذكر الله تعالى:

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورٗا﴾ [الإسراء ١٠٢]..

فمعجزات الرسل الدالة على صدق نبوتهم بالضرورة هي خرق لعادة الناس من غير الرسل ولا تكون إلا لهم، كانشقاق القمر,

فنحن لا نتصور أن يؤيد الله الولي الصالح به، فهذه معجزة لا تكون إلا لنبي.

لكن يجوز أن يتقبل الله دعاء الرجل الصالح في أن ينصره على أكبر المتجبرين، كدعاء أحمد بن حنبل -رضي الله عنه- على المأمون أن لو كنتُ على حق فلا تجعلني أرى هذا الفاسق ولا تمكنه مني، يقصد المأمون.

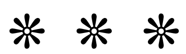
وأتاه خبر موته على الحال، ولو كانت الرواية فيها ضعف وقد نقلتها بالمعنى، ولكن القصد هنا أن هذا يجوز للولي.

والله يخرق بعض العادات لينصر الحق على الباطل للنبي أو للولي.

وأما انشقاق القمر فيمتنع أن يحدث إلا أن يكون تأييدا للنبي في دعواه للنبوة فلا يكون لغير نبي، ومعرفة المعجزة الدالة على صدق النبوة لمدعي النبوة، إما أن تكون برؤية المعجزة لهذا النبي، كمن رأوا مثل هذه المعجزات، أو أن يكون عن طريق الخبر الصادق كنقل جمع يمتنع اجتماعهم على الكذب لاختلاف أحوالهم كما بينتُ في حديثي عن التواتر.

وهذا مهم حتى تفرق بين النبي والولي والسحرة الكهان.

والله يفتح بيننا وبين القوم الظالمين.



مبحث

كيفية التفرقة بين
(النبي الصادق ومدعي النبوة الكاذب أو المجنون)

*قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ ٤٦].

والنبي الصادق هو من اشتهر بالصدق قبل نبوته وبعدها، ولا يتهمه قومه بالكذب إلا في نقله عن الله حصرا.

وأما الكاذب فيعلم الناس كذبه قبل ادعائه النبوة وبعدها، والصادق دعواه تكون صادقة في ظاهرها ولا يظهر أنه ادعى النبوة لأهداف شخصية فقط، كمن يأمر قومه بالصلاة ويرفع التكليف عن نفسه.

أما النبي الصادق فهو أكثرهم طاعة لله ظاهرا وباطنا، وباطنه يُعلم من ظاهره .

كما قال تعالى عن النبي ﷺ:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ [المزمل ٢٠] .

فهو كلف نفسه ما كلفه لغيره بل وأكثر.

ومدعي النبوة الكاذب لا يؤيده الله بالمعجزة إلا لو أظهر كذبه فهذا من مقتضى حكمة الله، وهذا بين ظاهر، وبيانه من وجوه:

* الوجه الأول:

*قال تعالى:

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝﴾ [القمر ١-٢].

فلو كانت هذه المعجزة وهي انشقاق القمر حدثت حقا والكفار رأوها وقالوا عنها أنها سحر، فيمتنع تأييد الله لمدعي النبوة الكاذب بمثل هذه المعجزة، ولو كان كاذبا لكان كذب هذا أظهر للناس من الشمس والقمر، فهو بينهم ويدعي أن الكفار من حوله رأوا معجزة وقالوا عنها أنها سحر، فكذبه أظهر من أن يدلل عليه عندهم، وهذا

يستلزم بالضرورة ترك أتباعه له، فلما تواتر تمسكهم به وبمعتقده علمنا بالضرورة عدم كذبه لعدم تركهم له، وهو المطلوب.

ويمتنع أن يقال أن النبي ﷺ لم يقل هذه الآية، فقد أثبتنا يقينا قول النبي للقرآن كله بمبحث التواتر فراجعوه.

- فإن قيل: سلمنا لك أن النبي -ﷺ- قاله، لكن ما الدليل أن أصحابه لو علموا كذبه لتركوه؟

= قلنا: هذا نعرفه من حالهم فكما بينا أن أصحابه قاتلوا أهل الردة بسبب آيات قليلة، وقاتلوا الخوارج لنفس السبب، وتقاتلوا فيما بينهم وكل منهم يحتج بنص, فعلمنا بالضرورة أن تمسكهم بالقرآن قوي وتمسكهم به مبني على أنهم جميعا مصدقون لكل ما فيه، وهو المطلوب.

* وبيانه بالوجه الثاني:

نحن نعلم بالضرورة أن العهد القديم لم يحرف بعد زمن المسيح عليه السلام لتواتر اليهود والنصارى على نقله وتقاتلهم واحتجاج

كل منهم بالعهد القديم يدل على عدم تحريفه بعد زمن المسيح، نعم يمكن تحريفه قبل زمن المسيح، والمسيح عليه السلام أتى بشريعة جديدة، وظن النصارى بعد المسيح أن العهد القديم لم يحرف، وهذا لا حجة فيه لأن المسيح عندنا لم يأت بالتوراة الصحيحة بعد تحريفها، بل أتى بشريعة جديدة بالكلية، كما أن محمدا ﷺ لم يأت بالإنجيل الصحيح بعد تحريفه بل أتى بكتاب جديد.

لكن بعد زمن المسيح بمدة وعندما استقر اليهود والنصارى على عهد قديم واحد، امتنع من وقتها تحريفه لتمسك كل منهم بنصوص هذا العهد وقتال بعضهم لبعض بناء على هذه النصوص.

وكذا بالإسلام وتمسك الصحابة به دال على ما قلناه من أنهم يمتنع أن يروا كذبا ظاهرا من النبي ﷺ ولا يتركونه.

- ومثال هذا بالوجه الثالث:

فلو اجتمع اثنان على تحريف نص ونسبته لله عز وجل امتنع تقاتلهم بناء على هذا النص، لعلم كل منهم بكذب الآخر فما بالك بأن الصحابة كانوا ألوفا؟

بل ومن قاتل الصحابة من أهل الردة والخوارج زادوا عليهم, فثبت أنهم يمتنع عليهم أن يقبلوا بالكذب مطلقاً، خاصة وأن الصحابة عند تقاتلهم لم يتهم أحدهم الآخر بالكذب في نقل الحديث عن النبي ﷺ

فعَنِ ابن سيرين، قَالَ : " لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ ، قَالُوا : سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ[1]"

فتبين لنا بأن الصدق في الصحابة كان من المعلوم بالضرورة في أخلاقهم ، فكيف يجتمع أمثال هؤلاء على الكذب! ، بل كيف يتبع هؤلاء رجل هو أكذب الناس ثم يتواتر عنهم القول بأنه أصدق الناس!، فإن هذا لا يقول به عاقل.

وبعض الصحابة تقاتلوا، ولو كان الآخر ينقل حديثا يخالف هواه فلم يكذب ذاك الصحابي المعادي له ، لعلم كل منهم بصدق الصحابة ولو في الحرب فيما بينهم، فما بالك بألوف الصحابة مجتمعين؟

- وزيادة بيان هذا بالوجه الرابع:

[1] أخرجه مسلم في مقدمة صحيح مسلم.

ففي حرب المرتدين أبطل المرتدون حكم الزكاة رغم إيمانهم بالآيات، وقالوا أن هذه الآيات موجودة لكن حكمها انتهى، فشككوا في فهم الصحابة للنصوص لأن الصحابة أوجبوا الزكاة كما هو معلوم، ولم يفهم الصحابة من النصوص إلا هذا، وقول الصحابة صحيح.

ولكن أهل الردة وقتها لم يشككوا في تصديق الصحابة للقرآن رغم أنهم عاصروهم، فثبت أن حال الصحابة حال تصديق لا حال تكذيب، بل أن النبي قبل أن يخبر الناس بنبوته كما قال لكل من يعاصره ويعيش معه من قريش بعد أن جمعهم: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟ " قَالُوا : نَعَمْ؛ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا[1]، وبالجملة فتواتر تصديق الناس بالرسول الكريم وتواتر اشتهاره بالصدق قبل وبعد البعثة ، من المسائل المعلومة بالضرورة عند من تدبر أحوال الصحابة بل وأحوال العرب حينها، مما يثبت لنا بالضرورة أن النبي ﷺ عندما

[1] أخرجه البخاري في صحيح البخاري | كِتَابُ التَّفْسِيرِ. | سُورَةُ الشُّعَرَاءِ. | بَابٌ : قَوْلُهُ : وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ : أَلِنْ جَانِبَكَ حديث رقم ٤٧٧٠.

قال بانشقاق القمر، كان صادقاً ولولا صدقه لما صدقه أصحابه ولبادروا إلى تركه جميعاً، فثبت بذلك أن النبي ﷺ كان صادقاً وإلا لتركه الناس، وهذا دال على صدق نبوته بشكل قاطع بفضل الله تعالى.

- أما قولهم: أن النبي ﷺ كان مريضا وكان يخيل له فهذا مردود.

*قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب ٩].

= قلت: ولو كان النبي ﷺ يخيل له أن هناك ريح نصرت المسلمين على الأحزاب بعدما ذكر الله حال المسلمين وقتها.

*قال تعالى:

﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ۝﴾ [الأحزاب ١٠-١٢].

فنصرهم الله بهذه الريح، فلو كان النبي ﷺ يخيل له ولم تحدث له حقا هذه المعجزة، لتركه الناس.

ويجوز توهم رجل ما أنه نبي وهو غير نبي ويتبعه الجهال، لكن هذا يمتنع لو قال لهم حدثت معجزة بالفعل كانشقاق القمر ونصرهم بالريح على أهل الضلال، يمتنع وقتها أن يصدقوه مطلقا، بل سيكون عندهم يقين إما بكذبه أو بتوهمه وبالحالتين لن يتبعوه إلا لو كانوا أهل كذب، وقد بينا امتناع اجتماع الصحابة على الكذب.

فثبت أن النبي ﷺ لا يدعي النبوة لمرض أو لكذب، بل هو صادق يقيناً، وهو المطلوب.

ومن هذا نعلم أن مدعي النبوة لو قال أنه نبي ثم لم يأته الله بمعجزة قط جاز أن يكون مخيلا له بالفعل .

ونعلم أن الكاذب يكذب قبل دعواه النبوة وبعدها، ويظهر الله كذبه

للناس لحكمته سبحانه بعدم ترك الكاذب على الله في دعواه النبوة دون أن يبين كذبه، كما بين كذب مسيلمة وغيره.

والحمد لله على نعمة الدين فحجته بالغة ودلالته دامغة.

﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام ٣٣].

❋ ❋ ❋

مبحث

منهجية المناظرة
في إثبات صحة الرسالة الإسلامية

ومما تبين سابقاً أن صحة الرسالة يتم إثباتها بكيفيات كثيرة منها:

*إثبات إعجاز القرآن بالنبوءات الموجودة به.

*أو بيان صدق النبي ﷺ بعدة طرق.

مثاله أن نثبت بعض نبوءات النبي ﷺ، أو نبين حاله في قومه من الصدق وشهادتهم له كما شهد له أبو سفيان قبل إسلامه، أو عظمة ما يدعو الناس إليه وأن الكاذب لا يدعو الناس لمثل هذا.

وهناك كيفية مشهورة، وهي أن تضع نبوءات للنبي ﷺ أو للقرآن مثل ﴿غلبت الروم .. الآية﴾ وتحديده لأقل من عشر سنوات وجزمه بهذا ...إلخ.

= ثم تلزم الآخر فتقول: هل تنبؤ نبي كاذب بمثل هذا ممكن؟ أم صعب؟ أم مستحيل؟

- فإن قال: مستحيل .

= تأتيه بنبوءة أخرى وتسأله مرة ثانية: هل تنبؤ نبي كاذب بمثل هذا ممكن ؟ أم صعب؟ أم مستحيل؟ ... حتى يقر ويسلم.

وهذه كيفية جيدة ولا أستعملها كثيراً، ثم بعد أن تستعملها تعمل له فقرة لرد الشبهات ويتم الرد على شبهاته، وهذا بعد أن أسلم .

منهجية هذه الطريقة أن تعتمد على جعل اللا-ديني، يتيقن من صحة الرسالة، حينها لو أتته شبهة سيشك في نفسه لا في الدين وأي سؤال لا يعرف رده سيعلم بداخله أن له رد، ولو كان هو لا يعلمه.

وهذه منهجية جيدة لها سلبيات قليلة وأنت كمسلم لك الحق بأن تناقش بها أو بغيرها.

منهجية أخرى:

= أن تقول له: النبي الكاذب لماذا يدعي النبوة؟

وانت كمسلم مخير أن تسأل محاورك أو تجيب أنت مباشرة، لو ستسأله تنتظر رده ثم تبدأ بنفي كل احتمال يضعه على النبي ﷺ.

= أو تجيب أنت فتقول: مدعي النبوة الكاذب يكذب إما لطلب المال أو للسلطة أو للنساء.

والاحتمال الأول ممتنع فالنبي ﷺ وهو في قلة من أتباع ترك التجارة، وكذلك أنه لا يقبل الصدقات، وغير ذلك من الردود السليمة.

الاحتمال الثاني كذلك ممتنع، لأنه خسر السلطة بدعوته في أولها، حيث أن قريشا قد منعت بني هاشم قبيلة النبي ﷺ من الزواج منهم والتجارة معهم وغير ذلك، حتى يُسلّم بنو هاشم محمدا ﷺ فيقتلوه، وهذا يثبت أن دعواكم تخالف الواقع.

وأما النساء فالزواج منهن كان مباحا قبل البعثة بأي عدد، وقد كان النبي ﷺ تاجراً معه المال، وبعد إسلامه لم يتزوج غير السيدة خديجة لمدة عشر سنوات.

وهذه أدلة ومنهجيات أفصل فيها بمباحث مستقلة إن شاء الله، وقد روي أن قريشا دعت النبي ﷺ للمال والسيادة والنساء ليترك دعوته ولم يقبل، فتبين بطلان افتراضهم، ولم يبق هناك احتمال لكذبه، وهو المطلوب.

وهناك منهجية أخرى:

= مثل أن يقال: هات أقوى شبهتين عندك فإن رددتهم لك ننتقل للأدلة حتى تسلم.

وهذه منهجية جيدة لمن يجيد رد الشبهات، وهدفها أن تطمئن اللا-ديني أن أقوى شبهات عنده مردودة قبل أن تعطيه الأدلة، وقد جربتها كثيراً وكانت نافعة.

وأنت كمسلم مخير أن تبدأ بأي كيفية أردت، وترى المناسب لك وهي منهجيات كلها مستعملة وقد تستعمل منهجية مع شخص غير الآخر.

- فالذي يقول لك: ليس عندي شبهات بل لا يوجد دليل لصحة الرسالة عندي فقط، تبدأ معه بالطريقة الأولى برأيي، أو الطريقة الثانية ولو كنت لا أفضل معه هذا.

ومن علمت أن قلبه مليء بالشبهات ويحب طرح الشبهات، ابدأ معه بالطريقة الثانية، فتعطيه أدلة مع شبهات بنفس الوقت، وهذا نافع أكثر من أن تبدأ معه بالطريقة الثالثة لأنه لن يكتف بشبهتين فقط،

وأما المنضبط منهم فناقشه بالطريقة المنهجية الثالثة.

وتوجد منهجية رابعة:

= أن تقول له: اطرح شبهاتك وأسئلتك.

وتجيبه، وهذه تنفع لو أنك ملم بالدين بشكل قوي، فتخرج له من داخل كل شبهة دليلا كرحلة الإسراء والمعراج فالنبي ﷺ نبأ الناس بالقوافل المارة في الطريق العائدة لمكة، وهذا يمتنع لغير نبي حتى قالوا عنه ساحر كما بالرواية[1].

ويمكنك بيان ضعف منهج اللا-دينية مع كل شبهة من هذه، فمثلا شبهات اللا-ديني كالسبي، فإن اللا-ديني لا مرجعية أخلاقية عنده تجعله يقول هذا صواب وهذا خطأ، فهذا يثبت علو الدين على اللا-دين.

وعلى كل حال فإن منهجية رد الشبهات الأخلاقية والعلمية واللغوية ودعاوى التناقض سيكون لها مباحث مستقلة قادمة بعون الله.

---

[1] أخرج الرواية بطولها البيهقي بإسناد صحيح في كتابه دلائل النبوة ٣٥٦/٢ وأخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام ١٥٥/١

وهذه المنهجيات الأربعة هي الأقوى من وجهة نظري ولله العلم، وسأبين قوة كل منهجية وكيفية إلزام اللا-ديني بها إن شاء الله تعالى مع طرح الأدلة المستعملة مع كل كيفية إن وفقنا الله.

وهناك طرق أخرى أقل قوة لكنها تنفع لتقوية الدليل، مثال أن نقول: اللا-ديني يكره الشر فهو بحاجة للدين, أو أن الإسلام أتى بعقيدة سليمة توافق العقل في توحيد الله وصفاته خلافاً لكل العقائد الأخرى، فثبت صحته وخطأ العقائد الأخرى.

= أو أن يقال كما في رهان بسكال: اللا-دينية لو كانت صوابا فأنا كمسلم لن أخسر شيئا، وإن كان الإسلام دين حق فأنت كلا-ديني ستخسر كل شيء.

ويمكن تقوية هذه الحجج ولكني وجدت الاهتمام بالمنهجيات الأخرى أولى لقلة الخلل فيها .

والله المستعان وعليه التكلان.

* * *

مبحث

الطريقة المنهجية الأولى في إثبات صحة الرسالة

كما أسلفنا سأشرح أربعة طرق منهجية نناقش بها المخالف الربوبي في صحة الرسالة، وشرحتهم إجمالاً وسأشرح كل طريقة تفصيلاً:

الطريقة المنهجية الأولى:

أن لا تناقش الشبهات مع اللا-ديني، وتضع له أدلة معجزات النبي ﷺ وأدلة صدقه دليلاً تلو الآخر كي يتيقن.

ولو طرح شبهة فيما بعد يقال له: لو تم ثبوت أن القرآن حق وأن النبي ﷺ صادق، لا يهم حينها أي شبهة سواء علمنا ردها أم لم نعلم.

مثال هذا: لو علمنا أننا أحياء بيقين، لا قيمة لأي شبهة يطرحها أصحاب منهج الشك في كل شيء, الذين يدعون أن وجودنا ليس حقيقة مطلقة، وقد ناقشناهم ببداية الشروحات فراجعه[1].

كذا عندك كلا-ديني، فلو تيقنت أن اللا-دينية حق لن تحتاج للبحث

[1] راجع مبحث النقاش مع منكري البديهيات العقلية مبحث الحقيقة المطلقة

في كل دين، لأن ما ثبت صحته بيقين امتنع صحة ما يعارضه، ونحن لا نشك أن قارئ كلامي هذا أعمى البصر أم لا، فقراءته لكلامي تمنع يقينا عدم بصره.

ولو ثبت أن الإسلام حق، امتنع صحة أي دين أخر مخالف له، لامتناع اجتماع النقيضين والضدين كما هو ثابت عند العقلاء من مشارق الأرض ومغاربها .

= وكذا مسألتنا، فيقال: لو صح أن هناك معجزات دلت على صدق النبي ﷺ وأن القرآن الكريم كلام الله، بطلت أي شبهة، ولا يقول عاقل أنه يعلم رد كل شبهة ممكنة، بل لا يوجد إنسان يعلم كل الشبهات فضلا عن علمه بكل ردودها.

فإن رددتُ على كل شبهاتك, من الممكن أن تقول: جائز أن يكون هناك شبهة أخرى لا أعلمها كلا-ديني لكن لو علمتها فمن الممكن أن لا يجيد المسلم ردها، فرد الشبهات ليس علاجاً تاماً على كل حال

بل الصواب إثبات أن هناك معجزات دلت على صدق النبي ﷺ،

وما ثبت صدقه بيقين امتنع كذبه، لامتناع أن يقال هو صادق ١٠٠٪ وغير صادق بنفس الوقت، فهذا اجتماع بين المتناقضات، ثم بعد هذا يبدأ المسلم بطرح الحجج، ولنعطي مثالين:

المثال الأول:

*قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة ٦٧].

= قلتُ: فهذا دال على عصمته ﷺ وأن الله وعده بهذه العصمة حتى يكمل رسالته.

وفي تفسير الطبري: "حدثنا هناد وابن وكيع قالا حدثنا جرير، عن ثعلبة، عن جعفر، عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس "، قال رسول الله ﷺ: لا تحرسوني، إنّ ربّي قد عَصَمني.

وقال:

حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع قالا حدثنا ابن علية، عن الجُريريّ، عن عبد الله بن شقيق: أن رسول الله ﷺ كان يعتقِبه ناسٌ من أصحابه، فلما نـزلت: " والله يعصمك من الناس "، خرج فقال: يا أيها الناس، الحقوا بملاحِقِكم، فإنّ الله قد عصمني من الناس ."

فلو كان كاذبا لما أمر من يحرسه بأن يتركوه، وهذا ظاهر في صدق وعد الله له فقد تمت الرسالة قبل أن يقتل، ولو مات مقتولا بعد تمام النبوة فلا ضير، فقد عصمه الله حتى بلغ الرسالة، ومن حكمة الله أن لا يؤيد بمثل هذا مدعي النبوة الكاذب الذي اشتهر وظهر.

أمثله على العصمة:

عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً من محارب يقال له غورث بن الحارث قال لقومه: أقتل لكم محمدًا، فقالوا: كيف تقتل؟ قال: أفتك به، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره، فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟

قال: نعم، فأخذه واستله وجعل يهزه ويهم فيكبته الله (أي فيخذله الله)

فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟

قال: نعم، فأخذه واستله وجعل يهزه ويهم فيكبته الله

فقال: يا محمد أما تخافني؟

قال: لا، وما أخاف منك

قال: ألا تخافني وفي يدي السيف؟

قال : لا يمنعني الله منك.

ثم أغمد السيف ورده إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [سورة المائدة ١١] أخرجه أبو نعيم.

وبتفسير ابن كثير:

"وَقَالَ العَوْفِيّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْيَهُودِ صَنَعُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَلِأَصْحَابِهِ طَعَامًا لِيَقْتُلُوهُمْ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بِشَأْنِهِمْ، فَلَمْ يَأْتِ الطَّعَامُ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَلَمْ يَأْتُوهُ."

= قلتُ والرواية معناها ثابت بعامة كتب الحديث وتواتر هذا عن النبي ﷺ وتناقله أصحابه.

فهل هذا عادي؟

أم صعب؟

أم مستحيل لغير نبي؟

وقد يعترض اللا-ديني بأمثلة مشابهة في كتب أخرى.

= فيقال: هب أنه يوجد معجزات في كتب أخرى، فلا مانع أن تكون هذه قصص صحيحة لأنبياء أرسلهم الله قبل بعثة النبي ﷺ، فلا مانع عندنا من هذا، وأنت كلا-ديني غير قادر على رد هذا ولا ذاك.

- فإن قالوا: ولماذا لا تثبت كتب اليهود والنصارى رغم ما فيها من نبوءات؟

= قلنا: لأننا لا نمنع حفظ بعض الحق عندهم، والمعجزة تدل على أن دينهم أصله صحيح، ولا تدل على عدم التحريف خلافاً لنا فالمعجزة تدل على صدق الأصل، والتواتر يدل على عدم التحريف، فثبت الأصل الغير محرف، وهو المطلوب.

فإن قال اللا-ديني: نعم مستحيل هذا لغير نبي، انتقلنا معه لدليل آخر، ولنعطي مثال:

*قال رسول الله ﷺ:

إنَّه خُلِقَ كلُّ إنسانٍ من بَني آدمَ على ستِّينَ وثلاثِمائةِ مِفصَلٍ . فمَن كبَّرَ اللهَ ، وحَمِدَ اللهَ ، وهَلَّلَ اللهَ ، وسَبَّحَ اللهَ ، واستَغفرَ اللهَ ، وعزَلَ حَجرًا عَن طريقِ النَّاسِ ، أو شَوكةً أو عَظمًا من طريقِ النَّاسِ ، وأمرَ بمَعروفٍ ، أو نَهي عن منكرٍ ، عدَدَ تلكَ السِّتِّينَ والثلاثمائةِ السُّلامَى . فإنَّه يَمشي يومَئذٍ وقد زَحزَحَ نفسَه عنِ النَّارِ.

الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم

= قلتُ: وقد ثبت هذا بالتقنيات الحديثة[1] بعامة المجلات العلمية المتخصصة بالمفاصل، وهذا لا يعلمه إلا نبي.

فهل هذا عادي، أم ممكن، أم مستحيل؟

فاللا-ديني عادة يحتج بردهم المعهود على هذا وأن علماء الصين عرفوا هذا قبل العلم الحديث، فيرد على هذا من وجوه:

- الوجه الأول:

أن هذا لو ثبت عنهم فهو نبوءة صواب من ألف نبوءة خطأ، فكيف للنبي ﷺ أن يختار صوابهم دون كل ما ثبت خطأهم فيه؟

- الوجه الثاني:

نحن لا نمنع أنه كان هناك رسل في الصين قبل النبوة تناقل عنهم هذا، وهذا جائز عندنا.

*قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلًا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾ [النساء ١٦٤].

---

[1] راجع موقع naturatomica.com الطبي
مقال طبي بعنوان Joints, Bones, & Muscles

فامتناع تنبؤ غير نبي بمثل هذا ثابت على كل حال، ونحن لا نمنع أن يتنبأ به نبي آخر، بل منعنا أن يتنبأ به غير نبي.

وبهذه الردود أثبتنا أنها معجزة لنبي، وأنه يمتنع أن يكون اقتبس منهم، اللهم إلا لو قلتم أنه يقتبس الحق فقط من عندهم، ومعرفة الحق عندهم من الباطل في مثل هذا لا يكون إلا من نبي كذلك.

فثبتت نبوته على كل حال .. فهل هذا ممكن، أم صعب، أم مستحيل؟

وبهذا انتهينا من شرح أولى الطرق والله الموفق.

* * *

مبحث

الطريقة المنهجية الثانية في إثبات صحة الإسلام

وهذه الطريقة من أشهر الطرق، ولها صورتان:

صورة تقريرية، وأخرى على هيئة سؤال.

والثانية هذه صورتها كالآتي:

= يقال للربوبي: مدعي النبوة الكاذب لم سيدعي النبوة؟

وللربوبي قولان:

- القول الأول أن يقول: لا أدري، وهذا نبين له أسباب ادعاء النبوة كذبا كما سنوضح في الصورة الثانية.

- أما إن قال: ادعاء النبوة يكون لأجل السلطة والنساء والمال، فحجة اللا-ديني في هذا معروفة.

= فيقول في السلطة: قد حكم النبي ﷺ المسلمين فكان حاكمهم

- قال: وكذلك كل مدعي نبوة يبحث عن الحكم.

= قلت: وهذا مردود من وجوه:

- الوجه الأول:

أن إرادة الحكم جائزة من النبي الصادق، وكانت موجودة في حق النبي ﷺ، فقد أرادها حتى يقيم الدين، والمدعي للنبوة الكاذب لو أراد السلطة سيترك النبوة لأجلها لو كان مخيراً بين الأمرين، والنبي ﷺ عرضت عليه السلطة فتركها لأجل الدين، ولم يترك أمره (أي نبوته) لأجلها، وهو المطلوب.

* الوجه الثاني:

أعظم حكم للنبي ﷺ قبل فتح مكة، كان في المدينة، وهذا من دلائل النبوة فقد كان الأوس والخزرج أعداء ويتحاربون لأجل السلطة، فلما أتاهم رجل من غير قبيلتهم يقول لهم أنا نبي، قبلوه وأمروه عليهم وجعلوه حاكما لهم.

*قال تعالى:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال ٦٣].

قال أبو جعفر الطبري المفسر الكبير :

"يريد جل ثناؤه بقوله: ﴿وألف بين قلوبهم﴾، وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج، بعد التفرق والتشتت، على دينه الحق، فصيَّرهم به جميعًا بعد أن كانوا أشتاتًا، وإخوانًا بعد أن كانوا أعداء."

= قلت: فهؤلاء الأوس والخزرج هم الأنصار ولولا تأليف الله لقلوبهم لما تركوا النبي ﷺ يحكمهم، فقد كانوا يتقاتلون فيما بينهم لأجل السلطة فكيف بهم يتركونها لأجل مدعي نبوة من غير قبيلتهم إلا لو كان صادقاً؟

قال الطبري :

"وقوله: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم﴾ ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لو أنفقت، يا محمد، ما في الأرض جميعا من ذهب ووَرِق وعَرَض، ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيْلك، ولكن الله جمعها على الهدى فأتلفت واجتمعت، تقوية

من الله لك وتأييدًا منه ومعونة على عدوك. يقول جل ثناؤه: والذي فعل ذلك وسبَّبه لك حتى صاروا لك أعوانًا وأنصارًا ويدًا واحدة على من بغاك."

= قلت: ثم يقال: إرادة الحكم لتطبيق الدين تثبت النبوة، أما إرادة الدين لأجل الحكم تثبت كذب مدعي النبوة، فظهر الفرق، فتكون دعواك مثبتة لصحة نبوة النبي الكريم ﷺ، وهو المطلوب.

- وأما قول اللا-ديني: أن النبي ﷺ ادعى النبوة لأجل النساء.

- قال: وقد ثبت أن النبي تزوج الكثير بعد نبوته بجانب تحليله لملك اليمين، وبهذا يثبت أنه ادعى النبوة لأجل النساء.

= فيرد على هذا الهذيان فيقال: اعتراضك يصح لو كان الزواج والسبي قبل نبوته ممنوعا، أو لو كان التعدد ممنوعا في الجاهلية، وهذا كله غير موجود، فلن يدعي النبوة لأجل هذا.

= ثم يقال: أن قريش عرضت على النبي ﷺ النساء مقابل ترك دعوته فلم يقبل، فثبت بطلان قولكم. ثم نرى أن النبي الكريم ﷺ لم

يكن يجبر نساءه عليه، وقد روي أنه ﷺ تزوج أميمة بنت شراحيل، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين.

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ذكر للنبي ﷺ امرأة من العرب فأمر أبا أسيد الساعدي أن يرسل إليها فأرسل إليها فقدمت فنزلت في أجم بني ساعدة فخرج النبي ﷺ حتى جاءها فدخل عليها، فإذا امرأة منكسة رأسها، فلما كلمها النبي ﷺ قالت: أعوذ بالله منك. فقال: قد أعذتك مني.

وبرواية أخرى: فقال: قد عذت بمعاذ. ثم خرج علينا فقال: يا أبا أسيد اكسها رازقيتين وألحقها بأهلها.

= قلتُ: وهذا ثابت عنه بأبي هو وأمي ، فلم يجبرها عليه لمجرد علمه بعدم إرادتها له ، بل وكانت صفية بنت حيي من ملكات يمينه بعدما خان أبوها العهد وتم قتله وتم أسرها وكانت أجمل نساء اليهود وروي أنه خيرها.

فقال لها رسول الله ﷺ : اختاري ، فإن اخترتِ الإسلام أمسكتُكِ

لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك، فقالت: يا رسول الله لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني، حيث صرت إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب، وما لي فيها والد ولا أخ، وخيَّرتني الكفرَ والإسلامَ، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي، قال: فأمسكها رسول الله لنفسه.

"الطبقات الكبرى" (8 / 123) .

= قلت: ورغم تخييره لها اختارته، ومن قلة فهم بعض اللا-دينيين يظنون أن قومها قُتلوا جميعاً، ولم يفرقوا بين بني النضير وبني قريظة، بل عامة قومها من بني النضير كانوا أحياء، ولم تعد معهم لعلمها من أبيها قبل موته أن رسولنا الكريم نبي حقا كما قالت بنفسها بالرواية السابقة، والروايات كثيرة في هذا السياق، فكيف ادعى النبوة لأجل النساء وقد تركها وخيرها فاختارته؟ وكان قادراً على خلاف هذا.

- وجه آخر:

= يقال: أصل الرد على هذا بالقرآن فلو كان النبي ﷺ ادعى النبوة لأجل النساء، لما قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝﴾ [الأحزاب ٢٨-٢٩].

جاء في تفسير الطبري للآية:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد، ﴿لأزْواجِكَ إنْ كُنْتنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها فَتعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ يقول: فإني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهنّ بالطلاق بقوله ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ على المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى المُحْسِنِينَ﴾ وقوله ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَراحًا جَمِيلا﴾ يقول: وأطلقكنّ على ما أذن الله به، وأدّب به عباده بقوله ﴿إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾

= قلت: فقد أمره الله بتخيير نسائه بل وقال أن من لا تريدك تحسن إليها في تركك لها.

- فإن قالوا: النبي إنما خيرهن ليتزوج غيرهن لأنه لم يعد يحبهن، فيرد عليه بقوله تعالى بعد أن اختاروه جميعاً

*قال تعالى:

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب ٣٣].

ونقل الطبري: "معنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة."

= قلت: فهذا بيان جامع مانع يثبت أن النبي ﷺ لم يدعي النبوة لأجل النساء، بل لو أن نساء النبي ﷺ لا يعلمن صدقه حقا لما بقين معه جميعاً ولما خيرهن أصلا خوفاً من تركهن له.

فالشبهة فيها ما يثبت نبوته لا ما ينفيها، وكثرة زواجه مسألة فيها حكم كثيرة منها نقلهن للسنة وللأحكام بين الناس عامة والنساء خاصة.

*قال تعالى:

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٤].

ثم أن هذه حجة ضدهم فالنبي ﷺ لم يعدد إلا بعد موت خديجة -رضي الله عنها- أي بعد البعثة بما يزيد عن خمس سنوات، وقيل سبع وقيل عشر سنوات.

- ثم يقول اللا-ديني: قد ادعى النبوة لأجل المال وهذا ثابت فهو له الخمس من الغنائم وغير هذا.

= فيقال: هذا لا يعني أنه ادعى النبوة لأجل المال، فهو كان تاجراً، وترك تجارته وطرد من داره هو ومن معه، فكيف يدعي النبوة لأجل المال وحتى بيته طردوه منه بسبب هذه النبوة؟

*قال تعالى:

﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِىۚ﴾ [الممتحنة ١].

*وقال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة ٩].

فكيف بمن طرد من داره، أن يدعي النبوة لأجل المال!

وكون الله أعطاه هذا لاحقاً فهذا لا يستلزم أن أصل دعوته كانت لأجل المال، ألا ترى أن النبي ﷺ لا يقبل الصدقات وحرمت عليه الصدقات؟ فلو كان باحثا عن المال لما حرمها على نفسه فقد قال عنها كما روى مسلم: وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد.

= قلت: فتبين أنه لو كان مدعيا للنبوة لأجل المال لما حرم مال الصدقة على نفسه وأهله وقد أباحه لجل المؤمنين وقتها !..

فهذا يثبت صدقه لا شك، وهو المطلوب.

= قلت: وبهذا نثبت أنه لا احتمال لكذب النبي ﷺ في دعواه للنبوة فنثبت بهذا نبوته وصدقه، وهو المطلوب.

وأما الصورة الثانية وهي كالآتي:

نقرر عقيدتنا مباشرة فنقول مدعي النبوة الكاذب يدعي النبوة من أجل المال أو السلطة أو النساء، ثم نكتب الأدلة التي تبرئ النبي ﷺ كما شرحت سابقاً، بل وهذه أدلة تثبت نبوته كما قد تبين.

ونزيد أن نبين عرض قريش للنبي ﷺ، فقد كلمه عمه أبو طالب، فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، للذي كانوا قالوا له ، فأبق علي وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق ؛ قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه.

وروى ابن هشام وابن كثير وغيرهم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: "اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان

بن حرب، والنضر بن الحارث (بن كلدة)، أخو بني عبد الدار، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان، وأمية بن خلف.

قالوا: يا محمد، إنا قد بُعِثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلتَ على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك ـ أو كما قالوا له ـ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنتَ إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا (نجعلك سيدنا وزعيمنا)، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا - فربما كان ذلك، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل عليَّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

= قلتُ: فهذا بيان عظيم لمن تأمل هذا كله. ونزيد فنقول أن النبي ﷺ في آخر عمره وفي فراش مرضه سأل الناس عن الصلاة واهتم بها حتى أتموها، وصلى بهم جالساً لشدة مرضه، وهذا لا يكون من كاذب بحال من الأحوال. وكل ما سبق ذكره يبين صدق نبوته بيقين، والحمد لله على نعمة الدين.

* * *

مبحث

الطريقة المنهجية الثالثة في إثبات صحة الإسلام

والمنهج الثالث في كيفية المناظرة مع الربوبي في إثبات صحة الرسالة، يكون كالآتي:

= تقول له: هات أكبر شبهتين عندك أرد عليهم ثم أنتقل معك إلى الأدلة.

وهذه طريقة نافعة جدا مع الذي بقلبه شبهات، فهي لا تنفع الذي ترك الدين لأنه لا يعرف دليل صحته فقط، أما الذي ترك الدين لأجل الشبهات ولأنه لا يعرف أدلة صحة الإسلام، فنرد على أكبر شبهاته ثم نعطيه الأدلة تباعاً.

- فلو قيل: رد الشبهات يكون لاحقا بعد أن نعرف الأدلة.

= قلنا: الذي في قلبه كثير من الشبهات لن يتقبل الأدلة إلا لو عرف ضعف أكبر شبهاته وأن شبهته باطلة تماماً خلاف ما كان يجزم هو، فحينها سيعلم بداخله تقصيره في معرفة صحة الدين بل حتى تقصيره في معرفة الشبهات.

ثم هذه الطريقة تنفع أكثر لو أنك تستطيع استخراج أدلة صحة الدين من نفس الشبهة فيكون رد شبهة ودليل نبوة بنفس الوقت، وقد لا يكون دليلاً قاطعاً على صحة النبوة، ولكن نقول أن الشبهة تثبت النبوة أكثر مما تشكك بها.

أو هي دليل يحتاج إلى أدلة أخرى حتى نتأكد به من صحة الرسالة، كالطرح السابق فعدم ادعاء النبي النبوة لأجل النساء وحده ليس دليلاً كافياً على صحة الرسالة

ولكن مع عدم ادعاء النبي كذباً للنبوة لأجل المال ولا لأجل السلطة، كان هذا مع ذاك دليلاً ظاهراً على صدق نبوته كما قد بينت هذا سابقاً.

وتوجد شبهات نخرج منها أدلة تثبت النبوة، نعطي أمثلة:

- يقدم الربوبي أول شبهة، كأن يقول: لو كان الرسول نبيا من عند الله حقا لما مات مسموماً.

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة: ما أزال

أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم.

-ثم يقول الربوبي: الله قال في كتابه أن النبي ﷺ معصوم من الناس.

* قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة ٦٧].

- قال الربوبي: فالله لم يعصم نبيه كما وعد.

- قال: ولو كان الله لا يستطيع الدفاع عن نبيه من أثر السم فكيف بأتباع هذا النبي؟

= قلت: وهذه الشبهة، هي حجة لصحة الدين لا العكس، ويرد على الشبهة من وجوه:

- الوجه الأول:

= أن يقال: لا يجب على الله أن يعصم نبيه ولا الناس من القتل، لأن الله وعدهم الأجر بالأخرة، فمن قتل منهم كان شهيداً ومن عاش منهم كان من حفظ الله له، ولكن الله لا يجب عليه هذا أو ذاك، وإلا جعلت الله مجبورا وهذا خلاف ما اتفقنا عليه من إثبات الإرادة له.

- الوجه الثاني:

= أن يقال: أن الله وعد نبيه أن يعصمه من الناس لكي يبلغ الرسالة، وقد بلغها بالفعل.

*قال تعالى:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة ٣].

فقد صدق الله وعده، وهذا يدل على أن شبهتك تثبت الرسالة أكثر مما تنفيها لأن الله عصمه بالفعل حتى أتم الرسالة كما وعده الله بالقرآن.

وفي تفسير القرآن للشيخ ابن عثيمين: "فإن قيل: كيف يصح قول الزهري: إن النبي ﷺ مات شهيدًا؛ لأن اليهود كانوا سببًا في قتله، وقد قال الله تعالى: {والله يعصمك من الناس}؟ فالجواب: المراد بقوله تعالى: {يعصمك من الناس}: حال التبليغ؛ أي: بلغ وأنت في حال تبليغك معصوم، ولهذا لم يعتد عليه أحد أبدًا في حال تبليغه، فقتله."

* الوجه الثالث:

في غزوة خيبر، عن أبي هريرة أنه قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم فقال رسول الله ﷺ اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله ﷺ إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله ﷺ من أبوكم قالوا أبونا فلان فقال رسول الله ﷺ كذبتم بل أبوكم فلان فقالوا صدقت وبررت فقال هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا قال لهم رسول الله ﷺ من أهل النار فقالوا نكون فيها

يسيرا ثم تخلفوننا فيها فقال لهم رسول الله ﷺ اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه قالوا نعم فقال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك فقالوا أردنا إن كنت كذابا نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك.

= قلت: وهذا يثبت أن النبي ﷺ علم بالسم ولم يؤثر فيه حتى أتم الرسالة.

وفي صحيح مسلم عن أنس: أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: ما كان الله ليسلطك على ذاك، قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا.[١]

=قلت: وكانت غزوة خيبر قبل موت النبي بقرابة الثلاث سنوات.
وقال ابن القيم: وَبَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى كَانَ وَجَعُهُ الَّذِي

[١] الرواية معناها متفق عليه ورواها بنفس المعنى الإمام البخاري وأيضا الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ: (مَا زِلْتُ أَجِدُ مِنَ الْأُكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مِنَ الشَّاةِ يَوْمَ خَيْبَرَ حَتَّى كَانَ هَذَا أَوَانَ انْقِطَاعِ الْأَبْهَرِ مِنِّي) ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدًا."[١]

= قلت: فكيف والسم لم يُمِته لثلاث سنوات! إلا لو كان معصوماً من الله حقا، وهذا يثبت نبوته بشكل قطعي، بل إن أحد الصحابة مات بتأثير ذات السم كما هو مروي، وتكليم الذراع المسمومة للنبي ﷺ أنها مسمومة بعد أن مضغ منها، يثبت بقطع أن هذا لا يكون إلا لنبي.

شبهة ثانية:

- يقول الربوبي: لا يوجد دليل على صدق وجود الشيطان، فنحن لا نراه.

= قلت: وليس كل مالا نراه غير موجود، فأنا لا أرى عقلك فهل أنت بلا عقل؟

- فإن قيل: هناك من رأوا الدماغ في البشر.. إلخ

[١] زاد المعاد" :(4/111) "

= قلنا: مع فرض أن العقل في الدماغ فلا يمنع أنك لم ترَ عقلك ولو رأوا أدمغة بعض الناس فأنت لست منهم كذلك، فعدم العلم بوجود الشيطان ليس علما بالعدم.

= لذا يقال: أن لو تم إثبات صحة الإسلام سنثبت وجود كل ما هو غيبي كالشيطان كمثال، أما لو لم نثبت صحة الرسالة فلن يستطيع الربوبي نفي وجود الشيطان بالفعل.

ثانياً :

= يقال: إن معرفة وجود الشيطان معرفة ضرورية فنحن نجد وسواسا داخلنا لا نعلم مصدره، والعلم لا يثبت له مصدرا ماديا كذلك، ويكون الإنسان عالماً بالصواب والخطأ ويجد وسواسا بداخله يزين له الخطأ وينفره من الصواب حتى يفعل الخطأ فوجود الشيطان يستشعر به كل من يقرأ كلامي هذا.

ومعرفة وجوده ظهورها كظهور الشمس والقمر، وكثير من المسلمين لا يربطون هذا الربط ويظنون أن معرفة وجود الشيطان

تعرف بإثبات صحة الدين فقط، وهذا غير صحيح فنحن بالضرورة نستشعر وجوده والنقل يؤيد هذا ويقطع به، فسواء أثبتنا وجوده بإثبات صحة الدين أو بالعلم الضروري الذي يستشعر به كل أهل الأرض فكلاهما صواب وحق.

ونحن نعلم أن القارئ لكلامي هذا يحدث له وساوس كما بينت، ولو كان القارئ لم يخبرنا بهذا ولم نسأله عنه فنحن نعلم هذا لعلمنا الضروري أن هذا بكل إنسان، وهذا العلم واقع وبدون أن ننتظر دليلاً من مختبر علمي عليه.

- فلو قيل: وجود الشيطان بمعظم الرسالات وليس بالإسلام فقط فالرد من وجهين.

- الوجه الأول:

أن هذا لا يعارض الإسلام فنحن نعتقد أن هناك رسالات قبلنا ومحفوظ منها كثير من الحق ككتب اليهود والنصارى وغيرهم،

وهذا مما حفظ عندهم وهو مقرر عندنا، فوجوده عندهم يثبت دعوانا على كل حال.

- الوجه الثاني:

= نحن لا نقول أن وجود الشياطين يثبت صحة الإسلام، بل يثبت قول الأديان بشكل عام، فاللا-دينية باطلة على كل حال، وهو المطلوب.

فنحن كما قلنا إما أن نستخرج من الشبهة دليلا قاطعا على النبوة، أو دليلا قاطعا على بطلان اللا-دينية، أو دليلا على صحة النبوة مع أدلة أخرى تقوي هذا الدليل، وهذا أصل عظيم جدا لو تعلمته ستنتفع به في نقاش أي لا ديني.

ثم بعد أن ترد على أكبر شبهتين له، تنتقل إلى أدلة صحة الرسالة، وهذا يختلف من شخص لأخر فلو شعرت أن اللا-ديني مادي جدا يمكنك أن تعطيه نبوءات علمية.

والأدلة العقلية ذكرت كثير منها كما بينت من ثبوت التواتر ولزوم ثبوت تواتر المعجزات، فتواترها يثبت قطعية وقوعها مما يثبت صحة الرسالة، وهو المطلوب.

وقد تعطيه بعض النبوءات التاريخية كآيات "غلبت الروم" وغيرها، وعلى كل حال فيما هو آت من مباحث ذكر هذه الأدلة وغيرها إن شاء الله تعالى بتفصيل أكثر.

* * *

مبحث

الطريقة المنهجية الرابعة في إثبات صحة الإسلام

وهي منهجية رد الشبهات وإثبات صحة الدين من هذه الردود

وهذه المنهجية قد نستعملها مع رجل يرى أن النبي ﷺ له معجزات ولكن هناك شبهات تمنعه من الدخول في الدين.

وهذه المنهجية تحتاج لرجل ملم بالدين حتى لا يحرف في الدين لمجرد رد الشبهة، وكذلك ملم بالشبهات حتى يستخرج من كل شبهة إما دليلا على صحة النبوة أو دليلا على فساد اللا-دينية أو دليلا على غلط منهجية صاحب الشبهة، وهذا نافع جدا بل يمكنك كمسلم أن تخرج من داخل بعض الشبهات الأدلة الثلاثة معا.

وسأعطي مثالا لشبهة تخرج منها دليل نبوة وشبهة تثبت فساد اللا-دينية وشبهة تثبت غلط منهجية صاحب الشبهة وشبهة تثبت الثلاثة معا، أربعة أمثلة إن شاء الله تعالى يمكنك كمسلم طردهم على كل الشبهات بعد التمكن.

مثال على شبهة يثبت ردها صحة الرسالة:

- يقول اللا-ديني: أي القراءات هي كلام الله؟

فنحن لا نعلم القراءة الصحيحة منهم أصلا حتى تقول لي أتبع دينك.

- قال: ومن ضمن القراء من هم ليسوا ثقة عند علماء الحديث.

فكيف لا تثق به في نقل السنة وتثق به في نقله للقرآن؟

فيرد على هذه الشبهة من وجوه:

- الوجه الأول:

أن هذا مبني على غلط في منهجية بحث اللا-ديني فنحن عندنا القراءة المعتمدة تكون متواترة وتسميتها باسم عالم فهذا لإتقانه وإجماع الناس على إتقانه فسميت باسمه لذلك، فهي متواترة ولو كان هذا القارئ غير ثقة في الحديث ولكن الناس أجمعوا على أنه كان يقرأ القرآن بكيفية سليمة، وقراءته كانت متواترة قبله وتواترت بعده وسميت باسمه لإتقانه وشهرته، فبان لنا غلط منهجية البحث عند اللا-ديني حيث ظن أننا عرفنا القرآن من شخص واحد، بل فقط اشتهرت قراءة باسمه لا غير.

- الوجه الثاني:

أن القراءات تتغير فيها بعض الأحرف التي تغير النطق والمعنى وتجعل من المعنى متنوعاً، وهذا صواب فقوله برواية، مالك يوم الدين، غير قوله ملك يوم الدين بالراوية الأخرى.

لكن هذا حجة للدين لأنه مهما اختلف المعنى من قراءة لأخرى لا يتعارض معنى مع معنى فهو دائما اختلاف تنوع لا تضاد، ولنا في هذا مثلا، قال تعالى:

﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ في العلم﴾ [آل عمران ٧].

فرواية الوقف عند إلا الله ومعناه لا يعلم الحقيقة التي يؤول إليها الأمر كموعد الساعة، والوقف بالرواية الأخرى عند والراسخون في العلم، ومعناه أن الله والراسخين في العلم يعلمون تفسيره.

فهذا لا تعارض فيه، بل هذه القراءة معناها صواب والأخرى كذلك، والتنوع ثابت وصواب ولا يتعارض معنى مع معنى، وهذا يثبت صحة الرسالة كما قال تعالى:

﴿فَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢].

- الوجه الثالث:

القرآن معجز لغوياً ولا يوجد فيه خطأ لغوي واحد، ويمتنع أن النبي ﷺ يقرأ بكل هذه اللهجات ويتقنها أفضل من العرب المتقنين لها جميعاً، إلا لو كان هذا كلام الله لا كلامه هو، فالقراءات كلها معجزة والنبي الكريم ﷺ قال أن القرآن نزل عليه على سبعة أحرف.[1]

اختلاف التنوع وعدم وجود اختلاف تضاد واحد وقوة القراءات لغوياً رغم اختلاف اللهجات، هذا كله كان حجة على العرب وقتها وعلى كل من تعلم لغة القرآن، ونحن نأخذ خبرهم وشهادتهم للقرآن وهم أهل التخصص فخبرهم صادق لاختلاف أحوالهم وامتناع

[1] رواه البخاري _ حديث رقم ٢٤١٩ / وحديث رقم٣٢١٩.
ورواه مسلم _ حديث رقم ٨١٨/ وحديث رقم٨١٩ / وحديث رقم ٨٢٠ / وحديث رقم ٨٢١.

اجتماعهم على الكذب، فثبتت صحة الرسالة من داخل الشبهة، وهو المطلوب.

الشبهة الثانية التي نثبت من داخلها فساد اللا-دينية:

- يقول اللا-ديني: لماذا يوجد في الدين سبي؟

- قال: وهذا يخالف الأخلاق.

= قلت: ويرد على هذا بعدة طرق:

الطريق الأول:

= يقال: إن كان السبي أخلاقيا فلا شبهة وإن لم يكن السبي أخلاقيا فلا يوجد شيء باللا-دينية يجعلني أمنع السبي، لأن اللا-دينية كما يدعي أصحابها موقف من الأديان، ليست لها فكرا واحدا ولا أصل لها، فبهذا لا يوجد مرجع يحتكم إليه اللا-ديني يمنع الإنسان من السبي والقتل وغيره.

- فإن قالوا: الإنسانية تمنعنا.

= قلنا: نفس هذه الإنسانية اخترعت الدين غير الأخلاقي عندكم،

فكأنك تقول الإنسانية أخلاقية وغير أخلاقية بنفس الوقت.

وهذا فضلا عن أنه تناقض، لكنه لا يصلح كمرجع يحسن به السبي أو يقبح.

ثانياً: نسأله هل السبي نافع لبعض الناس ومضر لبعض؟ سيقول: نعم.

= فيقال: فلماذا لا أفعل ما يضر غيري وهو نافع لي؟

- سيقول: أنت حر مالم تضر .

= فيقال لهم: هذه ليست قاعدة مادية فالمادية اللا-دينية تقول البقاء للأصلح والأقوى، لذا أنت كلا-ديني لا تسجن من يأكل الحيوانات لأن بقاء النوع أهم من عدم ضرر الكائنات الحية الأخرى, فلماذا أنا لا أفعل ما يضر غيري وضرره نافع لي؟

* وبيانه بوجه آخر:

فاللا-دينية تقول كما في الآية: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون ٣٧].

فلا يوجد سوى أن أسعى لأسعد نفسي.

أما رد نفس الشبهة فلها تفصيل مطول، ومن المعلوم أن السبي هو الأسر وأن المسبية لم تأت في جولة ترفيهية نستقبلها بالورود لأجلها، بل كانت في ساحة حرب.

والغاية هنا بيان أن اللا-دينية لا تملك حلولا، فلو كانت الشبهة خاطئة فهو المطلوب. ولو كانت سليمة، فاللا-دينية لا تملك حلها، فاللا-ديني يدعي أنك لو تركت الدين ستتبع العقل، ثم يقول أن عقول الناس هي التي اخترعت الأديان التي هي أقبح الأشياء عندهم.

فلماذا عقلك أنت وليس عقل من اخترع الدين بتشريعاته؟

وهذا أصل عظيم يبين لك أن اللا-ديني لا يلزم المسلم بشيء إلا ويلزمه نفس الشيء من باب أولى، فلو كان الدين حقا، فاللا-دينية باطلة، ولو كان الدين باطلا، فاللا-دينية أشد بطلانا من الدين.

"الشبهة الثالثة" التي تبين فساد منهجية اللا-ديني:

اللا-دينية جعلتنا نصعد إلى القمر، وأعطتك هاتفك الذي تتكلم منه، فماذا قدم لنا الدين؟

= قلت: ويرد على هذا الهذيان من وجوه:

- الوجه الأول:

أنك بنيت شبهتك على أصل وهو أن الدين يمنعك من أن تصنع الهاتف والسيارة، وهذا لا يوجد بالدين أصلا!..
بل أن الدين يحفز على النشاط وذم الكسل، فأنت بنيت شبهتك على مخالفة الدين لهذه الصناعات وعلى أن عدم الدين يسبب لنا هذه الصناعات، وأنت لم تثبت لا هذا ولا ذاك، فشبهتك عند التحقيق سراب غير صواب.

- الوجه الثاني:

أنت بنيت شبهتك على أن القرآن أتى ليعلم الناس كيفية كل الصناعات، وهذا غير صحيح فالقرآن كتاب عقيدة وأحكام لا كتاب علوم، وهذا لا يمنع أنه قدم ما هو أفضل من كل علوم الدنيا، لأن أعظم المعارف هي معرفة الله ومعرفة مراد الله وبعض حكم الله في أفعاله فالله لا يفعل إلا لحكمة هي سبب للفعل، والقرآن بين هذا كله، لذا الإنسان كلما حمل الهاتف وركب السيارة قلت لذته من

هذا، وكلما صلى وصام وتعبد بمحبة ورضى وكلما عرف ربه زادت لذته وسعادته، فالدين يبقى وعلومه أنقى، وهذا مشاهد.

ونحن لا ننكر أن الإنسان عندما يستمتع بشيء كالهواتف والسيارات وغير ذلك، يشعر بضيق عند ترك هذه الأشياء، لكن لذته منها تنتهي، كمن يتابع كرة القدم فيحزن عند خسارة فريقه ولا يفرح عند فوز فريقه مع مرور الزمن، وأما من تعلق بالدين فلذته تزداد دائماً.

فشبهته مردودة من كل وجه.

= ثم يقال: أنت كلا-ديني تدعي أن أصل اعتقاد البشر كان اللا-دينية، ثم بعدها اخترع الناس الأديان، فهذا رغم أنه يمتنع عليك إثباته، لكنه يثبت أن اللا-دينية هي سبب وجود أكبر كذبة عندك وهي الأديان،
فكيف تعتبرها هي سبب تقدم الناس بعد أن أقررت أنها سبب تخلفهم حسب منهجك؟

هذا كله يثبت عدم منهجية البحث الصحيحة عند اللا-ديني، وهذا مرادنا من هذه الشبهة، فهو لم يعرف أن القرآن ليس كتاب علوم طبيعية ولا عرف أن الدين لا يمنع الصناعات النافعة.

"الشبهة الرابعة" والتي بها دليل النبوة وفساد اللا-دينية وغلط منهجية الملحد:

- يقول اللا-ديني: نبيكم صعد إلى السماء ببغلة طائرة.

- قال: وهذا غير متصور عقلا.

= قلت: وأصل هذه الشبهة مبني على منهجية خاطئة.

= وبيان هذا أن يقال: أن النبي أسري به بالبراق وهو دون البغل وفوق الحمار وليس بغلا كما بالشبهة بل هو تقريب له فقط، ولم يُعرج بالنبي إلى السماء بالبراق أصلا كما روي عن النبي أنه قال، "فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ".[١]

= قلت: وكان هذا عند بيت المقدس.

[١] الحديث بطوله في صحيح مسلم | كِتَابٌ : الْإِيمَانُ | بَابٌ : الْإِسْرَاءُ بِالرَّسُولِ حديث رقم ١٦٢.

فدل على أن البراق أسرى بالنبي ﷺ ولم يعرج به، فاللا-ديني لم يفهم الدين قبل أن يعارضه، فجبريل هو من عرج بالنبي ﷺ.

ثانياً: الغلط المنهجي أنه ادعى استحالة عروج النبي، وهذا رغم أن العقل يتصور هذا، ولو كانت العادة تمنعه، فهو مستحيل في عادة ما دون الأنبياء فقط، أما العقل فيتصور وقوعه.

فنحن نعلم أن هناك خالقا قادرا على مثل هذا، فلو كان الإنسان قادرا أن يصعد للفضاء، فالذي خلق الإنسان والفضاء قادر على أن يجعل نبيه يعرج إليه من باب أولى.

وهذا العقل يثبت خلاف شبهة اللا-ديني مما يثبت غلط منهجيته في طرح الشبهة.

- الوجه الثاني لرد الشبهة:

أن اللا-ديني إما ملحد أو ربوبي، فإن كان ملحدا فقد أقر أن كوننا هذا كله أتى بطريقة عشوائية، فلو كانت العشوائية تنتج كل هذا وهذا معقول عنده، فبوجود خالق يرفع نبيه إليه عن طريق ملك عظيم فهذا معقول من باب أولى، ولو كان اللا-ديني ربوبيا، فهو

يقر أن الله قادر على كل شيء، فثبت أن اللا-دينية لا تمنع وقوع هذا أصلا.

فلو كان المعراج غير معقول، فاللا-دينية تخالف العقل أكثر من باب أولى، ولو كان معقولاً فلا شبهة، وهو المطلوب.

- الوجه الثالث:

= أن نقول: هذه الشبهة تثبت النبوة، وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ."

قَالَ: "فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ".[١]

=قلت: وهذا دليل يثبت معرفته ببيت المقدس وأنه أسري به إليه حقا.

[١] كِتَابٌ : الْإِيمَانُ | بَابٌ : ذِكْرُ الْمَسِيحِ وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ حديث رقم ١٧٢.

وبرواية أخرى رواها البيهقي:

فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: انْظُرُوا إِلَى ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ اللَّيْلَةَ". قال: فقال: "إِنَّ مِنْ آيَةِ مَا أَقُولُ لَكُمْ أَنِّي مَرَرْتُ بِعِيرٍ لَكُمْ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا قَدْ أَضَلُّوا بَعِيرًا لَهُمْ فَجَمَعَهُ فُلاَنٌ، وَإِنَّ مَسِيرَهُمْ يَنْزِلُونَ بِكَذَا ثُمَّ بِكَذَا، وَيَأْتُونَكُمْ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَقْدُمُهُمْ جَمَلٌ آدَمُ عَلَيْهِ مِسْحٌ أَسْوَدُ وَغِرَارَتَانِ سَوْدَاوَانِ". فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفَ النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ حَتَّى كَانَ قَرِيبٌ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ حَتَّى أَقْبَلَتِ الْعِيرُ يَقْدُمُهُمْ ذَلِكَ الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم".

= قلت: وروي أن الوليد بن المغيرة اتهمه بالسحر ليبرر للناس تنبؤ النبي بمثل هذا، وهذا يدل على أنه نبي حقا والله جعل هذا من أدلة نبوته.

= قلت: وهذه منهجية جيدة، فأنت كمسلم مطالب عند كل شبهة بالتفكير قبل الرد، وتسعى أن تخرج أدلة لصحة الدين من داخل الشبهة أو أدلة بطلان اللا-دينية من داخلها

والله الموفق.

❊ ❊ ❊

مبحث

الرد على مقالة
"منع الله الآيات للرسول الكريم ﷺ"

وبعد أن أظهرنا البراهين في صحة النبوة والتي يمتنع على أي مخالف ردها.

= قالوا: لكن الله منع على النبي ﷺ الآيات أصلا.

واحتج المخالف بقوله تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء ٥٩].

ونحن نبين مراد الآية ثم ندلل على ما فسرناه بنصوص أخرى، ذكر الطبري في تفسيره:

"حدثني إسحاق بن وهب، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا مسعود بن عباد، عن مالك بن دينار، عن الحسن في قول الله تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ قال: رحمة لكم أيتها الأمة، إنا لو أرسلنا بالآيات فكذّبتم بها، أصابكم ما أصاب من قبلكم".

= قلت: وهذا يثبت أن المراد هنا الآيات المهلكة، وهناك نوعان من الآيات: آيات مهلكة من أنكرها هلك، وآيات مثبتة للنبوة، وهذه موجودة بوفرة في الإسلام.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ في المسند: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ إِيَاسٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ فَيَزْرَعُوا، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ نَسْتَأْنِيَ بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤتيهم الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أهلكتُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ: قَالَ: "لَا بَلِ اسْتَأْنِ بِهِمْ.

= قلت: فتبين أن الله منع عنهم الآيات المهلكة، أما الآيات المثبتة لنبوة النبي ﷺ فموجود ذكرها بالقرآن، قال تعالى:

﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [البقرة ٩٩].

= قلت: فقد ظهر بهذا أن الله تعالى أنزل آيات مثبتة بالفعل، وليست

كل آية تثبت النبوة من يكذبها يهلك بوقتها بل بعضها فقط، والله منع الآيات البينة التي من ينكرها هلك، ولم يمنع الآيات البينة المثبتة للنبوة التي لا يهلك القوم المنكرون لها بالدنيا.

- فإن قيل: ما مثال الآيات المهلكة؟

*قال تعالى:

﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال ٣٢].

= قلت: فهم طلبوا هلاكهم حتى يتيقنوا من أن من يكذب النبيﷺ يهلك؛ وهذا منعه الله عن أمة محمد ﷺ.

والنوع الثاني: هو المطالبة بعد الجحود.

* قال تعالى:

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام ١٢٤].

= قلت: فتبين أنهم كانوا يرون الآية فينكرونها ويطالبون بغيرها، والله أعطاهم الآية التي تثبت نبوة النبي ﷺ، ولم يلزمه أن يعطيهم كل آية ممكنة..!

* قال تعالى:

﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة ١١٨].

فقد بين لهم صدق النبوة بالفعل فمطالبتهم لآيات أخرى دليل جحود، مثل جحود آل فرعون.

* قال تعالى:

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾ [الأعراف ١٣٣-١٣٥]

فكانوا يردون الآية بعد الآية بنفس هذه الكيفية حتى أهلكهم الله.

وهذا منعه الله عن قوم النبيﷺ، فالآية المثبتة للنبوة حدثت بالفعل وأكثر من مرة، وطلب مثلها بعدها جحود بالحق بعدما تبين، وعناد ظاهر.

*قال تعالى:

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف ١٤٦].

= قلت: فبين سبحانه أنه أرسل لهم آيات كثيرة ولم يؤمنوا بها وهذا يثبت ما قلناه.

واحتج المخالف بآية أخرى:

*منها قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام ٣٧].

= قلت: وهذا يحمل على ما سبق فهم أرادوا آية مهلكة فمعنها الله عنهم، أما الآيات المثبتة للنبوة والتي لا يهلك من أنكرها فهي ثابتة بالنصوص الكثيرة كما ظهر.

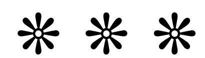
- فإن عاند المخالف وقال: إنما أراد الكفار آيات مثبتة فقط في هذه الآية، ونمنع تفسير هذه الآية بالآيات الأخرى.

= قلنا: ولو منعنا التفسير بالآيات الأخرى فالله تعالى قال أنه قادر على ذلك ولم يقل أنه لن يفعل ولن يرسل آيات بالفعل، بل قد أرسل آيات مثبتة بنص القرآن، فلو فسرت القرآن بالقرآن، يقال أنهم أرادوا آيات مهلكة، أو آيات بعد آيات سبقت، أظهرت لهم صحة الدين بالفعل, ولو لم نفسر الآية بالآيات الأخرى، فالله بنفس الآية قال أنه قادر على أن يرسل الآيات بالفعل ولم يقل أنه لن يفعل ولم يفعل! فبطلت شبهتكم من كل وجه.

وهكذا نلزم اللا-ديني بالحجج التي ذكرناها سابقاً على صدق النبوة، فاعتراضه الوحيد باطل، وقد ظهر عدم فهمه للنصوص، وهذا يدل

على أنه لم يقرأ القرآن إلا من مواقع الشبهات فقط لا غير.

والحمد لله الذي عافانا.



مبحث

هل النبي محمد ﷺ اقتبس من الأديان الأخرى؟

بعدما تبين وجود معجزات حقا في الإسلام وثبت بالفعل أن هناك نبوءات صادقة بالإسلام، ودلالتها على النبوة قاطعة، لجأ المخالف إلى حجة هي ضده لا معه، وكما بينت، لا توجد شبهة لهم إلا وهي حجة ضد اللا-ديني.

فإن رأوا بالإسلام نبوءة توافق العلم أو التاريخ ..إلخ، قالوا أنه أخذها من حضارات سابقة.

- قالوا: والنبي كان تاجرا يسمع من المناطق الأخرى أديانهم ويقتبس منها.

- وأما إذا تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بشيء وكانت هذه النبوءة غير موجودة في المعتقدات سابقة، قالوا: كل دين فيه نبوءات فلماذا الإسلام صواب والأديان الأخرى خطأ؟

وهذا من ضعف عقولهم وأفهامهم، فيرد عليهم من وجوه:

- الوجه الأول:

= أن يقال: نحن لا ننفي وجود شرائع أخرى من عند الله قبل شريعة الإسلام الخاتمة، فوجود نبوءات عندهم لا مانع فيه عندنا، فنحن لم ننفِ أن دينهم بقي فيه كثير أو بعض من الحق، لكننا ننفي أن يكون الحق كله محفوظ فيه، فوجود معجزة تثبت أن أصل هذه الشريعة ثابت، ولا تثبت أن هذا الدين كله محفوظ، فتأمل.

* الوجه الثاني:

= ديننا الإسلام متواتر، وبيان هذا أن من أثبتنا في مبحث التواتر أنهم تواتر عنهم الدين، تواترت عنهم دقائق الأمور وفروع الفروع، فيمتنع أن لا يتواتر عنهم أصل الأصول من باب أولى، فثبت أنه لا يوجد أصل في الدين إلا ونقلوه.

= ثم يقال:

العقائد الأخرى لم يتواتر عنهم أصول لهم، فما بالك بالفروع؟ لذا قد تتواتر معجزة في دين ما، فيقال أن أصله كان من عند الله، فحرفوا بعضه وحفظ الله بعضه.

- الوجه الثالث:

= الأمم السابقة كما نقل عنهم نبوءات صحيحة فقد نقل عنهم روايات باطلة تم إثبات بطلانها، ومن يقتبس لن يفرق بين الحق والخطأ والمصدر واحد، فمن يأخذ من السابقين الحق فقط ولا ينقل الباطل قط عنهم، لا يكون إلا نبي، وهو المطلوب.

- الوجه الرابع:

= يقال:

نحن أثبتنا ثبوت معجزات النبي ﷺ في زمانه، وهي معجزات لا تكون إلا لنبي كانشقاق القمر وغيره مما أثبتنا بيقين سابقاً، ولو كان دينه من غيره ويقتبس منهم فهو كاذب، والكاذب لا يؤيده الله بالمعجزة إلا ويبين كذبه، لأن الله لا يلبس على خلقه بمثل هذا بالضرورة، فثبت أن معجزاته الثابتة عنه تنفي هذه الشبهات جملة وتفصيلاً.

وهو المطلوب.

* الوجه الخامس:

= وجود المعجزات بالأديان الأخرى يثبت صدق النبوات وأن اللا-دينية غلط، فالشبهة تثبت بطلان اللا-دينية أصلا، ثم بعد هذا نقول ما من شرط صحيح للنبوة عند أهل الأديان السابقة، إلا وهو موجود بشكل أكبر في النبي محمد ﷺ، فاللا-دينية باطلة، والدين صواب.

ثم لا يوجد شرط نبوة صحيح في أي دين إلا وينطبق على النبي محمد ﷺ، فثبت أن الإسلام حق، وهو المطلوب.

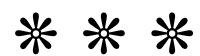
- الوجه السادس:

= النبي ﷺ قال أن هناك نبوات قبله، ولهم معجزات ولهم نبوءات كذلك، فأي معجزة حدثت في معتقد أخر سابق للإسلام، فهذا أمر يصدق قول النبي ﷺ، وهو حجة أعظم على نبوته.

ولو أن هناك دين سابق تنبأ بنبوة النبي محمد ﷺ ، فهذا يثبت نبوة النبي الكريم، ولو لم يتنبأ بنبوته، فهذا يدل على أن الدين السابق ناقص لم يحفظ كله، لأن نبوءات النبي ﷺ ومعجزاته ثابتة بالفعل،

فسواء كانت الأديان السابقة تنبأت بالنبي ﷺ أو لم تتنبأ، فنبوته صحيحة على كل حال، وهو المطلوب.

وبهذا تبين أن شبهتهم تنسف اللا-دينية وتثبت الإسلام.



مبحث

منهجية التعامل مع أي شبهة ضد الدين

كما قد بينت سابقا وجوب معرفة معتقد المخالف قبل الرد على شبهته، لكن هناك تفصيل لا يصح التصدر لرد الشبهات إلا به، ونحن إنما نتعلم منهجية كاملة نستعملها مع أي شبهة مهما كانت.

= فيقال بعد معرفة معتقد صاحب الشبهة: أين ما يثبت خطأ الدين داخل شبهتك؟

= ثم يقال: ما المرجعية التي احتكمت إليها حتى تعرف هذه النتيجة، وهي أن هذه الشبهة تنفي صحة الدين؟

ولنعطي مثالا:

- أتى مخالف وقال لي: ما ردك على شبهة السبي؟

= فيقال له: أولاً أين هي الشبهة؟ أو ما أثر هذه الشبهة؟

- لو قال: تنفي صحة الدين.

= فيقال: أين دليلك على أن السبي ينفي صحة الدين؟

فإن أتى بدليل، يقال له: ما مرجعك الذي اعتمدت عليه؟

وقتها تستطيع الرد بشكل منظم.

مثال آخر:

لو أتى بشبهة علمية وقال العلم يخالف الدين، كمثال تسطح الأرض.

= فيقال له: أين التناقض مع العلم، ثم نقول له ما مرجعك الذي احتكمت إليه؟

- فإن قال: العلم.

= نقول له: والعقل مصدر للمعرفة يقيني عندك أم لا؟

إن قال: العقل ليس يقينيا عندي.

= نقول له: إذن يجوز التناقض عندك لأن التناقض ننفيه بالعقل وأنت تنفي أن العقل يقيني، فيجوز مناقضة الدين للعلم وكل من الدين والعلم يكون حقا.

ولا يصح أن تترك شبهة لمخالف إلا وتلزمه أن يبين محل الشبهة ومرجعه المحتكم إليه في استنتاج غلط الدين من هذه الشبهة.

- فإن قال: أنا ضد السبي لأنه مخالف للأخلاق.

= قلنا له: الأخلاق عندك نسبية، فهو لا يخالف الأخلاق بشكل قطعي حسب مرجعيتك التي احتكمت إليها، فلا شبهة.

ثم هناك نصيحة هامة، أنت كمسلم عندما تطالب اللا-ديني أن يبين محل الشبهة ومرجعيته فيها، فأنت قد تكون تعلم هذا أصلا وتعلم شبهته منها، لكن نحن نريد أن نعلم اللا-ديني منهجا يتعامل به مع أي شبهة حتى لا يتلقى الشبهات داخل قلبه بسهولة، فلو أسلم معنا، لا يسلم على قاعدة هشة.

وأنت كمسلم كذلك، فأنا رأيت كثيراً من المحاورين لو وضعت لهم الشبهة يردون مباشرة، دون النظر إلى الأصل الأول وهو أن نلزم المخالف أن يبين لنا أين داخل الشبهة ما ينفي صحة الرسالة؟!

والأصل الثاني وهو على ماذا اعتمد؟

والشبهات أنواع:

النوع الأول:

شبهة تثبت خطأ المعتقد بالفعل، فتكون شبهة سليمة، كالشبهات التي تكون ضد اللا-دينية فهي تثبت غلط اللا-دينية.

النوع الثاني:

شبهة صحيحة ولكن نتيجتها خاطئة، مثال:

- من يقول أن هناك جهاد طلب في الدين إذن الدين غلط، فهنا نعم يوجد جهاد طلب ولكن هذا لا ينفي صحة الدين، فوجب أن نلزمه بالأصل الأول وهو لماذا اعتبرت جهاد الطلب ينفي صحة الدين وعلى أي مرجع صحيح اعتمدت في استنتاج هذه النتيجة الحمقاء؟ خاصة وأن جهاد الطلب يكون ضد دولة ليس بيننا وبينهم عهد، فهم لم يسالمونا ولم يعاهدونا على السلم، إنما ينتظروا حتى يكونوا في حال قوة فيحاربونا، فلا أدري على أي أساس يحرم علينا قتالهم في وقت ضغفهم!

مثال آخر:

- يقال: الإسلام به قراءات مختلفة تغير المعنى، إذن القرآن متناقض.

= قلت: وجود قراءات مختلفة أمر ثابت وكذلك اختلاف بعض معاني الآيات، لكن هذا لا يستلزم التناقض، فنسأل المخالف، لماذا

ادعيت أن الاختلاف في المعنى يستلزم التناقض؟ فهذا اختلاف معنوي لا تضاد ونسأله على ماذا اعتمد في رده.

النوع الثالث:

شبهة خاطئة ونتيجة خاطئة، كمن يدعي أن المسلم وجب أن يقتل كل البشر حتى يسلموا.

لحديث الرسول -ﷺ- "أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله".

= قلت: وهذا لعدم علمه أن لفظ الناس أطلقت في القرآن أحيانا على الأحزاب

* قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران ١٧٣]

وهم من نقضوا العهد فأمر الله نبيه أن يقاتلهم حتى يسلموا، لأنهم نقضوا العهد.

* قال تعالى:

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة ٥]

فبعد أن نقضوا العهد وقتلوا بعض المسلمين أمر الله بقتالهم حتى يتوبوا.

فمن المعلوم بالضرورة عدم قتل من عاهدنا كما جاء في سورة التوبة كذلك

* قال تعالى:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة ٤]

وتفصيل هذا بسورتي الأحزاب والتوبة ولعلي أرد على أمثال هذه الشبهات بكتاب مستقل.

والقصد هنا أن اللا_ديني قد غلط في فهم النص، ثم بنى على أساس هذا الغلط في الفهم، غلط الدين، فأخطأ فهم النص وغلط في النتيجة.

وأنت كمسلم وجب أن تفهم من كل شبهة، في ماذا هي تنفي صحة الدين؟ وأي مرجع اعتمد عليه المخالف لنفي صحة الدين؟

وهذا يجعلك تخرج من شبهات كثيرة كمسلم عامي بسيط، ويجعلك ترد على شبهات كثيرة لو أنك مناظر.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



مبحث

كيفية التأصيل في التعامل مع الشبهات

والشبهة هي أمر اشتبه يتبعه الذي في قلبه زيغ ليشكك بالدين.

* قال تعالى:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران ٧].

والتأصيل مبني على معرفة معتقد المخالف كما سنبينه، وكذلك مبني على معرفة سبب ظن المخالف أن الشبهة تنفي صحة الإسلام.

الشبهات الأخلاقية:

عامة اللا-دينيين شبهاتهم أخلاقية، فلو تكلم عن شبهات القتال

= نقول: الشبهة الأخلاقية مبنية على أن المخالف متدين له دين ومؤمن بالفطرة السليمة أي الخلقة، فهو له مرجعية أخلاقية يتعامل بها، وأنت لا-ديني لا تؤمن بقيمة للفطرة وتدعي التطور العشوائي، فما مرجعك الذي تحسن به وتقبح؟

- فإن قال: العقل المادي.

= قلنا: نفس هذا العقل هو الذي أنتج الدين الذي هو سبب خراب البشرية عندك كلا-ديني..!

تأصيل آخر:

= أن نقول له: أنت تدعي أن الأخلاق نسبية، فكيف حكمت على هذا الفعل أنه ليس أخلاقيا بشكل قطعي؟

تأصيل أخر:

= لو كان ممن ينكر البديهيات العقلية، نقول له: لنفترض أن الدين يتناقض مع الأخلاق..

ما المانع أن يكون الدين حق والأخلاق حق رغم التناقض بينهم؟ وأنت ادعيت أن النقيضين يمكن أن يجتمعا؟

= قلت: طبعا لرد الشبهة تفصيل يجب معرفته كذلك، لكن هناك تأصيل للشبهة يلزم اللا-ديني فلا يستطيع إثبات خطأ أي شيء أخلاقيا بالدين أو بغير الدين.

- فإن قالوا: هل مانعك عن القتل والسرقة أنك مسلم فقط؟

= قلنا: الأخلاق عندنا شرعية وفطرية كذلك، فالفطرة تمنع السرقة والشرع منعه فكان نورا على نور، أما الملحد فلا يؤمن بالفطرة أصلا، لأن الفطرة تعني الخلقة السليمة التي خلقنا الله عليها.

تأصيل الشبهات اللغوية:

= نقول لهم: اللغة العربية تواترت عبر عصور كثيرة ولم يحدث أن شكك أحد بالقرآن لغوياً قط، وكل متخصص لغوي كان يعتمد على القرآن في معرفة الصواب من الخطأ كلغة فتبين أن شبهتك مردودة بإجماع اللغويين وإجماعهم حجة، هكذا وبدون أن نتعمق داخل نفس الشبهة.

تأصيل آخر:

قريش كانوا أعلم الناس باللغة العربية فهي لغتهم، وشككوا بالنبي ﷺ وبالقرآن، ومع هذا لم يدّع واحد منهم أن داخل القرآن شبهة لغوية، فإن كانوا أكبر أعداء الدين فهم أعلم الناس باللغة، لم يتهموه بالخطأ لغوياً، ثبت أن القرآن يمتنع وجود أخطاء لغوية فيه، وهو المطلوب.

تأصيل آخر:

= نقول: إن قواعد اللغة العربية وعلومها وجدت لنفهم القرآن، فقواعد اللغة مبنية على القرآن فيمتنع مخالفة القرآن لقواعد لغة العرب التي وصلتنا.

تأصيل آخر:

= لو كان ينكر البديهيات العقلية، نقول: تنزلا يمكن وجود خطأ لغوي بالقرآن، فهذا لا يمنع أن يكون القرآن صحيحا كذلك، فعندك يجوز أن يكون القرآن حق واللغة حق واللغة تناقض القرآن، لأنه جائز عندك اجتماع النقيضين.

التأصيل في الشبهات العلمية:

لو كان ينكر البديهيات العقلية، نلزمهم بجواز اجتماع النقيضين لو خالف الدين العلم، كما فعلنا سابقاً في الشبهات السابقة.

تأصيل آخر:

= نقول له: أنت تنكر حجية الخبر كمصدر من مصادر المعرفة،

ومع هذا تتقبل أخبار العلماء الطبيعيين، وتعتبرها قطعية رغم معظم نظرياتهم لم تجربها بنفسك، فأنت كأنك تقول أصدق الخبر لو سينفي الدين، ولا أصدق الخبر لو سيوافق الدين، وهذا يبين فساد منهجيتك.

تأصيل آخر:

= هناك نظريات علمية وهي أقرب تفسير علمي للحقيقة العلمية، وهذه قد تخالف الدين لأنها تفسير ظني، أما الحقائق فيمتنع أن تتناقض مع الدين، فوجب عندما تحاججني أن تحاججني بما هو ثابت علمياً، ويمتنع تغيره بالمستقبل، لا بمجرد تفسيرات كنظرية التطور كما قد بسط الحديث عنها وبيان ظنيتها وهشاشتها في غير هذا الموضع، وبيان أنها في حال عدم وجود خالق فهي غير ثابتة علمياً، فما بالك في حال وجود خالق وفي حال صدق النبوة؟

تأصيل آخر:

= نسأله: العلم عندك ظني كله أم فيه أمور قطعية؟

- إن قال: ظني كله.

= نقول: فأنت لا تقدر على أن تثبت خطأ القرآن علميا بيقين لأن العلم ظني لا يقيني.

- وإن قال: فيه مسائل يقينية.

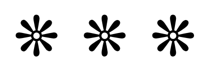
= قلنا: كيف علمت أن هذا يقيني؟ ما منهجك العلمي الذي اعتمدت عليه؟

= قلت: ونستعمل هذا لو كانت نظرية فاسدة أو بالفعل تخالف الدين، لامتناع مخالفة أمر علمي للدين وهو مبني على قواعد صحيحة.

ختاماً:

ليس كل شخص تستعمل معه التأصيل فقط، فهناك من ترهقه شبهة جدا، وهو باحث عن الحق فعلا، فهذا نبين له تأصيل المسألة وتفصيلها حتى يتعلم ردها من كل جانب. وتفاصيل هذه الشبهات لعلي أكتب فيها كتابا لا أترك فيه شبهة مشهورة بلا بيان تام إن

شاء الله تعالى والقصد هنا أن يتعلم المسلم كيف يتم تأصيل مثل هذه المسائل بكيفية تلزم المخالف وتحل الشبهة.



مبحث

البراهين اللغوية الدالة على صدق القرآن

الإعجاز اللغوي البلاغي التركيبي للقرآن الكريم هو من أقوى أدلة صحة الإسلام.

فإعجاز القرآن: تعبير موجز عن صورة موقف مركب واضح: هو مجيء (التحدي) في القرآن يطالبهم بالإتيان بسورة من مثل القرآن من ناحية، وإبلاس المشركين وانقطاعهم عن فعل ما طولبوا به من ناحية أخرى، فقولهم (إعجاز القرآن) صفة لهذا التحدي، ولما يؤدي إليه من أنه أظهر (عجز) المشركين عن فعل ما طولبوا به ليس غير.

= قلت: وإعجاز القرآن لهم ليس لغويا فقط، ولكنهم لم يتقنوا أكثر من اللغة، فلما فشلوا في أعلى ما يختصون به، فشلوا فيما دونه.

ولقد فرق العلامة اللغوي محمود شاكر بين العجز والإبلاس، فذكر أن العجز هو أن يحاول الناس الإتيان بمثل آيات المرسلين، أو يريدوا ذلك فيعجزوا، أما الإبلاس فهو دهشتهم عن ذلك ويقينهم

أنهم لا يستطيعون فلا يحاولون أصلاً، وهو كلام طيب يبين عظمة آيات الله تعالى.

قال: "وإذن فالأمر ليس عجزا من الخلائق عن فعل طولبوا بمثله فعجزوا، أو يتوهمون توهما أنهم لو أرادوا لعجزوا عنه بل هو (إبلاس) محض من جميع الخلائق ودهش وسكوت، وإطراق أحدثته مباغتة الآية عند المعاينة، ثم تسليم قاطع تستيقنه النفوس بأنه فعل ممتنع أصلا على هذا النبي لو كان غير صادق وعلى جميعهم بلا ريب".

* قال تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء ٨٨].

ويبرهن ذلك قول أكبر المشركين في زمن النبي ﷺ كما يروى أن الوليد بن المغيرة في شهادته للقرآن الكريم، قال في الحادثة المشهورة:

"والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن؛ والله إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لَمُثمِر، وإنَّ أسفَلَهُ لَمُغدِق، وإنّه يعلو ولا يُعلى عليه".[1]

وكذلك مازال الإنس والجن عاجزين أن يأتوا بمثله حتى يومنا هذا, وما حاول أحد أن يأتي بمثله إلا وصار أضحوكة بين الناس كمسيلمة الكذاب في عصر النبوة وكل من حاول في عصرنا هذا.

= قلت: أما دلالة عجز مسيلمة أنه لم ينف النبوة عن النبي الكريم ﷺ لعجزه على نفي معجزته الدالة على صدقه وهو القرآن، فقال أنا نبي وأنت نبي.

واخترت هنا بعض اللفتات البلاغية في الآيات القرآنية وهي كثيرة، وقارنتها بأقوال العرب واخترت على سبيل المثال لا الحصر:

كان العرب قديماً يقولون في القصاص (القتل أنفى للقتل) وقال تعالى {في القصاص حياة} بالمقارنة بين قوله تعالى: {في القصاص حياة}، وقول العرب (القتل أنفى للقتل) نجد الآتي:

[1] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر ٢٤/٢٥

١) حروف النص القرآني عشرة فهو أقل لفظاً، وأوفى معنى.

٢) يوضح النص القرآني المطلوب، وهو (الحياة) بينما يدل النص العربي على (الحياة) لزوماً لا نصاً.

٣) يفيد تنكير كلمة (حياة) في الآية كونها حياةً عظيمةً؛ فهي حياة للجميع، وليس ذلك في النص العربي.

٤) يفيد النص القرآني أن القصاص سبب في الحياة في كل الأزمان والأمكنة في حين أن القتل في النص العربي قد لا يكون أنفى للقتل.

٥) سلامة النص القرآني من التكرار، ووقوع النص العربي فيه.

٦) أدخل النص القرآني (في) على (القصاص)، وهذه الصيغة تجعل القصاص كالمنبع الذي لا يتوقف للحياة، وليس في النص العربي شيء من هذا.

٧) تحلى النص القرآني بزينة (الطباق) بين (القصاص و الحياة) في شحذ المعنى في إيحاءات جمالية، وخلا النص العربي من ذلك.

٨) يفوح النص القرآني عبير عدالة السماء؛ في نوع من القتل، حياة عظيمة، ففيه وعيٌ للأشياء بكل أبعادها. أما النص العربي

فتفوح منه رائحة ظلم الجاهلية.

٩) ثمة فرق هائل تتلمسه البصيرة المستنيرة بين (القصاص) الموحي بجناية الجاني على نفسه، وبين (القتل) الذي قد ينصرف إلى غير الجاني.

ومثال آخر يثبت قوة بلاغة القرآن، قال تعالى:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود ٤٤].

هذه آية عجيبة في تسع عشرة كلمة استخرج منها ابن أبي الإصبع واحدا وعشرين نوعا من أنواع البلاغة سوى ما تعدد منها وأنا سأذكر منها أربعة اختصاراً ففي الآية:

١) المناسبة بين ابلعي وأقلعي.

٢) المطابقة اللفظية بين السماء والأرض.

٣) والارداف في قوله : واستوت على الجودي ، فإنه عبر عن استقرار السفينة في هذا المكان ، استقرارا متمكنا لا زيغ فيه ولا ميل.

٤) وصحة التقسيم حيث استوعب سبحانه أحوال الماء حال نقصه.[1]

- فإن قيل: هل القرآن الكريم معجز لأن النبي ﷺ تحدى به؟

= قلنا: هذا مبحث هام فالله عز وجل تحدى المشركين بعدما قالوا أنه كلام بشر، أما القرآن فهو دال على صدق النبي ﷺ تحدى به أم لا، خلافاً لبعض الجاهلين بالنبوات الذين ظنوا أن المعجزة لا تكون حتى يتحدى صاحبها بها، وهذا باطل بالطبع بل التحدي يثبت كذب من كذب المعجزة، وليس هذا محل بيان تفصيل هذا، والقصد أن القرآن معجز قبل وبعد التحدي به.
والتحدي به يثبت صدقه أكثر، رغم كونه معجز من قبل التحدي، إنما تحداهم بأن يأتوا بمثله ليؤكد على كذبهم الظاهر لمن يغتر بهم من الجهال، لا لأن التحدي هو الدال على إعجازه، فهو معجز قبل التحدي وبعده.

ومع هذا كله لم يخلُ الأمر من طرح شبهات يدعي صاحبها أن القرآن به أخطاء لغوية، فسنرد بإذن الله تعالى إجمالاً وتفصيلاً.

[1] راجع المجلد الأول من كتاب تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر.

الرد الإجمالي على أي شبهة لغوية كالتالي:

١) أولاً: في أي شبهة لابد لنا من مرجع أساسي نحتكم إليه ليحدد لنا الصواب من الخطأ، والمرجع الأساسي في تحديد الصحيح من السقيم في اللغة العربية هو "القرآن الكريم" فكيف لعاقل أن يأتي ويقول القرآن فيه أخطاء لغوية وهو المرجع أصلا لمعرفة الصحيح من الخاطئ! فالقائل لا يملك مرجعاً غير القرآن يحتكم إليه فضلا عن أن يجد مرجعا يثبت خطأ لغويا في القرآن.

٢) إن هذا القرآن نزل على أفصح فصحاء العرب وأعظم شعرائها وأبلغ خطبائها ممن يتربصون للإسلام ليكيدوا به، ومن المعلوم بالضرورة أن المشركين سعوا في إثبات غلط نبوته، فلو تحدى بما يستطيعون الإتيان بمثله لكانوا أول من يبين هذا.

= ثم يقال: النبي لا يتحدى بشيء يمكن لقومه الإتيان بمثله، ثم مع هذا يتبعوه رغم كثرة ما حرم عليهم وكثرة ما أوجبه عليهم كذلك! لأنه كأنه يقول لهم دليل كذبي أن تأتوا بمثله، وأنتم قادرون على هذا بالفعل، إذن أنا كاذب.

وهذا يخالف الواقع فأتباعه كانوا كثر، ولو نجحوا في تحدي النبي لهم لما تبعه أحد، والمدعي الكاذب لا يتحدى بشيء يثبت كذبه، فوجود أتباع له كثر بعصره رغم تحديه لقومه، دال باللزوم على أنهم لم يأتوا بمثله رغم عداوتهم للنبي الكريم ﷺ وقوة علمهم باللغة، فتبين صدق التحدي، الذي يدل على إعجاز القرآن المثبت لصحة النبوة وهو المطلوب.

* شبهة ورد:

إنَّ هذان لساحران: الأصل "المتعارف عليه" أن (إنَّ) تنصب المبتدأ وترفع الخبر إن كان معناها التأكيد ولكن (إنَّ) أحيانا تأتي بمعنى (نعم) وهذا متعارف عليه عند المهتمين باللغة ولهذا المعنى شواهد كثيرة منها:

في الشعر: ذكر العواذل في الصبـــاح يلمنني وألومهنَّ

ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت (إنَّ)

أي قلت نعم.

وفي النثر: أن شخصاً قال لابن الزبير (لعن الله ناقةً حملتني إليك) فقال: إنَّ وراكبها .. أي نعم وراكبها..

الوجه الثاني:

وجود لغة مشهورة تنصب المثنى بالألف. والشاهد من الشعر:

١) ياليت عيناها لنا وفاها.. فنصب المثنى (عيناها) بالألف

٢) أعرف من الجيد والعينانا. أيضاً نصب المثنى (العينانا) بالألف.

= قلت: فكل شبهاتهم كهذه تثبت عدم فهمهم للغة العرب.

- فإن قالوا: القرآن معجز لقوم النبي ﷺ ولا يوجد فيه غلط لغوي كما قد بينت، لكن ماذا عن الصيني غير العالم باللغة العربية فضلا عن أن يعلم المعجز منها؟

= قلنا: هذا كمعجزة موسى عليه السلام، فعندما تحدى السحرة كان إقرار السحرة له دليلاً على صدق معجزته، ولو لم يكن عامة الناس عالمين بالسحر، ولكن إقرار أهل السحر لموسى أنه ليس ساحرا دال على أنه خارج إطار السحر.

كذلك هنا فنحن ولو كنا لا نفهم اللغة، لكن اتباع الناس للنبي ﷺ في عصره إلى وقتنا هذا كثير وظاهر، وإقرار كل أهل اللغة من المشركين في زمنه ﷺ إلى وقتنا بلا تصور جواز اجتماعهم على الكذب، يثبت يقيناً أنه تحداهم بأكثر أمر يجيدوه ومع هذا فشلوا بالتحدي، فهذا دال على صدقه، علمت لغته أو لم تعلم، كما نعلم أن هذا عالم بالطب أو الفيزياء، ولو لم نعلم كل علومه بل ولو لم نكن متخصصين، لأن شهادة أهل الاختصاص له، دالة على علمه يقيناً، ونحن كبشر نتعامل هكذا في كافة المجالات.

وإعجاز القرآن اللغوي لمن لا يجيد اللغة هو مبني على عادة الناس في إثباتهم صدق الشيء بشهادة أهل الاختصاص له.

- فإن قيل: نقل عن المشركين بعض التشكيك بالقرآن.

= قلنا: الثابت أنهم لم يثبتوا دعواهم لأنهم لو فعلوا لما تبعه أحد كما بينا، فهذا جامع مانع في بيان صحة الإسلام من هذا الباب.

*****

مبحث

نبوءات كتب اليهود والنصارى المقدسة بالنبي الكريم ﷺ

ونحن قد بينا سابقاً[1] أن كل مناظرة مع أهل الكتاب فهي محسومة للمسلمين، لأنه لا أصل لهم يثبتون به النبوة إلا وهو يثبت نبوة النبي ﷺ.

* قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف ٦].

- فإن قيل: أين الدليل الذي يثبت هذا داخل الإنجيل؟

= قلنا أي إنجيل؟ فهذا موجود بإنجيل عيسى عليه السلام، والأناجيل الأربعة الآن هي أناجيل لوقا مرقص يوحنا متى. فأين انجيل عيسى؟

- فإن قالوا: هل الله لا يحفظ كتبه؟

[1] راجع مبحث مناظرة اليهود والنصارى في النبوات

= قلنا: يجوز أن لا يحفظها بسبب تهاون أهل الكتاب بها وكثرة تأثرهم بالبدع ووجود كتاب أخر محفوظ يبين الله لنا فيه الحق من الباطل، فهذا جائز شرعاً وعقلا، ثم إن الواقع يثبت عدم حفظ إنجيل عيسى، ونحن ادعينا ذكر نبينا في إنجيل عيسى لا غيره، وبالاتفاق هناك كتب قبل موسى عليه السلام، وهي غير محفوظة، فلو اتفقنا على جواز عدم حفظ الكتب المنزلة قبل موسى عليه السلام إلى الآن، جاز أن لا تحفظ كتب موسى وعيسى، بعد نزول القرآن، لأن القرآن نسخ كل الشرائع قبله.

- فإن قيل: أنتم قد قلتم أن التواتر حجة، والنصارى تواتر عندهم أن المسيح إله.

= قلنا: التواتر يثبت ثبوت النقل، والتواتر يعود لأمر محسوس وهذا لا ينطبق على النصارى، فالتواتر يعود إلى سمع جماعة يمتنع اجتماعهم على الكذب في نقل ما سمعوه، فما الدليل أن النصارى تواتر عندهم سماعهم من عيسى ألوهية نفسه! بل المتناقل عندهم أنه كان يعاتب ربه أنه تركه، فهل يقول عاقل أنه كان يعاتب نفسه ..!

والآن ننقل النبوءات المحفوظة في كتبهم المقدسة، ونحن لا ندعي أن الحق كله محرف عندهم، بل نقول حفظ بعضه وحرف الناس بعضه.

النبوءة الأولى:

سفر التثنية الإصحاح ١٨

١٨ أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ.

١٩ وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ.

بهذه الأعداد الرب يخاطب موسى عليه السلام قائلاً أقيم لهم نبياً أي لبني إسرائيل من وسط إخوتهم وبنو اسرائيل هم أبناء إسحاق وأخيه

إسماعيل -عليهما السلام- فمعنى من وسط إخوتهم أي من ذرية إسماعيل عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ من ذرية إسماعيل عليه السلام كما هو ثابت، بعدها قال الرب لموسى أن هذا النبي

((مثلك)) والنصارى يدعون أن هذه نبوءة بالمسيح -عليه السلام- والمسيح ليس مثل موسى -عليه السلام- بالاتفاق، فالنصارى يعتبرونه إلها، فلا يكون مثل خلقه، ولو كان مثل خلقه للزم أن الخالق كالمخلوق والغني كالمفتقر وهذا رغم أن الله يتنزه عنه كما قال تعالى عن نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١].

ولكن هذا تناقض كذلك، لأنه يستلزم أن ما يجوز لموسى يجوز للمسيح، الذي هو إله عندهم، فيجوز للمسيح النقص الجائز لموسى كمخلوق فيكون إلها كاملا وإنسانا ناقصا، وهذا جمع بين نقيضين، فثبت أن عيسى ليس مثل موسى بالاتفاق.

أما محمد ﷺ فهو مثل موسى عليه السلام في كثير من الأمور:

أولاً: سيدنا محمد ﷺ ولد ومات ابوه منذ صغره وسيدنا موسى عليه السلام كذلك.

ثانياً: سيدنا محمد ﷺ هاجر من بلده بسبب قومه ثم عاد إليها وسيدنا موسى كذلك.

ثالثاً: سيدنا محمد ﷺ ولد من أب وأم وسيدنا موسى -عليه السلام- كذلك، أما المسيح -عليه السلام- فقد ولد من أم فقط.

رابعاً: موسى -عليه السلام- نبي صاحب شريعة وسيدنا محمد ﷺ كذلك، أما المسيح -عليه السلام- فلا.

خامساً: النبي محمد وموسى -عليهما الصلاة والسلام- تزوجا وأنجبا أما المسيح -عليه السلام- فلا.

وهذه النبوءة واضحة في النبي ﷺ.

النبوءة الثانية:

سفر المزامير اصحاح ٨٤ من عدد ٤ لعدد ٧

وهذه النبوءة تم تحريفها أثناء الترجمة لذلك سأنقلها بالعبرية وأترجمها لكم بالكلمة وأولاً سأضع ترجمة الكنيسة:

٤ طُوبَى لِلسَّاكِنِينَ فِي بَيْتِكَ، أَبَدًا يُسَبِّحُونَكَ. سِلاَهْ.

٥ طُوبَى لأُنَاسٍ عِزُّهُمْ بِكَ. طُرُقُ بَيْتِكَ فِي قُلُوبِهِمْ.

٦ عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ، يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعًا. أَيْضًا بِبَرَكَاتٍ يُغَطُّونَ مُورَةَ.

٧ يَذْهَبُونَ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى قُوَّةٍ. يُرَوْنَ قُدَّامَ اللهِ فِي صِهْيَوْنَ.

النص الأصلي وترجمته الصحيحة:

אַשְׁרֵי, יוֹשְׁבֵי בֵיתֶךָ-- עוֹד, יְהַלְלוּךָ סֶּלָה

طوبى لساكني بيتك يهللونك للأبد سلاه.

אַשְׁרֵי אָדָם, עוֹז-לוֹ בָךְ; מְסִלּוֹת, בִּלְבָבָם

طوبى للإنسان عز له فيك مسالك بقلوبهم.

עֹבְרֵי, בְּעֵמֶק [[הַבָּכָא]]-- מַעְיָן יְשִׁיתוּהוּ; גַּם-בְּרָכוֹת, יַעְטֶה מוֹרֶה

يمرون بوادي [[بكة]] ينبوع يصيرونه و بركاً يغطي مطر مبكر.

יֵלְכוּ, מֵחַיִל אֶל-חָיִל; יֵרָאֶה אֶל-אֱלֹהִים בְּצִיּוֹן

يسيرون من جبل إلى جبل يُرى إلى الله بصهيون.

فقد دل النص على الذين يسكنون عند بيت الله الحرام ويهللونه للأبد ويمرون بوادي بكة ويجعلونه ينبوع ويسبحون ..إلخ.

* قال تعالى :

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران ٩٦].

النبوءة الثالثة:

سفر حجي الاصحاح ٢ العدد ٧

هذه النبوءة أيضاً لم تترجم من اللغة العبرية للعربية بأمانة كما هو معتاد، وسأنقلها لكم بالنص الأصلي وأترجمها وأولاً سأضع ترجمة الكنيسة:

٧ وَأُزَلْزِلُ كُلَّ الأُمَمِ. وَيَأْتِي مُشْتَهَى كُلِّ الأُمَمِ، فَأَمْلأُ هذَا الْبَيْتَ مَجْدًا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ

النص الأصلي بالعبرية وترجمته:

וְהִרְעַשְׁתִּי, אֶת-כָּל-הַגּוֹיִם, וּבָאוּ, חֶמְדַּת כָּל-הַגּוֹיִם;
וּמִלֵּאתִי אֶת-הַבַּיִת הַזֶּה, כָּבוֹד--אָמַר, יְהוָה צְבָאוֹת

وأزلزل كل الأمم ويأتي حمدت كل الأمم وأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود.

= قلت: من هو حمدت هذا الذي سيأتي لكل الأمم؟

* قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ ٢٨].

* وقال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٧].

النبوءة الرابعة:

سفر اشعياء الاصحاح ٢٩ العدد ١٢

هذه ترجمة النصارى للنص:

أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لاَ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيُقَالُ لَهُ: «اقْرَأْ هذَا». فَيَقُولُ: « لاَ أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ ».

النص بالعبرية وترجمته:

וְנִתַּן הַסֵּפֶר, עַל אֲשֶׁר לֹא-יָדַע סֵפֶר לֵאמֹר--קְרָא נָא-זֶה; וְאָמַר, לֹא יָדַעְתִּי סֵפֶר

ويعطى الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت أن النبي ﷺ وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم الآيات إلى قوله علم الإنسان ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب.[1]

= قلت: أما أنه لا يعرف الكتابة فهذا رده في العهد القديم، يثبت أنه

[1] صحيح البخاري |بَابٌ : كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ حديث رقم٣.

لا يعرف الكتابة أي لا يعرف يقرأ هذه الكتابة، وهو كما ثبت، ثابت على النبي ﷺ.

* قال تعالى:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت ٤٨].

النبوءة الخامسة:

١٢ قَالَ الْحَارِسُ: «أَتَى صَبَاحٌ وَأَيْضًا لَيْلٌ. إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ فَاطْلُبُوا. ارْجِعُوا، تَعَالَوْا».

١٣ وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ: فِي الْوَعْرِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ، يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ.

١٤ هَاتُوا مَاءً لِمُلاَقَاةِ الْعَطْشَانِ، يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ. وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْزِهِ.

١٥ فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ، وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ، وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ.

١٦ فَإِنَّهُ هكَذَا قَالَ لِيَ السَّيِّدُ: «فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ،

١٧ وَبَقِيَّةُ عَدَدِ قِسِيِّ أَبْطَالِ بَنِي قِيدَارَ تَقِلُّ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ.

وهذه نبوءة تثبت مجيء وحي من جهة بلاد العرب، وقيدار من أبناء إسماعيل -عليه السلام- بالاتفاق. وهذه النبوءة قيل أنها تتنبأ بغزوة بدر، والقصد أن الوحي في بلاد العرب ثابت بالعهد القديم. وللنصارى على هذه النبوءة ردود:

- قالوا: هناك نبوءات بوحي في بلاد أخرى كبرية البحر وجهة أدوم، ومع هذا لا نعلم أين أنبياء هذه البلاد.

- قالوا: فثبت أن المراد هنا عقاب الرب، أي وحي الرب بالعقاب.

= قلت: هذا مخالف لنفس هذه النصوص فذكر الوحي العبري لوحي العرب مختلف عن هذه المناطق.

= ثم يقال: الله لن يعاقب هذه المناطق إلا لو نزل فيها وحي بالفعل

وهذه سنة الله في خلقه، كما عذب قوم نوح وقوم صالح.. إلخ

= ثم يقال: عدم ذكر نبي خرج من هناك لا يعني عدم وجوده، فالله غير مجبر على أن يخبرنا عن كل أنبياءه من الأولين والآخرين، وهذا كذلك متفق عليه، فتبقى النبوءة حجة عليهم، وهو المطلوب.

* قال تعالى:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران ٧١].

* قال تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران ١٩٩].

فهم لا يوجد عندهم حجة بل الحجة البالغة في صحة رسالة النبي ﷺ.

بل لا توجد حجة عندهم يحتجون بها في إثبات دينهم إلا وهي موجودة في الإسلام كما قد تبين كثيراً.

والحمد لله على نعمة الإسلام.

* * *

مبحث

ضوابط الاعتماد الأدلة العلمية على صدق النبوة

والعلم هو رصد الظواهر الطبيعية وتفسيرها. والعلوم كثيرة.

= فنقول: هناك ضوابط وجب الالتزام بها في إثبات صحة الرسالة.

أولا: أن الإسلام أدلة صحته كثيرة كما بينا قبل اكتشاف العلم لبعض ما في الوحي وبعد اكتشاف العلم, فأدلة صحة الرسالة موجودة في القرآن نفسه مجردا عن أي اكتشاف علمي.

ثانيا: أن تعلم أنه لا يجوز أن تحرف نصا شرعيا لأجل اكتشاف علمي, بل وجب أن يتفق تفسيرك مع لغة الخطاب ولا يخالف نصا آخرا.

- فإن قالوا: هل يجوز مخالفة المفسرين القدامى؟

= قلت: لا أرى هذا، بل هذا تكلف.

فالنص دلالته قد يغيب بعضها عن بعض المفسرين لا كلهم

فالنص يحتمل عدة معان، قد يعرف عالم معنى ولا يعرفه الآخر فيعرفه غيره.

أما أن يغيب دلالته على كل المفسرين القدامى فلا يجوز وهذا أصل عظيم يحفظك كمسلم من تحريف الكلم عن مواضعه واللا-ديني أدنى من أن تحرف نصوص دينك لأجله خاصة وأدلة الدين كثيرة.

نعم هناك من يجهل كيفية إثبات صحة الرسالة، لكن هذا لا يعذره في أنه لم يبحث ولم يتعلم، فوافق بتحريف النص عن سياقه لأجل إرضاء المخالف.

= ثم يقال: أن هذا كذلك ينطبق في التعامل مع الشبهات، فعدم معرفتك لرد الشبهة لا يجيز لك تحريفها عن موضعها بل هذا يدل على قلة علمك فقط لا غير

فعليك أن تتعلم ولا تظن أن الناس تعلمت بقراءة كتاب وسماع محاضرة .. بل بتعلم سنوات متواصلة من كتب ومحاضرات .. فعليك بنفسك حتى تتعلم ثم اسعى بعدها إلى أن تنفع الناس.

وهذا ينطبق على الإعجاز العددي فهو لم يدل عليه نص واحد وهو جيد من باب الاستئناس لا من باب إقامة الحجة.

ولم نعلم واحدا من السلف من الصحابة والتابعين وكبار المفسرين بحث فيه فضلا عن أن يثبت به النبوة.

تنبيه:

قد يقول قائل، لو قال صحابي أو عالم تفسير قولا يوافق النبوءة العلمية وهو مع هذا لم يتفق على تفسيره أغلب المفسرين فهل يصح نحتج بها؟

= قلنا: الصواب، لو كانت الحجة خلاف قوله فلا نحتج بقوله

وأما اختلاف المفسرين فجائز ومعلوم أن اختلافهم عادة ما يكون اختلاف تنوع لا تضاد فقد يفسر العالم الآية بتفسير والآخر تفسير آخر وكل منهم على حق لأن الله أراد من الآية هذا المعنى وهذا المعنى وهذا اختلاف تنوع لا تضاد.
واللا-ديني لا يفهم هذا فتعطيه تفسيرا فيعارضك بتفسير آخر ويقول لك أيهما حق؟ وهذا لقلة تحصيله فلا تكن كمسلم مثل هذا المتعالم الذي لا يعرف ألف باء التفسير, فقد يكون أتى لك بتفسير لا يعارض تفسيرك أصلا بل هو تنوع وكلاهما صواب.

وعلى هذا فقبل أن تهتم بتوبة اللا-ديني اهتم كمسلم أن لا تحرف دينك والدين كله حجج كما بينا فلا حجة واحدة سابقة ذكرتها يستطيع لا-ديني ردها, إنما هناك من يتكاسل عن طلب العلم ثم يسعى لطلب المناظرة والظهور، فلا للإسلام نصر ولا للإلحاد كسر.

وهكذا كعامة أهل الكلام فهم لا حجة لهم ولكن لم يعلموا رد بعض الشبهات فتركوا ظواهر نصوص الوحي لقلة تحصيلهم ومعرفتهم بحجج الوحي وسعوا للمناظرة على باطلهم ظنا منهم أنه لا يكسر الإلحاد إلا بمثل هذا الطريق وهذا لقلة علمهم بالحجج النقلية، فلو نظروا لأنفسهم بنظرة الضعيف علميا المحتاج للتعلم لكان هذا خيرا لهم في دينهم ودنياهم.

وعلى هذا بعض أطباء هذا الزمان وعلماؤه ممن وقعوا في نفس الغلط فلم يعرفوا رد شبهات التطوريين فحرفوا ظواهر نصوص الوحي، وظنوا أنهم بهذا ينفعون الدين, ولو عرفوا أن نصر الدين يكون بعدم التقدم للمناظرة ممن ليس أهلا لها، لكان هذا خيرا لهم.

فاحفظ دينك قبل أن تحفظ دين غيرك.

* قال تعالى:

﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور ٢١].

* قال تعالى:

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء ٨٤].}

- فإن قيل، فلماذا تدعوا الناس إذن؟

= قلنا: السلف تعلموا العلم لأنفسهم لا للناس فلما تعلموه كان محرما عليهم إخفاء علمهم.

قال النبي ﷺ: "من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار".

فالعلم نتعلمه لأنفسنا أولاً ثم نعلمه للناس حتى ينتفعوا به.

فاهتم لهذا ولا تجعل تحريف النصوص سهلا على قلبك فتضل نفسك وغيرك.

* * *

مبحث

لماذا لم يتنبأ القرآن بالاكتشافات العلمية؟

القرآن الكريم كتاب عقيدة وأحكام وهو هدى في العقائد والأحكام.

* قال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة ٢].

* قال تعالى:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝﴾ [المائدة ١٥-١٦].

فبين سبحانه أن الوحي هدى للناس، خلافا لمن قال لا هدى فيه في باب العقائد من أهل النظر الباطل.

وقد بينا ضوابط الحديث عن الإعجاز العلمي في نصوص الوحي، وأنه لا يصح منا تحريف نص عن موضعه وعن سياقه لنظهر فيه نبوءة.

وطرح اللا-ديني شبهة تدل على سخافة تفكيرهم:

- قالوا: لماذا لم يخترع النبي ﷺ أجهزة حديثة؟

- قالوا: ولماذا لم يتنبأ بوجود هذه الأجهزة بالمستقبل؟

= قلت: ويرد على هذا الهذيان من وجوه:

- الوجه الأول:

= أن يقال: هل وجب ليكون رسولا أن يفعل هذا؟

- فإن قالوا: لا يجب، حل النزاع وأصبحت شبهة بلا قيمة.

- وإن قالوا: يجب.

= قلنا: هذا اعتراض باطل من أصل شبهتكم، حيث أنكم تدعون أن مجرد النبوءة العلمية تثبت نبوته، لا لأنها علمية لكن لأنه لن يتنبأ بوجودها بالمستقبل إلا لو كان نبيا.

= قلت: وهذا شرط موجود في أي نبوءة يمتنع أن يعرفها إن لم يكن نبيا، بل لا فرق بين نبوءته هذه ونبوءته بموت عمار بن ياسر في الحرب على يد الفئة الباغية[1]، بل وهذه نبوءة أعظم عند التدبر، فإن كنت ستثبت نبوته لأنه تنبأ بشيء بالمستقبل يمتنع أن يعرفه إلا إن كان نبيا، فقد كان هذا، وهو المطلوب.

- الوجه الثاني:

= أن يقال: أن أدلة صحة الرسالة لا تكون بالنبوءات فقط، بل قد نثبتها عن طريق المعجزات المتواترة كما بينت سابقا، أو عن طريق إعجاز القرآن كما بينا.

فعدم وجود دليلكم الذي تطلبوه لا يدل على عدم وجود غيره، فإن كان الدليل المثبت لنبوته موجودا بالفعل امتنع وجوب وجود دليلهم هذا، بل مطالبتهم لهذا النوع من الأدلة، كرجل يقول إن رأى شخصا آخر، قال: "لن أصدق بوجوده إلا لو سمعت صوته"، وهذا

[1] متفق عليه ، أخرجه البخاري حديث رقم ٤٤٧ ، ٢٨١٢. وأخرجه مسلم حديث رقم ٢٩١٦.

تكلف، فأن تراه، دليل كاف على وجوده، وطلبك دليل آخر لا يمنع أن الحجة قامت بالفعل بأدلة سليمة غير ما طلبته أنت من أدلة.

والحق يعرف بالدليل المثبت لصحته، ولا يلزم إثباته بكل دليل ممكن، كما أنك كلا-ديني قد تكتفي بالدليل العلمي فقط، رغم إمكان وجود أدلة أخرى، فإن وجد الدليل الذي يثبت صدق النبوة، أغنى هذا عن احتياجنا لأي أدلة أخرى لنثبت بها النبوة، فما بالك وأدلة النبوة متنوعة بالفعل كما بينا؟

- الوجه الثالث:

= يقال: قد ذُكرت نبوءات كثيرة تثبت صحة الرسالة علميا بالفعل وسيأتي ذكرها.

وهذا ذكرت بعضه كعدد مفاصل الجسم، ومشهور بعضه كمواقع النجوم وكنبوءة المطر الذي لا يزيد عام عن عام، وهذا كله ثابت علميا كما هو مشهور، فلماذا كلا-ديني لا تسلم وقد تحقق شرطك؟

• الوجه الرابع:

= أن نقول: إن الدين لم يعطنا الاختراعات العلمية، لكنه لم يمنعها، والدين أتى ليضبط علاقة الإنسان بربه وبمن حوله من الناس

فاللا-ديني يريد أن يتبع الحق هواه، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون ٧١].

فتدبر سخافة الشبهة تعلم أين هؤلاء من العقلاء! والله المستعان.

* * *

مبحث

الأدلة العلمية على صحة الإسلام

الأدلة العلمية تكون مبنية على أسس سليمة ولا يصح أن نلزم القرآن بدليل لم يصح علمياً وندعي أن القرآن خطأ.

كذا لا يصح أن ندعي صحة الإسلام بنبوءة علمية لم تثبت علمياً

وكذلك لا يصح كمسلم أن تثبت خطأ كتب النصارى بأدلة علمية ظنية لم تثبت.

وهذا من الإنصاف وأنت كمسلم لا يصح أن تحتج بحجج ضعيفة ولو كانت توافق معتقدك سواء في هدم معتقد آخر أو في إثبات معتقدك, وأما الإسلام ففيه نبوءات علمية ثبتت بالفعل وهو بها وبدونها حق كما بينا.

= ولذا نقول: يمتنع وجود دليل علمي صحيح يخالف نصا قطعي الدلالة والثبوت لأن الحقائق لا تتعارض، فكما أن العقل الصريح والنقل الصحيح لا يتعارضان فكذلك العلم القطعي لا يعارض النقل القطعي في ثبوته ودلالته، ولنضع بعض نبوءات الإسلام علمياً

المثال الأول:

عن ابن عباس وعن ابن مسعود قال النبي ﷺ :"مَا مِنْ عَامٍ بِأَقَلَّ مَطَرًا مِنْ عَامٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا ﴾".

صحيح على شرط الشيخين.

«"ما من عام بأقل مطراً من عام ولكن الله يصرفه" » (رواه البيهقي) النبى ﷺ.

فى بيئة صحراوية بالجزيرة العربية الحارة حفنة المياه تمثل للإنسان الكثير وهذا بسبب ندرة المياه والأمطار وتقلب المناخ الكثير فسنة جفاف وأخرى لا وبالرغم من ذلك يقول لهم المصطفى ﷺ أنه ما من عام بأقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه فالأمطار تتساقط في أنحاء العالم وليس ما ترونه أمامكم من جفاف وقحط

ومن موقع وكالة الجيولوجيا الأمريكية.

On a global scale, the amount of water evaporating is about the same as the amount of water delivered to the Earth as precipitation

على نطاق عالمي، مقدار تبخر المياه يمثل حوالي نفس كمية المياه التي تصل إلى الأرض كهطول الأمطار

(موقع USGS)

و من ناسا تقول نفس الكلام لكنها تؤكد كل عام.

Water continually evaporates, condenses, and precipitates, and on a global basis, evaporation approximately equals precipitation. Because of this equality, the total amount of water vapor in the atmosphere remains

approximately the same over time.

يتبخر الماء باستمرار ويتكثف ويترسب على نطاق عالمي من التبخر يساوي تقريبا نفس كمية هطول الأمطار. بسبب هذه المساواة، فإن اجمالي بخار الماء في الغلاف الجوي لا يزال تقريبا ثابت على مر الزمن

(موقع Nasa)

ناسا تقول أن إجمالي بخار الماء في الغلاف الجوي لا يزال ثابتا تقريبا على مر الزمن.

أي أن نسبة الماء المتبخر والساقط على هيئة الأمطار ثابت على مـر الزمن فعلى نطاق عالمي، مقدار تبخر المياه يمثل حوالي نفس كمية المياه التي تصل إلى الأرض كهطول الأمطار

كمية تبخر الماء تعادل نفس كمية هطول مياه الأمطار

كمية تبخر الماء ثابته مما يؤدي إلى ثبات نسبة تبخر الماء كل عام مما يعادل نفس كمية الامطار كل عام.

= فكيف علم الرسول ﷺ بذلك؟ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۝﴾ [النجم ٣-٤].

وهذا يرد على دعواهم أن الرسول الكريم ﷺ كان لا يتحدث علمياً إلا بما يراه حوله فقط.

المثال الثاني:

* قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد ١٢].

ونجد بموقع: Sciencealert

They may look all light and fluffy, but the reality) is that clouds are actually pretty heavy. Researchers have calculated that the average cumulus cloud - which is that nice, white fluffy kind you see on a sunny day - weighs an incredible .(500,000 kg

قد تبدو كلها خفيفة ورقيقة ، لكن الحقيقة هي أن الغيوم ثقيلة جدًا في الواقع

لقد حسب الباحثون أن متوسط السحابة الركامية وهو ذلك النوع الأبيض الزغبي اللطيف الذي تراه في يوم مشمس يزن ٥٠٠٠٠٠ كجم.

= قلت: وهذا كذلك يرد على شبهتهم التي يدعون فيها أن النبي ﷺ يتكلم علمياً حسب بيئته.

المثال الثالث:

وبما أننا في زمن الكورونا..

وعن أسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إذا سَمِعْتُمْ بالطَّاعُونِ بأَرْضٍ فلا تَدْخُلُوها، وإذا وقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُمْ بها فلا تَخْرُجُوا مِنْها فَقُلتُ: أنْتَ سَمِعْتَهُ يُحَدِّثُ سَعْدًا، ولا يُنْكِرُهُ؟ قالَ: نَعَمْ". صحيح البخاري.

= قلت: وهذا ينصح به طبيا الآن في كل أنحاء العالم.

فلو سمعت ببلد ينتشر فيها هذا المرض لا تدخلها لو كنت صحيحاً. ولو كنت ببلد ينتشر فيها هذا المرض لا تتركها حتى لا يمرض أهل هذا البلد الآخر بسببك, وهذا رغم أنه معلوم بالضرورة في واقعنا هذا أنه خير علاج لانتشار هذا المرض وكما بموقع الكوفيد أو الكورونا نفسه.

- قالوا: بعض الناس لا ينبغي أن يسافروا، الأشخاص الذين يعانون من أعراض كوفيد-١٩ والذين ثبتت إصابتهم مؤخرًا بالفيروس، أو تعرضوا لشخص مصاب بـ كوفيد-١٩ يشكلون خطرًا كبيرًا على الآخرين أثناء السفر.

= قلت: وهذا يثبت أن النبي ﷺ كان يعلم ما سيحدث بإعلام الله له وهذا مشهور بالسنة كذلك.

وسأعطي مثالا ظاهرا ولو كان غير متعلق بالعلم كثيراً لكنه يبين معرفة النبي الكريم ﷺ بكثير مما يظهر لنا.

ويتضح هذا بالمثال الرابع:

قال رسول الله ﷺ متحدثا عن علامات الساعة: "أَنْ تَرَى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُونَ في البُنْيانِ" صحيح مسلم.

وحينما سئل رسول الله ﷺ: "من أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال (العرب)" مسند أحمد.

قال النووي: "ومعناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان".

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "وفي قوله –صلى الله عليه وسلم-: (يتطاولون في البنيان) دليل على ذم التباهي والتفاخر خصوصاً بالتطاول في البنيان، ولم يكن إطالة البناء معروفا في زمن النبي ﷺ وأصحابه، بل كان بنيانهم قصيرا بقدر الحاجة

وإذا أردت أن تعرف صورة البيوت على عهد النبي ﷺ يخبرك حفيده الحسن -رضي الله عنه- ويقول:

[كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان رضي الله عنه، فأتناول سقفها بيدي]".

= قلت: أي أن هذا كان غير منتشر في زمنه ﷺ وقد تحقق ما أخبر به النبي ﷺ, فها نحن رأينا العرب رعاة الإبل سكان الصحراء قد شيدوا الأبراج والمباني الشاهقة، ولم يكتفوا بهذا الحد، بل صاروا يتنافسون أيضا أيهم أطول بيتا وأيهم أطول برجا.

فالحديث يخبرنا أن العرب لن يكتفوا بإطالة البنيان وحسب، بل إنهم أيضا سيتباهون بذلك حتى يتنافسون ويتسابقون في ذلك، وسبحان الله! لو كان مدعيا للنبوة كذبا وحاشاه لتوقع أن يتطاول

الفرس أو الروم في البنيان، فقد كانوا أكثر تحضرا وتقدما من العرب حينها.

= قلت: وقد ثبت ما تنبأ به وهو ظاهر لكل الخلق الآن.

* قال تعالى:

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ [فصلت ٥٣].

- فإن قالوا: نحن نجد حتى عند اليهود والنصارى وغيرهم نبوءات.

= قلنا: هذا جائز لأنهم ولو حرفوا بعض دينهم فإنهم لم يحرفوه كله بل وحتى العقائد البابلية وغيرها قديما قد يكون أصلها التوحيد والنبوءات فيها حجة على أن هناك رسالات من عند الله بالفعل. فنبوءات العقائد الأخرى تثبت عموم النبوة وأن الأديان حق في مقابل اللا-دينية.

ولا تستلزم النبوءة حفظ الكتاب كله من التحريف إنما يثبت هذا بالتواتر، ولا تجده إلا في الإسلام, وهو المطلوب.

* قال تعالى:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥].

* * *

مبحث

ختام مبحث أدلة صحة الرسالة الإسلامية

* قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران ١٩].

* قال تعالى:

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران ٨٥].

وكما تبين أن الإسلام حق فمن رغب عنه هلك، وفي هذا المبحث تكلمت عن الأدلة العلمية آخر شيء، لكي يعلم المسلم أن هناك أدلة غير الأدلة العلمية قطعية وأقوى ، ولكي تعلم كمسلم كيف آمن الناس قبل هذه النبوءات العلمية، ولا يظن المسلم أنهم آمنوا عن قلة علم، بل السابقون دائما أعلم وأحكم وأفهم خاصة السلف.

قال النبي ﷺ:"خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"متفق عليه.

فحججهم دائما حق ونحن نظمناها فقط، وتم بيان كمية الهزلية اللا-

دينية، فلا هم نصروا العقل ولا العلم ولا أنفسهم بتركهم للدين، إنما هم ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام ١٣٣].

وقد نبهنا على كيفية تستنبط بها كمسلم أدلة النبوة وحجج ما في القرآن كقوله تعالى:

﴿إِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت ٦٥].

لو لم يصدق كلام الله في هذه الآية لكذب المشركون النبي ﷺ فيما بلغه عن ربه ولما آمن بالقرآن أحد بعد ذلك وارتد كل من آمن به من قبل، فتبين بهذا صدق الآية وجحود من عارضوا النبي ﷺ في حياته.

ولكن الآية تثبت أن هذا حدث حقا، وكذلك كل نبوءة ذكرناها ولم نذكرها لو لم تحدث لكذبوا النبي الكريم ﷺ.

ونحن نعلم أنهم كذبوه في خبره عن السابقين، لكنهم لم يكذبوه في

الآيات التي هي تثبت معجزاته كانشقاق القمر وغيرها، ولو كان كاذبا لما تبعه أحد، لأن تكذيبهم للنبي ﷺ في تبليغه قصص الأولين لا يستطيعون اثبات كذبه فيها بيقين لو كان كاذباً ، أما لو كذب في معجزة يدعي أنها حدثت أمامهم لكان تكذيبهم له بدليل.

فتبين عدم كذب النبي ﷺ يقينا، والمعجزة تدل على صدق دعواه، كما دعوته، ودعوة الدين وأخلاق الدين عظيمة، وأخلاق اللا-دينية هي الأقبح مطلقاً.

وقد بينا أيضا أن هناك أدلة قد لا تثبت صحة الإسلام بالخصوص لكنها تثبت صحة النبوات بشكل عام.

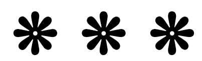
وهذا أصل هام.

فكل شيء يصح فيه النقاش بين الدين واللا-دين هو حجة للمسلم خاصة أوللإيمان بالدين بشكل عام، وكل هذا حجة ضد اللا-ديني وحجة للمسلم خاصة أو الدين بشكل عام.

والحق قد ظهر ومن اتبع الحق نجى.

* قال تعالى:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥].



مبحث

كيف تناظر متشكك؟

والتشكك نوعان:

* شخص يشكك في نفسه لا في ربه، أي أنه يشكك في صحة معلوماته، ولكنه مع هذا كثرت الشبهات حوله.

* وآخر يشكك بوجود ربه أو بصحة الدين، وهذا عند التحقيق ترك الدين أصلا.

نعم قد يحصل بعض الشك في النفس عند الجهل ببعض الأدلة، وهذا صريح الإيمان، لكن وجب أن يدفعها الإنسان عن نفسه بالاستعاذة بالله من الشيطان وقد فصلت هذا في رسالة أول واجب على المكلف.

وكذلك يجب عليه أن يسأل من يثق في علمه.

= وفي مناظرة المتشكك أول سؤال تسأله له: هل أنت متيقن من وجود الله؟

- فإن قال: لا، فهذا كاللا-ديني "لا-أدري"، فناقشه بأدلة بسيطة ومفهومة أولا مثل دلالة الكون على وجود صانع أتقن كل شيء.

فالمتشكك عادة ما يكون تشكك حديثا لم تتلوث فطرته بعد ويحتاج تذكرة بالأدلة الواضحة فقط، وحينها سيعود إن شاء الله للاعتقاد الصحيح.

أما لو متشكك في الدين، فحاول كمؤمن تؤصل معه كل مسألة يسأل بها كما شرحت سابقاً.

تنبيه:

قد يكون هذا السائل مصابا بالسواس القهري، والوسواس القهري يحدث حتى لمن يعرف الأدلة واقتنع بها ، لكن الأفكار ترهقه بدون توقف رغم يقينه.

الوسواس القهري يصاب به كثير من الناس ولا يؤثم صاحبه عليه

فقد روى مسلم وغيره عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم، واللفظ لـ مسلم قال: جاء ناسٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: وقد وجدتموه ؟ قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان.

قال النووي : سئل النبي ﷺ عن الوسوسة فقال: تلك محض الإيمان. وقال: ذلك صريح الإيمان.

فكان الصحابة بعد ذلك يتجاهلوه حتى يذهب عنهم.

وهذا هو علاج الوسواس القهري، التجاهل

فأنت تعرف الشبهة وتعرف ردها ومع هذا تشك في نفس الشبهة فتتعب.

أو كوسواس الوضوء والصلاة

حتى أن من يوسوس فيهم يجب عليه أن يتجاهل الوسواس فلو شك هل هو توضأ بشكل صحيح أو خاطئ...ليتجاهل شكه هذا لو كان مصاب بالوسواس وبالوقت يذهب هذا

وحتى لو وصل الوسواس إلى القدح في الدين ومقدساته فمادمت لا ترضاه

فهذا وسواس قهري معفو عنه لا تعانده بل تجاهله تماما كأنه غير موجود وتعامل معه كأي أفكار غير مهمة أخرى تتركها تأتيك حتى تذهب وحدها

ومن العلاج له أيضاً أن تبحث عن عوامل مساعدة مثل أن لا تجلس وحدك

ولو أتاك وسواس في العبادة لا تتركها بل أكملها والله سيتقبل منك إن شاء الله.

هكذا نصح الأطباء المختصين بهذا

والقصد أن الوسواس لا يعتبر ذنبا أصلا بل هو من صريح الإيمان لو استعظمته ولم تقبل نفسك به

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة. رواه أحمد وأبوداود.

لأن إبليس عجز على أن يضرك إلا بهذا

فلا تسمح له أن يشتتك وتجاهل كل هذه الأفكار

فحتى من خرج منه الريح وشك في هذا فنصحه النبي صلى الله عليه وسلم

فقال:لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً.

وهذا يعالج الوسواس كوسواس الطهارة، فما دمت لم تتيقن من خروج شيء منك فابقى كما أنت على وضوءك.

وهكذا يتعامل الدين والأطباء مع الوسواس بأن تتعامل معه كأنه غير موجود

ولا تظن أن هذا مصابك وحدك بل هو من صريح الإيمان الذي أصاب الصحابة رضي الله عنهم.

وليس معنى هذا أن تحبه،بل تبغض الوسواس، لكن تتجاهله حتى يذهب وحده

وعليك أن تعلم أن الوسواس بلاء فلا تجزع منه فالله عز وجل يجزيك عن صبرك خيرا

*قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر ١٠].

فهنيئا لك إن صبرت واستعنت بالله وأخذت بالأسباب مع ذلك.

هكذا نعامل الوسواس القهري.

أما الرفق واللين أو الشدة فنسبية، فانظر لهذا المتشكك لو شعرت أنه خائف أن يترك الدين ويريد أدلة حقا، فاللين معه واجب، ولو رأيت أنه تابع لشهواته، فهاجم أمامه الإلحاد بشدة وبين له أنه سيترك الخير للشر, مثال ذلك:

- إن قال: لا أتقبل دينا فيه سبي.

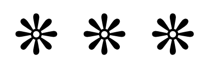
= قل له: لا يوجد باللا-دينية مانع من هذا أصلا، بل أن الإنسانية هي التي اخترعت الدين والسبي عندكم كما قد فصلت قبل هذا، ثم بعدها رد الشبهة كذلك حتى لا تبقى عالقة في قلبه.

والأفضل مع المتشكك اللين، والهدف من اللين والشدة هو هداية الطرف الآخر، فرُب رجل طردته من مجلسك بسبب كيفية سؤال له، ما طردته إلا لمصلحة له أنت تظنها له، وكما نهى السلف عن مجالسة صاحب البدعة وفي هذا مصلحة للمبتدع نفسه.

فكذلك الشدة لا يجوز أن تكون انتصارا للنفس، بل لمصلحة تراها داخلك من هذه الشدة، وأما اللين فلترقيق القلوب ولقبول الحق أكثر وفوائده أكثر من أن تعد.

والمتشكك يجب متابعته ، وذكر أهمية الصلاة له حتى في بداية النقاش، فتسأله ما حالك مع الصلاة قبل الشك وبعده؟.. وهكذا.

والله أعلم.



مبحث

العقيدة الصحيح

وقد اقترب الختام فنتكلم عن العقيدة بشكل مجمل.

= فنقول: اللا-ديني لا يصح أن ندعوه بطريق غير طريقة الرسل والصحابة ومن اتبعهم.

* قال تعالى:

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة ١٣٧].

فبين سبحانه أن الإيمان بما آمن به الناس في زمن النبي ﷺ هو الخير، والدعوة تكون بطريق مستقيم، لا بعلم الكلام ولا غيره، ولا نحرف نصا لأجل نظرية جديدة، بل الدين مليء بالقطعي وهو حق ولا يرد لأهواء الناس.

ولو أسلم لا-ديني وتبع فرقة مبتدعة، فهذا خير له من اللا-دين.

كذا لو أنت مسلم وتناقش فرقا وتعلم هشاشة دين أحدهم المتأثر بالبدعة التي تسيطر عليه لأنها توافق هواه، فتركه على البدعة خير من إخراجه منها إلى الكفر.

والصواب عدم نقاشه، وهذا صواب.

ونوالي المسلم ولو كان مبتدعا أمام اللا-دينيين، ونعادي من عاداهم منهم، كما نوالي السني على كل مبتدع، ولا نظلم المخالف لمجرد أنه مخالف.

* قال تعالى:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ١٥٢]..

وأما منكر السنة فهو لمعتقد اللا-دينية أقرب، وهم بصف واحد.

إنما منكري السنة كمصدر ثان للتشريع بالكلية نفاقهم ظاهر، وهذا ما نعتقد فيهم، ومن لم يصل إليه شيء من السنة فقد يعذر لو كان في بادية بعيدة عن الإسلام، وبحث فلم يجد من يسعفه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

أما أن هناك وحي غير القرآن فهذا معلوم من الدين بالضرورة، ومتواتر كما تواتر القرآن، والرد على منكري السنة لعلّي أفرغ له كتابا إن شاء الله تعالى.

وأما في معرفة الله فنعرفه بالوحي كما عرفه النبي ﷺ

* قال تعالى:

﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ﴾ [سبأ ٥٠]..

ونعلم أن العقل لا يخالف الوحي بل يوافقه، بل أن الوحي وحججه العقلية قطعية عقلا، كقياس الأولى وغيره كما بينا..

ونعتقد أن الله عليم بكل شيء.

* قال تعالى:

﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر ١٩].

ونعتقد بأن الله على عرشه بذاته.

*قال تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه ٥].

* قال تعالى:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل ٥٠].

ونعتقد أنه يحب ويغضب وأن أفعاله تكون لحكمة ، ولا يفعل عبثا حاشاه.

* قال تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون١١٥].

فنثبت لله ما أثبته لنفسه إثباتا بلا تمثيل له بخلقه، وننزهه كما نزه نفسه تنزيها بلا تعطيل له عن صفات أثبتها لنفسه[1].

ونعتقد كما قال تعالى:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء ١٤٠].

فلا يجوز أن نقبل بالسخرية من الدين، والدين خط أحمر، ونرى أن من يرد على أهل السب والسخرية من الدين ورجال الدين لكي

[1] راجع تفصيل إثبات هذه الصفات وغيرها وأدلتها في الرسالة الواسطية والرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

يدعو المخالف للدين، أن هذا مفرط في حق دينه، تارك عزة الدين، وأن هذا الفاعل قليل علم، ضعيف فهم، لم يأته من عزة الدين شيء.

وأما الذي لم يسب ويبحث ويريد الحق وظهر لنا منه هذا البحث بصدق، فهذا نناقشه بالحسنى، والشدة عليه قلة فقه، واللين مع مثله واجب.

ونرى أن الجهاد كما هو بالسيف فهو بالدعوة، وكلاهما حق، والجهاد بالسيف جهاد دفع وطلب ومن أنكر أحدهما لأجل قلة فهمه لرد الشبهات، فلا يناقش أفضل له ولمن يحاوره، وأن الدعوة تكون بالحسنى إلا مع الذين ظلموا.

ونرى أن جهاد النفس من أعظم الجهاد وكل داعية لدين الله عليه مجاهدة نفسه من الكبر والرياء وغيره، فلا يكون طريقا للغير إلى الجنة، ثم يقع هو في النار، اللهم عافنا يا رب العالمين.

ونعتقد أن الله خالق كل شيء وهو خالق أفعال العباد، فالله خالقها وهم عاملون لها على الحقيقة.

ونرى أن للعبد استطاعة قبل الفعل وعند الفعل، خلافا لمن أنكر هذا من الجبرية وذاك من القدرية.

ونعتقد أن كل مسلم خير من كل لا-ديني.

ولا نجزم لكافر بعينه بالنار إلا من أتى به نص صريح، ونعامله في الدنيا على ما ظهر منه من الكفر، فلا ندعوا له ولا نترحم عليه ولا نصلي عليه ولا نرثه ولا يدفن في مقابر المسلمين، لكننا نقول أن كل من مات على الكفر بعد أن سمع بالنبي ﷺ، فهو كافر في النار.

* قال تعالى:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء ١٥].

ومن وصلته الرسالة مشوهة من غير تقصير منه فحكمه حكم أهل الفترة، والله أعلم. وأما من وصلته الرسالة صحيحة فلم يؤمن فمصيره النار.

ونعتقد أن النبي ﷺ معصوم من الكبائر وفي رسالته، ومعصوم من كثير من الصغائر وهي التي تشكك في المروءة . ولا يوجد إنسان

معصوم غير الأنبياء، ومن قال غير هذا فقد فارق الحق الذي أتى به الدين

ونعتقد أن الصحابة رضوان الله عليهم خير الناس بعد النبي ﷺ، وأن حبهم من الدين، وأول الصديق أبا بكر، وثانيهم الفاروق عمر ،ثم ذو النورين عثمان بن عفان، ثم علي ابن أبي طالب، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة،ثم أهل بدر، ثم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، ثم الذين اتبعوهم بإحسان.

* قال تعالى:

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَـٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة ١٠٠]

فهذه جملة مما يجب على المسلم اعتقاده.

ونقول أن أهم علم تتعلمه وما من علم تتعلمه خير لك من علم العقيدة، فهو أعظم العلوم، وأعلاها مرتبة من علوم الدين والدنيا.

وندعو الله أن نلقاه بعقيدة الصحابة ومن تبعهم.

* قال تعالى:

﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد ١٠]

* * *

مبحث

نصائح لطلبة العلم

وكان يجب أن أنصح كل من قرأ ما في هذه المباحث بنصيحة أخ طالب علم فأقول:

عليك أن لا تناقش قبل أن تتعلم دينك وعقيدتك، ولا تأخذ علمك من الأذكى بل خذ علمك ممن التزم السنة ويسعى دائما التزامها.

وتعلم كيفية الصلاة والوضوء، فهناك ممن نراه يناظر ولا يعرف أحكام الطهارة والصلاة، فيسعى لنجاة غيره وهو غارق ولا يبالي.

* قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ [الطور ٢١].

فلا يجوز لك تعلم المناظرة قبل أن تتعلم ما يجب عليك، من كيفية الصلاة ومبطلات الصلاة والطهارة، وقطعا وجب تعلم عقيدتك ممن تعلم التزامه بالسنة، فلا تأخذ دينك من متكلم يتبع فلسفة أرسطو، ولا من رجل يقول لك أنا أعرف تفسير القرآن أكثر من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، بل خذ دينك ممن التزم السنة وتعرف أنه لن يخالفها إن ظهرت له.

ثم لا تكن مغرورا متكبرا بما تعلمت فالعلم ثقيل، وهو حجة لك أو عليك، فعلمك سيشهد على أدبك وخلقك، هل انتفعت به؟ هل زادك خشوعا في الصلاة وتقوى عند حرمات الله؟

وأكثر الدعاء، ونحن لم نعرف عالما ممن اشتهر من أهل العلم، كان علمه أعظم من تقواه، بل إن العلم يزيد التقوى، فمن لم يزده علمه تقوى، فهو البائس الذي يحتاج للتعلم من جديد.

واحذر من الجنس الآخر، ففتنة هذه الأمة منهم.

والله لن يتركك تكون خير الناس داعيا إلى الله إلا لو ابتلاك.

* قال تعالى:

﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝﴾ [العنكبوت ١-٣].

ولا تهجر القرآن .. وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تكن فظا غليظ القلب بل كن ليّناً مع إخوانك المسلمين، واجعل نصيحتك لهم أيسر نصيحة على قلوبهم.

ولا تترك النوافل، خاصة الوتر.

واعلم أن طالب العلم يرى الذي هو أعلم منه، يراه خير الناس، فاهتم لمن يظنك أعلم منه فهو يعتبرك قدوة له فالتزم.

وأحسن في سريرتك كما أحسن الله إليك في علانيتك وكن كما يريد الله.

وأما الرياء فهذا شرك أصغر، فلا تهتم لإعجاب الناس بك وأنت تعلم عدم رضى الله عنك.

وعندما تقوم إلى معصية تذكر قوله تعالى:

﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا﴾ [الفرقان ١٥].

ودع الغيرة، فإن الغيرة والنظر للغير فيما يملك من علم أو قبول، من أسباب سواد القلب، فالله هو الذي ييسر لك، وتعلم أن تزكي نفسك وتعلم دينك قبل أن تتعلم المناظرة.

واترك الجدل الذي لا طائل منه، فلو وجدت مصلحة في ترك الجدل فدعه ولو كنت على حق.

ولا تخاصم هذا وذاك من إخوانك ليل نهار، وأنت ترى أنك أعلمهم، فوجب أن تكون أحلمهم وأحكمهم لو أنت أعلمهم.

وتذكر قوله تعالى:

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد ١٦].

فلا تترك المعصية تتحكم فيك حتى يقسى قلبك فالمعصية أولها صعب، ثم مستساغ، ثم يبحث القلب عن ذنب آخر ومعصية أخرى.

فلا يجب أن تترك نفسك، وتسعى لهداية غيرك وأنت لم تهتدِ بعد؛ ولا تظن الذنب أصبح مباحا لك لأنك تعمله! ، فالذنب يبقى ذنبا ولو فعله خيرة الناس، فأنت لست مصدرا للتشريع حتى يباح الذنب لأنك تعمله..!

واتق الله، واخشَ الله يا عبد الله، فإن القبر يسعك كما وسع من هم خير منك ولا يهبط معك إلا عملك.

﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۝﴾ [المؤمنون ١٠١-١٠٢].

وكلما انشغلت عن ذكر الله تذكر قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر ١٨].

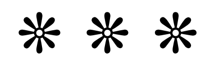
ولا تأمن على نفسك الفتنة فالصحابة لم يأمنوا على أنفسهم النفاق، فما بالك أنت.!

والعلم يُسعى له فلا تكن عزيزا على طلب العلم، بل كان يقول مشايخنا أن العلم لا يُنال إلا بالذل، فمن تكبر على العلم تكبر العلم عليه.

ولا تنظر كم تعلمت، بل اسلك طريق العلم بكيفية صحيحة، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله طريقا به إلى الجنة كما رواه مسلم عن النبي ﷺ.

فاسلك طريق العلم ولا تنظر كم تعلمت بل انظر كم طريقا للجنة

سيفتح لك وأنت تتعلم وهذه نصيحة لي أولاً ولكل من قرأ ثانياً واللهم اهدنا بما هديت به عبادك الصالحين.



الخاتمة

أحمد الله الكريم العظيم على إتمام هذه السلسلة من التقريرات والردود، فقد كانت غايتي أن لا أترك مفرا لأي لا-ديني، وقد كان بتوفيق الله.

فهم كما ظهر أنهم مخالفون للعقل والحس والفطرة وللدين ولما نزل على محمد ﷺ وعلى ما فطرنا عليه.

فلا حجة لهم، وقد ناقشتهم بحجج أهل السنة من أول البحث إلى آخرة، ولو رددت بحجة لفريق من الفرق الضالة، فنوهت على غلطه، وقلت أنه رغم أنهم على خطأ لكن يبقى قولهم أصح من اللا-ديني.

ونحن نلتزم أننا لا نخالف نصا ولا ظاهر نص من أول مبحث حتى الختام، فقد كانت العقيدة بعقلي وقلبي دائما، وكانت غايتي وأنا أكتب أن ألتزم بعدم مخالفة الوحي بشكل من الأشكال، ونحمد الله على التمام.

واهتممت كثيرا بكيفية معالجة المسلم للشبهات، وأنوه أن المسلم لا يجب أن يدخل المناظرة كأنها حرب، بل يدخلها وهو مشفق على ما سيحدث للطرف الآخر لو لم يسلم، لكن دون إفراط ولا تفريط.

وكانت غايتي أن ننزع التعصب ممن يناقشون بغضب وتعصب مذموم في كل نقاش، وكذلك نزع قلة الغيرة على الدين ممن يهتمون لهداية الملحد ولو سب دينهم، فهذا كله مذموم.

فإن قصرت بنقطة فلعل الله يتجاوز عني، ولو خالفت أهل السنة بقول دون قصد، فالحق في قول أهل السنة والجماعة وليس في قولي، وما وافق قول أهل السنة فهو العقل القطعي الذي لا شك فيه، فالعقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح بحال.

وما أحسنت فيه فبفضل من الله.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف ٤٣].

وما اخطأت فيه فالعيب مني ومن تقصيري.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة ٢٨٦].

وأرجو من الله التجاوز عن أي خطأ لي بعفوه ورحمته وأرجو من الله أن أكون علمت طالب العلم كل ما يحتاجه في مناظرة هؤلاء، وأن أكون أحلته إلى بعض ما يحتاجه ليزكي نفسه فيلتزم بما ينفعه إن شاء الله تعالى.

وأشكر كل من ساعدني على هذا البحث وهم كثر ولم يقصروا معي قط، وأرجو لمن انتفع أن يدعو لي ولكل من ساعدني وللمسلمين.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام ١].

﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس ١٠].

* * *



النهاية



جدول المحتويات

النهاية